الشيخ/ بكر محمد إبراهيم

١٦٠ قصة وقصة من قصص الصالحين والصالحات

مكتبة القدسي
للنشر والتوزيع

٧٤ ش البستان ـ عابدين ـ القاهرة
ت: ٣٩٢٥٦٨٨

مكتبة القدسى
للنشر والتوزيع

٧٤ ش البيتان ـ عابدين ـ القاهرة
ت : ٣٩٢٥٦٨٨

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م

تطلب مطبوعاتنا
من
مركز توزيع الكتاب الإسلامى
٢ درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر
القاهرة ـ تليفون : ٥١٢٣٦١١

المقدمة

الحمد لله ولى الصالحين القائل ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذى أرسله ربه بالحق بشيراً ونذيرا .

وبعد ،،،

فهذا كتاب فى قصص الصالحين والصالحات ورد ذكرهم فى كتب التراث فى صفة الصفوة لابن الجوزى، وحلية الأولياء لأبى نعيم، والتاريخ الكبير للبخارى، والجرح والتعديل لابن أبى حاتم، وتهذيب الكمال للمزى، وميزان الاعتدال للذهبى ، والكامل لابن عدى، وسير أعلام النبلاء للذهبى، وتاريخ بغداد وتذكرة الحفاظ ، والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها من كتب التراث .

وقد اختلف العلماء حول المتصوفة والتصوف فبعضهم يزكى الأولين دون المتأخرين وبعضهم يزكيهم كلهم وآخرون يذمونهم كلهم.

وقد روينا فى هذا الكتاب قصص مجموعة من هؤلاء الذى ورد ذكرهم فى كتب التراجم القديمة والعهدة على هؤلاء الرواة الذين ذكروا قصصهم ضمن الصالحين والأولياء ، والله تعالى أعلم بهم ولأنزكى على الله أحداً .

وإنما مقصودنا تنشيط الهمم لتعمل صالحاً ونتقوى على طاعة الله تعالى لعلنا نكون من المقبولين المغفور لهم.

ومن هؤلاء الذين ذكرناهم موسى بن جعفر وبشر الحافى ومعروف الكرخى والسرى السقطى وأحمد بن نصر الخزاعى وأحمد بن حنبل الشيبانى.

فمن كان سليم المعتقد صالح العمل فلهم البشرى ، وأما من اعتقد وحدة الوجود والحلول والاتحاد فأنا نبرأ إلى الله منه ، ونحب الصالحين ونرجو أن نكون منهم ونسأل الله تعالى أن يعفو عنا ويتقبل صالح أعمالنا وأن يتجاوز عن زلاتنا وتصيرنا .

والحمد لله أولا وأخراً .

المؤلف
الشيخ / بكر محمد إبراهيم
رئيس أنصار السنة بالسلام
وعضو إتحاد الكتاب

(١) موسى بن جعفر بن محمدبن على

ابن الحسين بن على أبو لحسن الهاشمى رحمهم الله.

كان يدعى العبد الصالح لأجل عبادته واجتهاده وقيامه بالليل وكان كريما حليما إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمال.

عن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه لما حبس المهدى موسى بن جعفر رأى المهدى فى النوم على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول : يا محمد

﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾

قال الربيع : فأرسل إلى ليلا فراعنى ذلك فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتا فقال : على بموسى بن جعفر. فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال : يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى النوم يقرأ على كذا فتؤمننى أن تخرج على أو على أحد من ولدى. فقال : والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأنى . قال : صدقت يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله إلى المدينة.

قال الربيع : فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا وهو فى الطريق خوف العوائق.

وعن شفيق بن إبراهيم البلخى قال : خرجت حاجاً فى سنة تسع وأربعين ومائتين فنزلت القادسية فبينا أنا أنظر إلى الناس فى زينتهم وكثرتهم فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة يعلو فوق ثيابه ثوب من صوف، مشتمل بشملة، فى رجليه نعلان وقد جلس منفردا فقلت فى نفسى : هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلا (عالة) على الناس فى طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنه. فدنوت منه فلما رآنى مقبلا قال : يا شقيق

﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾

ثم تركنى ومضى. فقلت فى نفسى : إن هذا الأمر عظيم قد تكلم على ما فى نفسى ونطق باسمى وما هذا إلا عبد صالح لألحقنه ولأسألنه أن يُحَالِّنى. فأسرعت فى أثره فلم ألحقه وغاب عن عينى فلما نزلنا واقصة إذا به يصلى وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجرى فقلت : هذا صاحبى أمضى إليه وأستحله فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه، فلما رآنى مقبلا قال : يا شقيق اتل :

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه]

ثم تركنى ومضى فقلت : إن هذا الفتى لمن الأبدال، وقد تكلم على سرى مرتين فلما نزلنا رمالا إذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقى ماء فسطقت الركوة من يده فى البئر وأنا أنظر إليه فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول :

أنت ربى إذا ظمئت من المـــاء وقوتى إذا أردتُ الطعاما

اللهم سيدى مالى سواها فلا تعدمنيها. قال شقيق : فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمد يده فأخذ الركوة وملأها ماء وتوضأ وصلى أربع ركعات. ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه فى الركوة ويحركه ويشرب. فأقبلت إليه وسلمت عليه فرد على السلام. فقلت : أطعمنى من فضل ما أنعم الله به عليك . فقال : يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك. ثم ناولنى الركوة فشربت منها فإذا سويق وسكر فوالله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب ريحا منه. فشبعت ورويت . فأقمت أياما لا أشتهى طعاما ولا شرابا، ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب فى نصف الليل يصلى بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل. فلما رأى

الفجر جلس فى مصلاه يسبح الله. ثم قام فصلى الغداة وطاف بالبيت أسبوعا وخرج فتبعته فإذا له حاشية وأموال وهو على خلاف ما رأيته فى الطريق ودار به الناس من حوله يسلمون عليه . فقلت لبعض من رأيته يقرب منه : من هذا الفتى ؟ فقال : : هذا موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم الله فقلت : قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد.

وعن أحمد بن إسماعيل قال : بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من الحبس رسالة كانت :

إنه لن ينقضى عنى يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى نفضى جميعا إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون.

ولد موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة فى سنة ثمان وعشرين، وقيل : تسع وعشرين ومائة وأقدمه المهدى بغداد ثم رده إلى المدينة فأقام بها إلى أيام الرشيد فقدم الرشيد المدينة فحمله معه وحبسه بغداد إلى أن توفى بها لخمس بقين من رجب فى سنة ثلاث وثمانين ومائة.

(٢) عابد من رعاة المدينة

عبد العزيز قال : قال نافع : خرجت من ابن عمر فى بعض نواحى المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا سفرة فمر بهم راع فقال له عبد الله : هلم يا راعى فأصب من هذه السفرة . فقال : إنى صائم. فقال له عبد الله : فى مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت فى هذه الشعاب فى آثار هذه الغنم وبين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم ؟ فقال الراعى : أبادر أيامى الخالية. فعجب ابن عمر وقال : هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك نجتزرها ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها ؟ قال : إنها ليست لى ، إنها لمولاى. قال : فما عسيت أن يقول لك مولاك إن قلت أكلها الذئب ؟ فمضى الراعى وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول فأين الله ؟

قال : فلم يزل ابن عمر يقول : قال الراعى : فأين الله ؟ فما عدا أن قدم المدينة فبعث إلى سيده فأشترى منه الراعى والغنم فأعتق الراعى ووهب له الغنم. رحمه الله.

(٣) أقسم على الله

ابن يزيد بن أسلم قال : قال محمد بن المنكدر إنى لليلة مواجه هذا المنبر جوف الليل أدعو إذا أنا بإنسان عند أسطوانة مقنع رأسه فأسمعه يقول : أى رب إن القحط قد اشتد على عبادك وإنى مقسم عليك يارب إلا سقيتهم.

قال : فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت ثم أرسلها الله عز وجل وكان عزيزا على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير فقال : هذا بالمدينة ولا أعرفه ؟ فلما سلم الإمام تقنع وانصرف واتبعه ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس فدخل موضعا فأخرج مفتاحا ففتح ثم دخل. قال : فرجعت فلما أصبحت أتيته فإذا أنا أسمع نجرا فى بيته فسلمت وقلت أدخل ؟ قال :

ادخل، فإذا هو ينجر أقداحا يعملها. فقلت : كيف أصبحت أصلحك الله ؟ قال : فاستشهرها وأعظمها منى فلما رأيت ذلك قلت : أخى سمعت أقسامك البارحة على الله – عز وجل – يا أخى هل لك فى نفقة تغنيك عن هذا وتفرغك لما تريد من الآخرة ؟ قال : لا ولكن غير ذلك . لا تذكرنى لأحد ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت ولا تأتينى يا ابن المنكدر فإنك إن تأتى تشهرنى للناس. فقلت : إنى أحب أن ألقاك . قال الفتى فى المسجد، وكان فارسيا. قال : فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل.

قل ابن وهب : بلغنى أنه انتقل من تلك الدار فلم يُر ولم يُدر أين ذهب ؟ فقال أهل تلك الدار : الله بيننا وبين ابن المنكدر أخرج عنا الرجل الصالح .

(٤) يستسقى الغمام بوجهه

عن محمد بن المنكدر قال : كانت لى سارية فى مسجد رسول الله ﷺ أجلس أصلى إليها بالليل فقحط أهل المدينة سنة فخرجوا يستسقون فلم يسقوا فلما كان من الليل صليت عشاء الآخرة فى مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت فتساندت إلي ساريتى فجاء رجل أسود تعلوه صفرة متزر بكساء وعلى رقبته كساء أصغر منه. فتقدم إلى السارية التى بين يدى وكنت خلفه، فقام فصلى ركعتين ثم جلس فقال : أى رب خرج أهل حرم نبيك يستسقون فلم تسقهم فأنا أقسم عليك لما سقيتهم.

قال ابن المنكدر : فقلت : مجنون . قال : فما وضع يده حتى سمعت الرعد ثم جاءت السماء بشىء من المطر أهمنى الرجوع إلى أهلى فلما سمع المطر حمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها قط. قال : ثم قال : ومن أنا وما أنا حيث استجبت لى ، ولكنى عذت بحمدك وعذت بطولك. ثم قام فتوشح بكسائه الذى كان متزرا به وألقى الكساء الآخر الذى كان على ظهره فى رجليه، ثم قام

فلم يزل قائما يصلى حتى إذا أحس الصبح سجد وأوتر وصلي ركعتى الصبح ثم أقيمت صلاة الصبح فدخل فى الصلاة مع الناس ودخلت معه فلما سلم الإمام قام فخرج وخرجت خلفه حتى انتهى إلى باب المسجد فخرج يرفع ثوبه ويخوض الماء فخرجت خلفه رافعا ثوبى أخوض الماء فلم أدر أين ذهب.

فلما كانت الليلة الثانية صليت العشاء فى مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت إلى ساريتى فتوسدت إليها وجاء فقام فتوشح بكسائه وألقى الكساء الآخر الذى كان على ظهره فى رجليه وقام يصلى . فلم يزل قائما حتى إذا خشى الصبح سجد ثم أوتر ثم صلى ركعتى الفجر وأقيمت الصلاة فدخل مع الناس فى الصلاة ودخلت معه. فلما سلم الإمام خرج من المسجد وخرجت خلفه فجعل يمشى وأتبعه حتى دخل دار قد عرفتها من دور المدينة ورجعت إلى المسجد.

فلما طلعت الشمس وصليت خرجت حتى أتيت الدار فإذا أنا به قاعد يخرز وإذا هو إسكاف. فلما رآنى عرفنى وقال : أبا عبد الله مرحبا، ألك حاجة، تريد أن اعمل لك خفاً ؟ فجلست فقلت : ألست صاحبى بارحة الأولى ؟ فاسود وجهه وصاح بى وقال : ابن المنكدر ما أنت وذاك؟ قال : وغضب . قال : ففرقت والله منه وقلت : أخرج من عنده الآن.

فلما كان فى الليلة الثالثة صليت العشاء الآخرة فى مسجد رسول الله ﷺ ثم أتيت ساريتى فتساندت إليها فلم يجئ. قال : قلت : إنا لله ما صنعت؟ فلما أصبحت جلست فى المسجد حتى طلعت الشمس ثم خرجت حتى أتيت الدار التى كان فيها فإذا باب البيت مفتوح وإذا ليس فى البيت شىء : فقال لى أهل الدار يا أبا عبد الله ما كان بينك وبين هذا أمس ؟ قلت : ماله ؟ قالوا لما خرجت من عنده أمس بسط كساءه فى وسط البيت ثم لم يدع فى بيته جلدا ولا قالبا إلا وضعه فى كسائه ثم حمله ثم خرج فلم ندر أين ذهب؟

قال محمد بن المنكدر فما تركت بالمدينة دارا أعلمها إلا طلبته فيها فلم أجده رحمه الله.

(٥) يدعو بالمطر

عن محمد بن المنكدر قال : جئت إلى المسجد فإذا أنا برجل عند المنبر يدعو بالمطر فجاء المطر بصوت ورعد فقال : يارب ليس هكذا. قال : فمطرت . قال : فتبعته حتى دخل دار آل حزم أو دار آل عمر فعرفت بمكانه فجئته من الغد فعرضت عليه شيئا فأبى وقال : لا حاجة لى بهذا. فقلت : حج معى. فقال : هذا شيء لك فيه أجر فاكره أن أنفس عليك فأما شيء آخذه فلا .

(٦) سألت الله فأعطانى

عن محمد بن سويد أن أهل المدينة قحطوا وكان فيها رجل صالح لازما لمسجد النبى ﷺ فبينما هم فى دعائهم إذ أنا برجل عليه طِمران خَلِقَان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه إلى الله تعالى ،

فقال : يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة. فلم يرد يده ولم يقطع دعاءه حتى تغشت بالغيوم ومطروا حتى صاح أهل المدينة : الغرق. فقال : يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم.

فسكن وتبع الرجل صاحب المطر حتى عرف موضعه ثم بكر عليه فنادى: يا أهل البيت ! فخرج لرجل فقال : قد أتيتك فى حاجة . قال : وما هى ؟ قال : تخصنى بدعوة فقال : سبحان الله أنت وتسألنى أن أخصك بدعوة ؟ ما الذى بلغك ما رأيت عنى ؟ فأخبره فقال : ورأيتنى ؟ قال : نعم قال : أطعت الله فيما أمرنى ونهانى ، وسألته فأعطانى.

(٧) عابد علوى من أهل المدينة

عن أبى عامر الواعظ قال بينا أنا جالس فى مسجد رسول الله ﷺ إذ جاءنى غلام أسود برقعة فقرأتها فإذا فيها مكتوب.

بسم الله الرحمن الرحيم، متعك الله بمسامرة الفكرة، ونعمك بمؤانسة العبرة : وأفردك بحب الخلوة: يا أبا عامر أنا رجل من إخوانك بلغنى قدومك المدينة فسررت بذلك وأحببت زيارتك وبى من الشوق إلى مجالستك والاستماع إلى محادثتك ما لو كان فوقى لأظلنى، ولو كان تحتى لأقلنى فسألتك بالذى حباك بالبلاغة لما ألحقتنى جناح التوصل بزيارتك والسلام.

قال أبو عامر : فقمت مع الرسول حتى أتى بى إلى قباء فأدخلنى منزلا رحبا خربا فقال لى : قف هاهنا حتى أستأذن لك : فوقفت فخرج فقال لى : لج. فدخلت فيه فإذا بيت مفرد فى الخربة له باب من جريد النخل وإذا بكهل قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوله مكروبا ومن الخشية محزونا قد شهرت فى وجهه أحزانه وذهبت من البكاء عيناه ومرضت أجفانه فسلمت عليه فرد على السلام ثم تحلل فإذا هو أعمى أعرج مسقام فقال لى : يا أبا عامر غسل الله من ران الذنوب قلبك لم يزل قلبى إليك تواقا وإلى استماع الموعظة منك مشتاقا، وبى جرح نغل قد أعيا الواعظين دواؤه وأعجز المتطببين شفاؤه وقد وصف لى : نفع مراهمك للجراح والألم فلا تأل يرحمك الله فى إيقاع الترياق وإن كان مر المذاق فإنى ممن يصبر على ألم الدواء رجاء الشفاء.

قال أبو عامر : فنظرت إلى منظر بهرنى وسمعت كلاما قطعنى فأفكر طويلا ثم تأتى لى من كلامى ما تأتى وسهل من صعوبته ما منه رق لى فقلت : يا شيخ ارم بصر قلبك فى ملكوت الله وأجل سمع معرفتك فى سكان الأرجاء فتنتقل بحقيقة إيمانك إلى جنة المأوى فترى ما أعد الله فيها للأولياء، ثم تشرف

على نار لظى فترى ما أعد الله للأشقياء، فشتان ما بين الدارين، أليس الفريقان فى الأموات سواء ؟

قال أبو عامر : فإنَّ أنَّة وصاح صيحة وزفر والتوى وقال : الله يا أبا عامر وقع دواؤك على دائى وأرجو أن يكون عندك شفائى، زدنى يرحمك الله قال : فقلت له : يا شيخ الله عالم بسريرتك مطلع على حقيقتك شاهدك فى خلوتك، بعينه كنت عند استتارك من خلقه ومبارزته، قال : فصاح صيحة كصيحته الأولى ثم قال : من لفقرى ؟ من لفاقتى، من لذنبى ؟ من لخطيئتى ؟ أنت لى يا مولاى وإليك منقلبى . ثم خر ميتا رحمه الله.

قال أبو عامر : فأسقط فى يدى وقلت : ماذا جنيت على نفسى ؟ إذ خرجت علىّ جارية عليها مدرعة من صوف وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبهتها وأنفها واصفر لطول القيام لونها وتورمت قدماها. فقالت : أحسنت والله يا حادى قلوب العارفين ومثير أشجان غليل المخزونين لانسى لك هذا المقام رب العالمين، يا أبا عامر هذا الشيخ والدى مبتلى بالسقم منذ عشر سنين صلى حتى أقعد وبكى حتى عمى وكان يتمناك على الله ويقول حضرت مجلس أبى عامر البنانى فأحيا موات فكرى وطرد وسن نومى وإن سمعته ثانيا قتلنى فجزاك الله من واعظ ومتعك من حكمتك بما أعطاك.

ثم أكبت على أبيها تقبل عينيه وتبكى وتقول : يا أبى يا أبتاه . يا من أعماه البكاء على ذنبه، يا أبى يا أبتاه يا من قتله ذكر وعيد ربه ثم علا البكاء والنحيب والاستغفار والدعاء وجعلت تقول : يا أبى يا أبتاه يا حليف الحرقة والبكاء يا أبى يا أبتاه يا جليس الابتهال والدعاء، يا أبى يا أبتاه يا صريع المذكرين والخطباء ، يا أبى يا أبتاه ياقتيل الوعاظ والحكماء.

قال أبو عامر : فأجبتها وقلت : أيا الباكية الحيرى النادبة الثكلى إن أباك

نحبه قد قضى وورد دار الجزاء وعاين كل ما عمل، وعليه يحصى فى كتاب عند ربى لا يضل ربى ولا ينسى ، فمحسن فله الزلفى، أو مسىء فوارد دار من أساء.

فصاحت الجارية كصيحة أبيها وجعلت ترشح عرقا وخرجت مبادراً إلى مسجد المصطفى محمد ﷺ وفزعت إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والتضرع والبكاء حتى كان عند العصر فجاءنى الغلام الأسود فآذننى بجنازتهما فقلت أحضر الصلاة عليهما ودفنهما. فحضرت وسألت عنهما فقيل لى : من ولد الحسين بن على بن أبى طالب.

قال أبو عامر : فما زلت جزعا مما جنيت حتى رأيتهما فى المنام عليهما حلتان خضراوان، فقلت : مرحبا بكما وأهلا، فما زلت حذرا مما وعظتكما به، فماذا صنع الله بكما ؟ فقال الشيخ :

أنت شريكى فى الذى نلتـه	مسـتأهلا ذاك أبـا عامـر
وكل مـن أيقـظ ذا غفلـة	فنصـف ما يعطـاه للآمـر
من رد عبـدا آبقـا مذنبـا	كان كمـن قد راقب القاهـر
واجتمعـا فى دار عـدن وفى	جوار رب سـيـد غـافـر

(٨) ظننته الخضر عليه السلام

عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير - وكان معصب يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة ويصوم الدهر - قال : بت ليلة فى المسجد بعد ما خرج الناس منه، فإذا برجل قد جاء إلى بيت النبى ﷺ فأسند ظهره إلى الجدار فقال : اللهم إنك تعلم أنى كنت أمس صائما ثم أمسيت فلم أفطر على شىء اللهم فإنى أمسيت أشتهى الثريد فأطعمنيه من عندك. قال : فنظرت إلى وصيف

داخل من خوخة المنارة ليس فى خلقة وصفاء الناس، ومعه قصعة فأهوى بها الرجل فوضعها بين يديه وجعل الرجل يأكل، وحصبنى فقال : هلم فجئته وظننت أنها من الجنة فأحببت أن آكل منها فأكلت منها لقمة فأكلت طعما لا يشبه طعام أهل الدنيا ثم أحتشمت فقمت فرجعت لمجلسى فلما فرغ من أكله أخذ الوصيف القصعة ثم أهوى راجعا من حيث جاء وقام الرجل منصرفا فتبعته لأعرفه فلا أدرى أين سلك ؟ فظننته الخضر عليه السلام.

(٩) أبو نصر المصاب

عن محمد بن إسماعيل بن أبى فديك قال : كان عندنا رجل مجنون يكنى أبا نصر من جهينة ذاهب العقل فى غير ما الناس فيه. لا يتكلم حتى يُكلم وكان يجلس مع أهل الصُفة فى آخر مسجد الرسول ﷺ، وكان إذا سئل عن شىء أجاب فيه جوابا حسنا معجبا.

فأتيته يوما وهو فى آخر المسجد مع أهل الصفة منكما رأسه واضعا جبهته بين ركبيته فجلست إلى جنبه فحركته فانتبه فزعا فأعطيته شيئا كان معى، فأخذه وقال ، قد صادف منا حاجة. فقلت له : يا أبا نصر ما الشرف ؟ قال : حمل ما ناب العشيرة أدناها وأقصاها، والقبول من محسنها والتجاوز عن مسيئها.

قلت له : فما المروءة ؟ قال : إطعام الطعام، وإفشاء السلام وتوقى الأدناس.

قلت له فما السخاء ؟ قال : جهد مقل. قلت له فما البخل ؟ قال : أف وحول وجهه عنى فقلت : تجيبنى قال : قد أجبتك.

قال : وقدم علينا هارون فأخلى له المسجد فوقف على قبر رسول الله ﷺ وعلى منبره وفى موقف جبريل عليه السلام واعتنق أسطوانة التوبة ثم قال : قفوا

بى على أصحاب الصفة. فلما أتاهم حرك أبو نصر وقيل هذا أمير المؤمنين فرفع رأسه وقال : أيها الرجل إنه ليس بين عباد الله وأمة نبيه ﷺ ورعيتك وبين الله خلق غيرك، وإن الله سائلك عنهم فأعد للمسألة جوابا وقد قال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – لو ضاعت سخلة على شاطئ الفرات لخاف عمر أن يسأله الله عنها.

فبكى هارون وقال : يا أبا نصر إن رعيتى ودهرى على غير رعية عمر ودهره. فقال له : هذا والله غير مغن فانظر لنفسك فإنك وعمر تسألان عما خولكما الله.

فدعا هارون بصرة فيها ثلاث مائة دينار وقال : ادفعوها إلى أبى نصر. فقال أبو نصر: ما أنا إلا رجل من أهل الصُّفَة فادفعوها إلى فلان يفرقها عليهم ويجعلنى رجلا منهم.

وكان أبو نصر يخرج فى كل يوم جمعة، صلاة الغداة، فيدخل السوق مما يلى الثنية فلا يزال يقف على مربعة مربعة ويقول : أيها الناس ﴿ اتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ﴾

إن العبد إذا مات صحبه أهله وماله وعمله، فإذا وضع فى قبره رجع أهله وماله وبقى عمله، فاختاروا لأنفسكم ما يؤنسكم فى قبوركم – رحمكم الله –. ثم لا يزال كذلك مربعة مربعة حتى يأتى مصلى رسول الله ﷺ ثم يمضى إلى الجمعة فلا يخرج من المسجد حتى يصلى العشاء الأخيرة – رحمه الله –.

(١٠) مليكة بنت المنكدر

عن موسى بن عبد الملك أبو عبد الرحمن المروزى قال : قال مالك بن دينار: بينا أنا أطرف بالبيت إذا أنا بامرأة جهيرة فى الحجر وهى تقول أتيتك من شُقة بعيدة مؤملة لمعروفك فأنلنى معروفا من معروفك تغنينى به عن معروف

من سواك، يا معروفا يا لمعروف. فعرفت أيوب السختيانى، فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب : قولى خيرا يرحمك الله قالت : وما أقول أشكو إلى الله قلبى وهواى فقد أضر بى وشغلانى عن عبادة ربى، قوما فإنى أبادر طى صحيفتى.

قال أيوب فما حدثت نفسى بامرأة قبلها فقلت لها : لو تزوجت رجلا كان يعينك على ما أنت عليه. قالت : لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختيانى ما أردته. فقلت أنا مالك بن دينار، وهذا أيوب السختيانى فقالت : أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا : هذه مُليكة بنت المنكدر.

وعن أبى خالد البراد قال : كلمنا ابنة المنكدر فى تخفيف بعض العبادة فقالت : دعونى أبادر على صحيفتى رحمها الله.

(١ ١) فاطمة بنت محمد بن المنكدر

عن إبراهيم بن مسلم القرشى قال : كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمة فإذا جنها الليل تنادى بصوت حزين : هدأ الليل واختلط الظلام وأوى كل حبيب إلى حبيبه وخلوتى بك أيها المحبوب أن تعتقنى من النار. رحمها الله.

(٢ ١) امرأة كانت فى زمن عمر بن لخطاب رضى الله عنه

عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم - قال : بينا أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعس المدينة إذ أعيا واتكأ على جانب جدار فى جوف الليل وإذا امرأة تقول لابنتها : يا ابنتى قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء. فقالت

لها : يا أمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت : وما كان من عزمته يا بنية قالت : إنه أمر مناديا فنادى ألا يشاب اللبن بالماء فقالت لها يا بنية قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر. فقالت الصبية لأمها يا أمتاه ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء.

وعمر يسمع كل ذلك فقال : يا أسلم علم الباب واعرف الموضع. ثم مضى فى عسسه حتى أصبح فلما أصبح قال : يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها؟ وهل لهم من بعل ؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها وإذا تيك أمها وإذ ليس لهم رجل.

فأتيت عمر بن لخطاب فأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم فقال : هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه، ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه المرأة فقال عبد الله لى زوجة، وقال عبد الرحمن : لى زوجة، وقال عاصم : يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتا وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز.

(١٣) بكت حتى ماتت

عن عبد الله بن المبارك أن امرأة قالت لعائشة اكشفى لى عن قبر النبى ﷺ فكشفت لها عنه فبكت حتى ماتت.

(١٤) امرأة تائبة

عن إبراهيم بن عبد الله المدينى قال : حدثنى أصحابنا أن امرأة كانت بالمدينة ترهق فدخلت المقابر ذات يوم فإذا هى بجمجمة قد بدت. فوالله ما عاودتنى تلك الوسوسة بعد تلك الليلة.

قال : فصرخت . ثم رجعت منيبة، فدخل عليها نساؤها فقلن ما هذا؟ فقلت :

بكى قلبى لذكـر الموت لـما رأيت جماجما جوف القبور

ثم قالت : اخرجن عنى .

ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت على ذلك.

(١٥) امرأة تجتهد فى العبادة

عن أبى أيوب رجل من قريش، أن امرأة من أهله كانت تجتهد فى العبادة وتديم الصيام وتطيل القيام فأتاها الملعون فقال : إلى كم تعذبين هذا الجسم وهذه الروح ؟ لو أفطرت وقصرت عن الصيام والقيام كان أدوم لك وأقوى.

قالت : فلم يزل يوسوس لي حتى هممت والله بالتقصير.

قالت : ثم دخلت مسجد رسول الله ﷺ وذلك بين المغرب والعشاء فحمدت الله وصليت على رسوله ثم ذكرت ما نزل بى من وسواس الشيطان واستغفرت وجعلت أدعو الله أن يصرف عنى كيده ووساوسه. قالت : فسمعت صوتا من ناحية القبر يقول :

﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾

قالت فرجعت مذعورة وجلة القلب فوالله ما عاودتنى تلك الوسوسة بعد تلك الليلة.

(١٦) أقسمها بيننا

عن عبد الله بن أخت مسلم بن سعد أنه قال : أردت الحج فدفع إلى خالى مسلم عشرة آلاف درهم وقال لى : إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعطهم إياها. فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة فدللت على

أهل بيت فطرقت الباب فأجابتنى امرأة : من أنت ؟ فقلت : أنا رجل من أهل بغداد أودعت عشرة آلاف وأمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة وقد وصفتم لى فخذوها فقالت : يا عبد الله إن صاحبك اشترط أفقر أهل بيت وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منا فتركتهم وأتيت أولئك. فطرقت الباب فأجابتنى امرأة فقلت لها مثل الذى قلت لتلك المرأة فقالت : يا عبد الله نحن وجيراننا فى الفقر سواء فاقسمها بيننا وبينهم.

(١٧) عبيد بن عمير بن قتادة الليثى

يكنى أبا عاصم

عن مجاهد قال : كنا نفتخر بفقيهنا وقاضينا : فأما فقيهنا فابن عباس وأما قاضينا فعبيد بن عمير.

وعنه عن عبيد بن عمير قال : إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه، وبخلتم بالمال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه فأكثروا من ذكر الله عز وجل.

وعنه عن عبيد بن عمير قال : ما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيما مضى.

وعن قيس بن سعد عن عبيد بن عمير قال : إن أهل الجنة ليتلقون الميت كما يتلقى الراكب يسألونه فإذا سألوه ما فعل فلان ؟ فمن كان قد مات يقول : ألم يأتكم ؟ فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهب به إلى أمه الهاوية.

أسند عبيد بن عمير عن : أبى بن كعب وأبى ذر وأبى قتادة وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن عمرو وأبى هريرة وابن عباس وعائشة فى جماعة من الصحابة.

وروى عنه من كبار التابعين : مجاهد وعطاء وأبو حازم فى آخرين رحمه الله.

(١٨) مجاهد بن جيبر يكنى أبا الحجاج

قال عبد الرحمن بن أبى حاتم هو مولى عبد الله بن السالب بن أبى السائب المخزومى ويقال مولى زيد بن الحارث المخزومى.

عن الأعمش قال : كنت إذا رأيت مجاهدا ظننت أنه خر بندج ضل حماره فهو مهتم. وعن ليث عن مجاهد قال : من أعز نفسه أذل دينه ومن أذل نفسه أعز دينه[1].

وعنه عن مجاهد قال : إن الله عز وجل ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده.

وعنه عن مجاهد قال إن العبد إذا أقبل إلى الله عز وجل بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه ؟

وعنه عن مجاهد قال : لا تحد النظر إلى أخيك ولا تسأله من أين جئت وأين تذهب . وعنه عن مجاهد قال : كانوا يكتفون من الكلام باليسير. عن محمد بن إسحاق بن أبان بن صالح عن مجاهد قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه على كل آية أساله كيف أنزلت وكيف كانت ؟ وعن خالد بن زيد عن مجاهد قال : إن القرآن يقول إنى معك ما اتبعتنى فإذا لم تعمل بى اتبعتك . وعن مجاهد قال : إن لبنى آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل أخاه المسلم بخير قالت الملائكة : ولك بمثله، وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة : ابن آدم المستور عورته أربع على نفسك واحمد الله الذى ستر عورتك. وعن عمر بن ذر قال : قال مجاهد : ما من مرض يمرضه العبد إلا ورسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه العبد أتاه ملك الموت فقال : أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا.

---

(١) يذل نفسه لله تعالى .

وعن مجاهد قال : يؤمر بالعبد إلى النار يوم القيامة فيقول : ما كان هذا ظنى؟ فيقول : ما كان ظنك ؟ فيقول أن تغفر لى فيقول خلوا سبيله . وعن الأعمش عن مجاهد قال : كان بالمدينة أهل بيت ذوو حاجة عندهم رأس شاة فأصابوا شيئا فقالوا : لو بعثنا هذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا. قال : فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم . وعنه قال : كنا عند مجاهد فقال : القلب هكذا، وبسط كفه، فإذا أذنب الرجل ذنبا قال : هكذا، وعقد واحدا. ثم أذنب وعقد اثنين ثم ثلاثا ثم أربعا ثم رد الإبهم على الأصابع فى الذنب الخامس ثم يطبع على قلبه.

قال مجاهد : فأيكم يرى أنه لم يطبع على قلبه. وعن عمر بن ذر عن مجاهد قال : إذا أراد أحدكم أن ينام فليستقبل القبلة ولينم على يمينه وليذكر الله وليكن آخر كلامه عند منامه : لا إله إلا الله فإنها وفاء لا يدرى لعلها تكون منيته ثم قرأ ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ﴾ .

أسند مجاهد عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ورافع بن خديج فى آخرين وحدث عن عائشة إلا أن حديثه عنها مرسل لأنه لم يسمع منها. وحدث عنه من أعلام التابعين : عطاء وطاوس وعكرمة. فى خلق كثير.

وفاتـــــه

قال الفضل بن دكين : مات مجاهد سنة اثنتين ومائة يوم السبت وهو ساجد وقال يوسف بن سليمان توفى مجاهد بمكة سنة ثلاث ومائة.

وعن يحيى بن سعيد قال : مات مجاهد ستة أربع ومائة وقال ابن جريج بلغ مجاهد يوم مات ثلاثا وثمانين سنة. رحمه الله تعالى .

(١٩) عطاء بن أبي رباح

واسم أبى رباح أسلم . وكان عطاء من مولدى الجند نشأ بمكة وهو مولى آل أبى ميسرة الفهرى. وكان عطاء يكنى أبا محمد.

عن أبى عبد الله يعنى أحمد بن حنبل قال : العلم خزائن يقسم الله لمن أحب، لو كان يخص بالعلم أحداً لكان بيت النبى ﷺ أولى، كان عطاء بن أبى رباح حبشيا وكان يزيد بن أبى حبيب نوبيا أسود وكان الحسن مولى للأنصار وكان ابن سيرين مولى للأنصار.

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربى : كان عطاء بن أبى رباح عبدا أسود لامرأة من أهل مكة وكان أنفه كأنه باقلاة قال : وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلى فلما صلى انفتل إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم. ثم قال سليمان لابنيه : قوما فقاما فقال : يا ابنى لاتنيا فى طلب العلم فإنى لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

وعن أحمد بن محمد قال : كانت الحلقة فى الفتيا بمكة فى المسجد الحرام لابن عباس وعبد ابن عباس لعطاء بن أبى رباح.

وعن سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحدا يريد بهذا لعلم وجه الله عز وجل غير هؤلاء الثلاثة عطاء وطاوس ومجاهد.

وعن ابن جريج قال :كان المسجد فراش عطاء بن أبى رباح عشرين سنة.

وعن عمر بن ذر قال : ما رأيت مثل عطاء قط وما رأيت على عطاء قميصا قط ولا رأيت عليه ثوبا يساوى خمسة دراهم.

وعن إسماعيل بن أمية قال : كان عطاء يطيل الصمت فإذا تكلم يخيل

إلينا أنه يؤيد وعن عمرو بن سعيد عن أمه قالت : قدم ابن عمر مكة فسألوه فقال : أتجمعون لى يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبى رباح ؟!. وعن عبد الله بن إبراهيم بن عمرو بن كيسان قال : أخبرنى أبى قال : أذكرهم فى زمان بنى أمية يأمرون فى الحاج صائحا يصيح لا يفتى الناس إلا عطاء بن أبى رباح فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن أبي نجيح. وعن الأوزاعى قال : ما رأيت أحدا أخشع لله من عطاء ولا أطول حزنا من يحيى بن أبى كثير.

وعن يعلى بن عبيد قال : دخلنا على محمد بن سوقة فقال : أحدثكم بحديث لعله أن ينفعكم فإنه قد نفعنى ثم قال : قال لنا عطاء بن أبى رباح يا بنى أخى إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضوله ما عدا كتاب لله عز وجل أن تقرأه وتأمر بمعروف أو تنهى عن منكر أو تنطق بحاجتك فى معيشك التى لابد لك منها. أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد؟ أما يستحيى أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التى أمل صدر نهاره فإن أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

وعن ابن جريج قال كان عطاء بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتى آية من البقرة وهو قائم ما يزول منه شيء ولا يتحرك . وعن ابن عيينة قال : قلت لابن جريج ما رأيت مصليا مثلك. قال لو رأيت عطاء وعن معاذ بن سعيد قال : كنا عند عطاء بن أبى رباح فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر فى حديثه فقال عطاء : سبحان لله ما هذه الأخلاق ما هذه الأخلاق ؟ إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به فأريه أنى لا أحسن منه شيئا.

وعن عثمان بن الأسود قال : قلت لعطاء : الرجل يمر بالقوم فيقذفه بعضهم، أيخبره ؟ قال : لا المجالس بالأمانة. وعن ابن أبى ليلى قال : حج عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة - أسند عطاء عن ابن عمر وابن عمرو وأبى

سعيد وأبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى وابن عباس وابن الزبير فى آخرين من الصحابة. ومات عطاء بمكة فى سنة خمس عشرة ومائة، وقيل سنة أربع عشرة وهو ابن ثمان وثمانين سنة. رحمه الله .

(٢٠) عبد الله بن عيد بن عمير
وكان من أفصح أهل مكة

عن هارون البربرى عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : الإيمان قائد والعمل سائق والنفس حرون فإذا ونى قائدها لم تستقم لسائقها وإذ ونى سائقها لم تستقم لقائدها ولا يصلح هذا إلا مع هذا حتى تقوم على الخير الإيمان بالله مع العمل لله والعمل لله مع الإيمان بالله . وعن الوصافى عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : لا ينبغى لمن أخذ بالتقوى وزين بالورع أن يذل لصالح الدنيا .

وعن وهب بن جرير قال أنبأ أبى قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : بعث سليمان بن داود إلى مارد من مردة الجن فأتى به فلما كان على باب سليمان أخذ عودا وذرعه بذراعه ثم رمى به من وراء الحائط فوقع بين يدى سليمان فقال : ما هذا؟ فأخبر بما صنع المارد فقال : أتدرون ما أراد ؟ قالوا : لا . قال : يقول : اصنع ماشئت فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض.

أسند عبدالله عن أبيه وغيره وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائة بمكة. وكان صالحا.

(٢١) عبد الله بن عبد العزيز
ابن جريج مولى أمية بن خالد

يكنى أبا الوليد عن عبد الرزاق قال كنت إذا رأيت ابن جريج علمت أنه يخشى الله وما رأيت مصليا مثله قط. وعنه قال : أهل مكة يقولون أخذ ابن

جريج الصلاة من عطاء وأخذها عطاء من ابن الزبير وأخذها ابن الزبير من أبى بكر الصديق وأخذها أبو بكر من النبى ﷺ . قال عبد الرزاق : وكان ابن جريج حسن الصلاة. وعن مالك بن أنس قال : كان ابن جريج صاحب ليل. سمع ابن جريج من طاوس مسألة واحدة ومن مجاهد حرفين من القرآن وسمع الكثير من عطاء بن أبى رباح.

وكان عطاء يقول : هو سيد شباب أهل الحجاز، وسمع من عمرو بن دينار وأبى الزبير وابن المنكدر ونافع والزهرى فى خلق كثير. وقيل أنه أول من صنف الكتب.

وتوفى سنة خمسين، وقيل إحدى وخمسين ومائة وقيل تسع وأربعين رحمه الله تعالى.

(٢٢) محمد بن طارق المكى

روى عن طاوس ، وروى عن الثورى.

عن محمد بن فضيل قال : رأيت ابن طارق فى الطواف قد انفرج له أهل الطواف عليه نعلان مطرقتان فحزروا طوافه فى ذلك الزمان فإذا هو يطوف فى اليوم والليلة عشرة فراسخ.

وعنه قال : سمعت ابن شبرمة يقول :

لو شئـت كنت ككرز فـى تعبده أو كابن طارق حول البيت والحرم

قد حاول دون لذيذ العيش خوفهما وسارعا فـى طلاب الفوز والكرم .

قال : وكان محمد بن طارق يطوف فى اليوم والليلة سبعين أسبوعا وكان كرز يختم لقرآن فى كل يوم وليلة ثلاث ختمات . وعن ابن شبرمة قال لو اكتفى أحد بالتراب كفى ابن طارق كف من تراب رحمه الله.

(٢٣) عثمان بن أبى دهرش المكى

يروى عن رجل من آل الحكم عن النبى ﷺ. روى عنه ابن عيينة عن عبد الله بن المبارك عن عثمان بن أبى دهرش أنه كان إذا رأى الفجر قد أقبل عليه تنبه وقال : أصير الآن مع الناس ولا أدرى ما أجنى على نفسى.

وقال عثمان بن أبى دهرش : ما صليت صلاة قط إلا استغفرت الله تعالى من تقصيرى فيها.

(٢٤) وهيب بن الورد بن أبى الورد

مولى بنى مخزوم. يكنى أبا أمية. وقيل أبا عثمان . وكان إسمه عبد الوهاب فصغر فقيل وهيب.

عن سفيان بن عيينة عن وهيب بن الورد قال : بينا أنا واقف فى بطن الوادى إذا أنا برجل قد أخذ بمنكبى فقال : يا وهيب خف الله لقدرته عليك واستحى منه لقربه منك . قال : فالتفت فلم أر أحداً.

وعن بشر بن الحارث قال : أربعة رفعهم الله بطيب المطعم وهيب بن الورد، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط وسالم الخواص.

وعن زهير بن عباد قال : كان فضيل بن عياض ووهيب بن الورد وعبد الله بن المبارك جلوسا فذكروا الرطب فقال وهيب : أو قد جاء الرطب ؟ فقال : عبد الله بن المبارك : رحمك الله هذا آخره أو لم تأكله قال : لا : ولم ؟ قال وهيب: بلغنى أن عامة أجنة مكة من الصوافى والقطائع فكرهتها. فقال عبد الله بن المبارك : يرحمك الله أو ليس قد رخص فى الشرى من السوق إذا لم تعرف الصوافى والقطائع منه وإلا ضاق على الناس خبزهم ؟ أو ليس عامة ما يأتى من قمح مصر إنما هو من الصوافى والقطائع ؟ ولا أحسبك تستغنى عن القمح فسهل عليك قال : فصعق.

قال الفضيل لعبد الله : ما صنعت بالرجل فقال ابن المبارك : ما علمت أن كل هذا الخوف قد أعطيه فلما أفاق وهيب قال : يا ابن المبارك دعنى من ترخيصك، لا جرم لا آكل من القمح إلا كما يأكل المضطر من الميتة ، فزعموا أنه نحل جسمه حتى مات هزلا.

أبو بكر المروزى قال : قال قادم الديلمى: قيل لوهيب بن الورد : ألا تشرب من زمزم ؟ قال بأى دلو ؟

قال شعيب بن حرب ما احتملوا لأحد ما احتملوا لوهيب، كان يشرب بدلوه.

وعن وهيب المكى قال : يقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى وعظمتى ما من عبد آثر هواى على هواه إلا أقللت همومه، وجمعت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وعزتى وعظمتى وجلالى ما من عبد آثر هواه على هواى إلا كثرت همومه، وفرقت عليه ضيعته، ونزعت الغنى من قلبه، وجعلت الفقر بين عينيه ثم لم أبال فى أى أوديتها هلك.

وقال عبد الرحمن العراقى : قال وهيب بن الورد خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى ذنبا بينى وبينه، ولا وصلنى إذا قطعته، ولا ستر على عورة، ولا أمنته إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير.

وكان سفيان الثورى إذا حدث الناس فى المسجد الحرام وفرغ قال : قوموا إلى الطبيب، يعنى وهيباً.

وعن ابن المبارك قال : ما جلست إلى أحد كان أنفع لى مجالسة من وهيب كان لا يأكل من الفواكه وكان إذا انقضت السنة وذهبت الفواكه يكشف عن بطنه وينظر إليه ويقول : يا وهيب ما أرى بك بأسا، ما أرى تركك الفواكه ضرك شيئاً.

وعن محمد بن مزاحم عن وهيب بن الورد قال : وجدت العزلة اللسان.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب بن الورد كان يقال الحكمة عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى الصمت والعاشرة عزلة الناس قال : فعالجت نفسى على الصمت فلم أجدنى أضبط كل ما أريد منه، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس.

وعن ابن أبى رواد قال : انتهيت إلى رجل ساجد خلف المقام فى ليلة باردة مطيرة يدعو ويبكى فطفت أسبوعا. ثم عدت فوجدته على حاله فقمت قريبا منه الليل كله فلما أدبر الليل سمعت هاتفا يقول : يا وهيب ابن الورد ارفع رأسك فقد غفر لك . قال : فلم أر شيئا. فلما برق الصبح رفع رأسه ومضى فاتبعته فقلت أو ما سمعت الصوت فقال : وأى صوت فأخبرته فقال لا تخبر به أحدا فما حدثت به أحدا حتى مات وهيب.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب : عجبا للعالم كيف تجيبه دواعى قلبه إلى ارتياح الضحك وقد علم أن له فى القيمة روعات ووقفات وفزعات؟ ثم غشى عليه.

وعنه قال : كانوا يرون الرؤيا لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أُخْبِر بها اشتد بكاؤه وقال : قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان.

وعنه قال : حلف وهيب بن الورد ألا يراه الله ضاحكا ولا أحد من خلقه حتى يعلم ما يأتى به رسل ربه . قال : فسمعوه عند الموت يقول وفيت لى ولم أف لك.

وعن عبد الرزاق قال : سمعت وهيب بن الورد يقول : من عد كلامه من عمله قل كلامه.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب بن الورد لو أن علماءنا،

عفا الله عن وعنهم، نصحوا لله فى عباده فقالوا : يا عباد الله اسمعو ما نخبركم عن نبيكم ﷺ، وصالح سلفكم من الزهد فى الدنيا فاعملوا به ولا تنظروا إلى أعمال هذه الفسقة كانوا قد نصحوا لله فى عباده، ولكنهم يأبون إلا أن يجروا عباد الله إلى فتنتهم وما هم فيه.

وعن عبد الله بن المبارك قال : قيل لوهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعصى الله ؟ قال : لا ولا من يهم بالمعصية.

وعن جرير بن حازم عن وهيب قال : بلغنى أن موسى عليه السلام قال : يارب أخبرنى عن آية رضاك عن عبدك فأوحى الله تعالى إليه إذا رأيتنى أهيىء له طاعتى وأصرفه عن معصيتى فذاك آية رضاى عنه.

وعن محمد بن يزيد قال سمعت وهيبا يقول ضرب لعلماء السوء مثل فقيل: إنما مثل عالم السوء كمثل الحجر فى الساقية فلا هو يشرب الماء ولا هو يخلى الماء إلى الشجر فيحيا به.

وعنه عن وهيب قال : بلغنا أن عيسى عليه السلام مر ورجل من حوارييه بلص فى قلعة له فلما رآهما اللص ألقى الله فى قلبه التوبة. قال : فقال فى نفسه: هذا عيسى ابن مريم - عليه السلام - روح الله وكلمته، وهذا فلان حواريه، ومن أنت ؟ يا شقى؟ لص بنى إسرائيل، قطعت الطريق وأخذت الأموال وسفكت الدماء. ثم هبط إليهما تائبًا نادمًا على ما كان منه.

فلما لحقهما قال لنفسه تريد أن تمشى معهما ؟ لست لذلك بأهل، امش خلفهما كما يمشى الخطاء المذنب مثلك. قال : فتلفت إليه الحوارى فعرفه فقال فى نفسه :انظر إلى هذا الخبيث الشقى ومشيه وراءنا. قال :فاطلع الله على ما فى قلوبهما، من ندامته وتوبته ومن إزدراء الحوارى إياه وتفضيله نفسه عليه.

قال فأوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم أن مر الحوارى ولص بن

إسرئيل أن يأتنفا العمل جميعا : أما اللص فقد غفرت له ما قد مضى لندامته وتوبته، وأما الحوارى فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وإزدرائه هذا التواب.

قال وهيب : وبلغنا أن الخبيب إبليس تبدى ليحيى بن زكريا - عليهما السلام - فقال له : إنى أريد أن أنصحك . قال : كذبت أنت لا تنصحنى ولكن اخبرنى عن بنى آدم. قال : هم عندنا على ثلاثة أصناف : أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا، نقبل حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه، ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا. فنحن من ذلك فى عناء.

وأما الصنف الآخر فهم بين أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا. فقد كفونا أنفسهم.

وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء.

فقال له يحيى : على ذاك هل قدرت منى على شيء ؟ قال : لا إلا مرة واحدة فإنك قدمت طعاما تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت أكثر مما تريد. فنمت تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها.

قال : فقال له يحيى لا جرم لا شبعت من طعام أبداً حتى أموت. فقال له الخبيث : لا جرم لا نصحت آدميا بعدك.

محمد بن زيد قال : رأيت وهيب بن الورد صلى ذات يوم العيد. فلما انصرف الناس جعلوا يمرون به فنظر إليهم ثم زفر ثم قل : لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مستيقنين أنه قد تقبل منهم شهرهم هذا لكان ينبغى لهم أن يكونوا مشاغيل بأداء الشكر عما هم فيه، وإن كانت الأخرى لقد كان ينبغى أن يصبحوا أشغل وأشغل.

ثم قال : كثيرا ما يأتينى من يسألنى من إخوانى فيقول : يا أبا أمية، ما

بلغك عمن طاف سبعا بهذا البيت ما له من الأجر ؟ فأقول : يغفر الله لنا ولكم بل سلوا عما أوجب الله تعالى من أداء الشكر فى طواف هذا السبع ورزقه إياه حين حرم غيره. قال : فيقولون إنا نرجو. فيقول وهيب : فلا والله ما رجا عبد قط حتى يخاف. ثم يقول كيف تجترئ أن ترجو رضا من لا يخاف غضبه ؟ إنما كان الراجى خليل الرحمن إذ يخبرك الله عز وجل عنه قال :

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا ﴾

ثم قال : ﴿ والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ﴾ .

وعن على بن أبى بكر قال : اشتهى وهيب لبنا فجاءته خالته به من شاة لآل عيسى ابن موسى . قال : فسألها عنه فأخبرته فأبى أن يأكله فقالت له : كل. فأبى . فعاودته وقالت له : إنى أرجو إن أكلته أن يغفر الله لك أى باتباع شهوتى. فقال : ما أحب أنى أكلته وأن الله تعالى غفر لى . فقالت : لم ؟ قال : إنى أكره أن أنال مغفرته بمعصيته.

وعن عمرو بن محمد بن أبى رزين قال : وسمعت وهيبا يقول : إن العبد ليصمت فيجتمع له لبه.

وسمعته يقول لا يكن هم أحدكم فى كثرة العمل، ولكن ليكن همه فى إحكامه وتحسينه، فإن العبد قد يصلى وهو يعصى الله فى صلاته، وقد يصوم وهو يعصى الله فى صيامه.

وعن مؤمل قال : سمعت وهيب يقول لو قمت قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك ؟ حلال أو حرام ؟

وعن محمد بن يزيد عن وهيب قال : بلغنا، والله أعلم، أن موسى – عليه السلام – قال : يارب أوصنى . قال : أوصيك بى . قالها ثلاثاً، كل ذلك يقول :

أوصيك بى . حتى قال فى الآخرة : أوصيك بى ألا يعرض لك أمر إلا آثرت فيه محبتى على ما سواها فمن لم يفعل ذلك لم أرحمه ولم أزكه .

وعن ابن المبارك، عن وهيب قال اتق أن تسب إبليس فى العلانية وأنت صديقه فى السر.

وعن أبى صالح الجدى قال : صليت إلى جنب وهيب العصر. فلما صلى جعل يقول : اللهم إن كنتُ نقصتُ منها شيئا أو قصرتُ فيها فاغفر لى . قال : فكأنه قد أذنب ذنبا عظيما يستغفر منه.

وعن بشر بن الحارث قال : كان وهيب بن الورد تبين خضرة البقل من بطنه من الهزال والبقل هو الفول .

وعنه قال : بلغنا أن وهيبا كان إذا أتى بقرصته بكى حتى يبلها، والقرصة هو الرغيف.

أدرك وهيب بن الورد جماعة من التابعين : كعطاء بن أبى رباح ومنصور بن زاذان وابان بن أبى عياش . وكان مشغولا عن الرواية بالتعبد . على أنه قد نقل عنه حديث حسن.

ومات فى سنة ثلاث وخمسين ومائة رحمه الله.

(٢٥) عبد العزيز بن أبى رواد

مولى المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة عن شقيق البلخى قال : ذهب بصر عبد العزيز بن أبى رواد عشرين سنة لم يعلم به أهله ولا ولده. فتأمله ابنه ذات يوم فقال له يا أبت ذهبت عينك ؟ قال : نعم يا بنى ، الرضا عن الله تعالى أذهب عين أبيك منذ عشرين سنة. وعن شعيب بن حرب قال جلست إلى عبد العزيز بن أبى رواد خمسمائة مجلس فما أحسب صاحب الشمال كتب شيئاً.

وعن يوسف بن أسباط قال : مكث عبد العزيز بن أبى رواد أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء ، فبينما هو يطوف حول الكعبة إذ طعنه المنصور أبو جعفر فى خاصرته بإصبعه، فالتفت إليه فقال : قد علمت أنها طعنة جبار.

وعن خلاد بن يحيى قال : حدثنا عبد العزيز بن أبى رواد قال : كان يقال: من رأس التواضع بالدون من شرف المجالس. وكان يقول : فى رأس كل إنسان حكمة آخذ بها ملك، فإن تواضع لربه رفعه. وقال : انتعش رحمك الله، وإن تكبر قمعه وقال : اخسأ خسأك الله.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال رجل لعبد العزيز بن أبى رواد : كيف أصبحت ؟ فبكى وقال : أصبحت والله فى غفلة عظيمة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بى، وأجل يسرع كل يوم فى عمرى، وموئل لست أدرى علام أهجم ؟ ثم بكى. وعن سعيد بن سالم القداح قال : سمعت عبد العزيز بن أبى رواد يقول لرجل : من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشىء. الإسلام ، والقرآن ، والمشيب . أسند عبد العزيز بن أبى رواد عن جماعة من كبار التابعين : كعطاء وعكرمة ونافع . وتوفى بمكة سنة تسع وخمسين ومائة.

(٢٦) زمعة بن صالح المكى

روى عن سلمة بن وهرام وابن طاوس وروى عنه وكيع .

عن القسم بن راشد الشيبانى : قال كان زمعة نازلا عندنا وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلى ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته.

يا أيها الركب المعرسونا   أكل هذا الليـــل ترقدونـا

ألا تقومـــون فترحلونـــا

قال فيتوائبون فيسمع من هاهنا باك، ومن هاهنا داع، ومن هاهنا قارئ،

ومن هاهنا متوضئ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته : عند الصباح يحمد القوم السرى. - رحمه الله -.

(٢٧) سفيان بن عيينة بن أبى عمران
يكنى أبا محمد

وهو مولى لبنى عبد الله بن روية. ولد بالكوفة وسكن مكة.

عن محمد بن عمر قال : أنبأ سفيان أنه ولد سنة سبع ومائة وكان أصله من الكوفة وكان أبوه من عمال خالد بن عبد الله القسرى فلما عزل خالد عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفى طلب عمال خالد فهربوا منه فلحق عيينة بمكة فنزلها.

إبراهيم بن إزداد الرافقى قال : قال سفيان بن عيينة لما بلغت خمس عشرة سنة دعانى أبى فقال لى : يا سفيان قد انقطعت عنك شرائع الصبا فاحتفظ من الخير تكن من أهله، ولا يغرنك من اغتر بالله فمدحك بما يعلم الله خلافة منك، فإنه ما من أحد يقول فى أحد من الخير إذا رضى إلا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط. فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء لا تقل أحسن ظنى بك إلى غير ذلك ولن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم . قال سفيان : فجعلت وصية أبى قبلة أميل معها ولا أميل عنها.

وعن صامت بن معاذ قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من تزين للناس بشىء يعلم الله منه غير ذلك شانه ذلك . وعن النعمان قال : سمعت ابن عيينة يقول : ليس من حب الدنيا طلبك ما لابد منه . وعن محمد بن ميمون الخياط قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول إذا كان نهارى نهار سفيه وليلى ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذى كتبت ؟

وعن على بن الجعد قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من زيد فى عقله نقص من رزقه. وعن ابن الأعرابى قال : قال سفيان بن عيينة : أرفع الناس منزلة من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء . وعن على بن الحسن قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من رأى أنه خير من غيره فقد استكبر وذلك أن إبليس إنما منعه من السجود لآدم عليه السلام استكباره.

وعن سعيد بن داود عن ابن عيينة قال : من كانت معصيته فى الشهوة فارج له التوبة فان آدم عصى مشتهيا فغفر له فإذا كانت معصيته فى كبر فاحش على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبرا فلعن.

وعن بقية عن سفيان قال : أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن أول من مات إبليس، وذلك أنه أول من عصانى وأنا أعد من عصانى من الموتى.

وعن إسحاق بن منيب قال : قال سفيان بن عيينة لم يُعرفوا حتى أحبوا أن لا يُعرفوا. وعن بكر العابد قال : قلت لسفيان بن عيينة يا أبا محمد أبلغك أن الناس يزدحمون يوم القيامة؟ فقال : الأقدام يوم القيامة هكذا ووضع يده فوق الأخرى، ثم قال بكر : بلغنى أن الناس يخرجون من قبورهم وهم يقولون الماء الماء، العطش العطش.

وعن موسى بن إسماعيل قال : سمعت ابن عيينة يقول : أصابتنى ذات يوم رقة فبكيت فقلت فى نفسى لو كن بعض أصحابنا لرق معى ثم غفوت فأتانى آت فى منامى فرفسنى وقال : يا سفيان خذ أجرك ممن أحببت أن يراك.

ابن وهب قال : قال سفيان بن عيينة : إنما منزلة الذى يطلب العلم ينتفع به بمنزلة العبد يطلب كل شىء يرضى سيده يطلب التحبب إليه والتقرب إليه والمنزلة عنده لئلا يجد عنده شيئا يكرهه .

وعن حرملة بن يحيى قال : أخذ سفيان بن عيينة بيدى فأقامنى فى ناحية

فأخرج من كمه رغيف شعير وقال لى : دع يا حرملة ما يقول الناس هذا طُعمى منذ ستين سنة.

وعن أبى جعفر الحذاء قال : سمعت ابن عيينة يقول : إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجور. محمد بن صباح يقول : أنبأ سفيان بن عيينة : إذ ترك العالم لا أدرى أصيبت مقاتله . وعن حيان بن نافع بن صخر بن جويرية قال : كان سفيان بن عيينة بعد ما أسن يتمثل بهذا البيت.

يعمـــر واحـــد فيغـــر قومـــاً ... وينسى من يموت من الصغار

وعن عبيد الله بن عائشة قال : قال سفيان بن عيينة . لولا أن الله عز وجل طمأن بن آدم بثلاث ما أطاقه شيء وإنهن لفيه وأنه على ذلك لوثاب : الفقر، والمرض، والموت . وعن حيان بن صخر بن جويرية قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول ليس يضر المدح من عرف نفسه. وعن أبى معمر عن ابن عيينة قال : العلم إن لم ينفعك ضرك. وعن أبى موسى الأنصارى قال : قال سفيان : إن من توقير الصلاة أن تأتى قبل الإقامة.

وعن إسحاق بن أبى إسرائيل قال : سمعت سفيان بن عيينة قال : يقال : اسلكوا سبل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها.

وعن الحسن بن هارون عن سليمن قال : ثنا سفيان بن عيينة قال : كان يقال : الأيام ثلاثة : فأمس حكيم مؤدب ترك حكمته وأبقاها عليك، واليوم صديق مودع كان عنك طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته وهو عنك سريع الظعن، وغدا لا تدرى أتكون من أهله أو لا تكون . وعن عبد الله بن وهب قال : ثنا سفيان بن عيينة قال : لم يجتهد أحد قط اجتهادا ولم يتعبد أحد قط عبادة أفضل من ترك ما نهى الله عنه.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : ثنا سفيان بن عيينة قال كان يقال : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملا منه ، ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به.

وعن أبى السرى منصور بن عرار قال : تكلمت فى مجلس فيه سفيان بن عيينة وفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك فأما سفيان فتغرغرت عيناه ثم نشفت الدموع. وأما ابن المبارك فسالت دموعه . وأما الفضيل فانتحب.

فلما قام فضيل وابن المبارك قلت لسفيان : يا أبا محمد ما منعك أن يجيء منك مثل ما جاء من صاحبيك ؟ قال : هكذا أكمد للحزن ، إن الدمعة إذا خرجت استراح القلب. وعن عيسى بن أبى موسى الأنصارى قال : سمعت سفيان بن عيينة، وسئل عن حد الرضا عن الله تعالى ، فقال : الراضى عن الله لا يتمنى سوى المنزلة التى هو فيها.

وعن حامد بن عمرو البكروى قال : سمعت عبد الله بن ثعلبة يقول لسفيان بن عيينة : يا أبا محمد وأحزناه على الحزن. فقال سفيان : يا عبد الله هل حزنت قط لعلم الله جل وعز فيك : فقال عبد الله : آه تركتنى لا أفرح . وعن سفيان قال : قال الأحنف : قال لنا عمر بن الخطاب : تفقهوا قبل أن تسودوا قال سفيان : لأن الرجل إذا فقه لم يطلب السؤدد. أدرك سفيان بن عيينة ستة وثمانين نفسا من أعلام التابعين، وأسند عن جمهورهم: كعمر بن دينار والزهرى وابن المنكدر وأبى حازم والأعمش وأيوب.

وحدث عنه من كبار الأئمة : الثورى ، وشعبة، والأعمش ، والأوزاعى.

وفاته ومبلغ سنه

عن سليمان بن أيوب قال : سمعت ابن عيينة يقول شهدت ثمانين موقفا.

وعن الحسن بن عمران بن عيينة، ابن أخى سفيان بن عيينة ، قال : حججت مع عمى سفيان آخر حجة حجها سنة سبع وتسعين ومائة فلما كنا بجمع وصلى استلقى على فراشه. ثم قال : قد وافيت هذا الموضع سبعين عاماً، أقول فى كل سنة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وإنى قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك. فرجع فتوفى فى السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون وهو ابن إحدى وتسعين سنة.

وعن الحميدى قال : سفيان بن عيينة يقول ولدت سنة سبع ومائة.

قال الحميدى : ومات سفيان سنة ثمان وتسعين فى آخر يوم من جمادى الأولى. رحمه لله.

(٢٨) الفضيل بن عياض التميمى

أحد بنى يربوع يكنى أبا على ولد بخراسان بكورة أبيورد وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبد وانتقل إلى مكة فمات بها.

عن إبراهيم بن أحمد الخزاعى قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : لو أن الدنيا كلها بحذافيرها جعلت لى حلالا لكنت أتقذرها.

وعن أبى الفضل الخزاز قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : أصلح ما أكون أفقر ما أكون ، وإنى لأعصى الله فأعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى.

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : كانت قراءة الفضيل حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنسانا، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة يرددها.

وكان يلقى له حصير بالليل فى مسجده فيصلى من أول الليل ساعة حتى

تغلبه عينه فيلقى نفسه على الحصير فينام قليلا ثم يقوم . فإذا غلبه النوم نام. ثم يقوم هكذا حتى يصبحك. قال وسمعت الفضيل يقول : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك .

وعن منصور بن عمار قال : تكلمت يوما فى المسجد الحرام فذكرت شيئا من صفة النار فرأيت الفضيل بن عياض صاح حتى غشى عليه فطرح نفسه .

وعن أبى إسحاق قال : قال الفضيل بن عياض لو خيرت بين أن أعيش كلبا، لا أرى يوم القيامة لاخترت أن أعيش كلبا أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة.

وعن مهران بن عمرو الأسدى قال سمعت الفضيل بن عياض عشية عرفة بالموقف، وقد حال بينه وبين الدعاء البكاء : يقول واسوأتاه، وافضيحتاه وإن عفوت – وعن أحمد بن سهل قال قدم علينا سعد بن زنبور فأتيناه فحدثنا قال كنا على باب الفضيل بن عياض فاستأذنا عليه فلم يؤذن لنا فقيل لنا إنه لا يخرج إليكم أو يسمع القرآن قال : وكان معنا رجل مؤذن وكان صيتا فقلنا له اقرأ ﴿ألهاكم التكاثر﴾ ورفع بها صوته. فاشرف علينا الفضيل وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع ومعه خرقة ينشف بها الدموع من عينيه وأنشأ يقول :

بلغت الثمانين أو جزتها ... فماذا أؤمل أو أنتظر ؟

أتى لى ثمانون من مولدى ... وبعد الثمانين ما ينتظر ؟

(علتنى السنون فأبليننى)

قال ثم خنقته العبرة. وكان معنا على بن خشرم فأتمه لنا فقال :

علتنى السنون فأبليننى ... فرقت عظامى وكل البصر

وعن أبى جعفر الحذاء قال : سمعت فضيل بن عياض يقول أخذت بيد

سفيان بن عيينة فى هذا الوادى فقلت له : إن كنت تظن أنه بقى على وجه الأرض شر منى ومنك فبئس ما تظن.

وعن على بن الحسن قال : بلغ فضيلا أن جريراً يريد أن يأتيه قال : فأقفل الباب من خارج . قال : فجاء جرير فرأى الباب مقفلا فرجع. قال على : فبلغنى ذلك فأتيته فقلت له : جرير . فقال : ما يصنع بى ؟ يظهر لى محاسن كلامه وأظهر له محاسن كلامى ، لا يتزين لى ولا أتزين له خير له.

وعن الفيض بن إسحاق قال : سمعت فضيلا يقول لو قيل لك : يا مرائى. لغضبت ولشق عليك وتشكو فتقول : قال لى : يا مرائى عساه قال حقا من حبك للدنيا تزينت للدنيا وتصنعت للدنيا.

ثم قال : اتق ألا تكون مرائيا وأنت لا تشعر تصنعت وتهيأت حتى عرفك الناس فقالوا هو رجل صالح فأكرموك وقضوا لك الحوائج ووسعوا لك فى المجالس، وإنما عرفوك بالله ولولا ذلك لهنت عليهم.

قال : وسمعت الفضيل يقول : تزينت لهم بالصوم فلم ترهم يرفعون بك رأسا. تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأسا، تزينت لهم بشىء بعد شىء، إنما هو لحب الدنيا.

وعن الحسين بن زياد قال : دخلت على فضيل يوما فقال : عساك إن رأيت فى ذلك المسجد، يعنى المسجد الحرام، رجلا شرا منك، إن كنت ترى أن فيه شرا منك فقد ابتليت بعظيم.

وعن يونس بن محمد المكى قال : قال فضيل بن عياض لرجل : لأعلمنك كلمة هى خير من الدنيا وما فيها : والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون فى قلبك مكان لغيره. لم تسأله شيئا إلا أعطاك.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه فأغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك كيف ترى تكون حالك.

وعن عبد الصمد بن يزيد قال : سمعت الفضيل يقول : أدركت أقواما يستحيون من الله فى سواد الليل من طول الهجعة، إنما هو على الجنب فإذا تحرك قال : ليس هذا لك قومى خذى حظك من الآخرة.

وعن محمد بن حسان السمنى قال : شهدت الفضيل بن عياض وجلس إليه سفيان بن عيينة. فتكلم الفضيل فقال : كنتم معشر العلماء سرج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة وكنتم نجوما يهتدى بكم فصرتم حيرة، ثم لا يستحى أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء الظلمة، ثم يسند ظهره يقول : حدثنا فلان عن فلان . فقال سفيان : لئن كنا لسنا بصالحين فإنا نحبهم.

وعن بشر بن الحارث قال : قال الفضيل بن عياض : لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحب إلى من أن أطلبها بالعبادة.

وعن الفضل بن الربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد فأتانى فخرجت مسرعا فقلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك . فقال : ويحك قد حاك فى نفسى شىء فانظر لى رجلا أسأله. فقلت هاهنا سفيان بن عيينة. فقال : امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب.

فقال : من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعا فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك. فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله.

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال نعم : فقال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عنى صاحبك شيئا، انظر لى رجلا أسأله، فقلت له : هاهنا عبد الرازق بن همام : قال امض بنا إليه : فأتيناه فقرعت الباب فقال:

من هذا ؟ أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعا فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك. قال : خذ لما جئناك له.

فحادثة ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . قال : أبا عباس اقض دينه. فلما خرجنا قال : ما أغنى صاحبك شيئا انظر لى رجلا أسأله. قلت : هاهنا الفضيل بن عياض. قال امض بنا إليه. فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها . فقال : اقرع الباب . فقرعت الباب فقال : من هذا . فقلت : أجب أمير المؤمنين فقال : مالى ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أما عليك طاعة ؟ أليس قد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «ليس للمؤمن أن يذل نفسه» فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت. فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف هارون قبلى إليه. فقال : يالها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله – عز وجل – فقلت فى نفسى : ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى . فقال له : خذ لما جئناك له – رحمك الله – فقال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علىّ. فعد الخلافة بلاء وعددّتها أنت وأصحابُك نعمة.

فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت . وقال له محمد بن كعب القرظى : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غدا من عذاب الله عز وجل فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت وإنى أقول لك إنى أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل معك – رحمك الله – من يشير عليك بمثل هذا ؟

فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له ارفق بأمير المؤمنين فقال : يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق فقال له : زدنى رحمك الله فقال: يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شكا إليه. فكتب إليه عمر : يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء.

قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز، فقال له ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبى بكتابك لا أعود إلى ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل.

قال : فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال له : زدنى رحمك الله. فقال يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أمرنى على إمارة فقال له النبى ﷺ «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل» . فبكى هارون بكاء شديدا وقال له زدنى رحمك الله.

فقال : يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لأحد من رعيتك فإن النبى ﷺ قال : « من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة».

فبكى هارون وقال له : عليك دين ؟ قال نعم دين لربى يحاسبنى عليه، فالويل لى إن سألنى، والويل لى إن ناقشنى، والويل لى إن لم ألهم حجتى. قال : إنما أعنى دين العباد. قال : إن ربى لم يأمرنى بهذا، أمر ربى أن أوحده وأطيع أمره، فقال عز وجل :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾ .[الذاريات]

فقال له هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتَقوَّ بها على عبادتك . فقال : سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئنى بمثل هذا؟ سلمك الله ووفقك. ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون : أبا عباس إذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا، هذا سيد المسلمين. فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به فقال لها : مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه. فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسي أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت : يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصر رحمك الله فانصرفنا.

وقد أسند الفضيل عن جماعة من كبار التابعين منهم الأعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب وحصين بن عبد الرحمن ومسلم الأعور وأبان بن أبى عياش – وروى عنه خلق كثير من العلماء ، وتوفى رضى الله عنه فى سنة سبع وثمانين ومائة.

(٢٩) على بن الفضيل بن عياض

ألحقناه بدرجة أبيه، لأنه مات فى حياة أبيه، واقتصرنا من أخباره على اليسير لأنا قد أدرجناها فى كتاب فضائل أبيه رضى الله عنهما.

عن فضيل بن عياض قال بكى ابنى علىّ فقلت : يا على ما يبكيك : قال يا أبة أخاف ألا تجمعنا القيامة.

وعن بشر بن الحارث قال : كان عشرة ينظرون فى الحلال النظر الشديد، ل يدخل بطونهم إلا حلال، ولو استفوا التراب فذكر منهم على بن الفضيل.

وعن محمد بن الحسن قال كان على بن الفضيل يصلى حتى يزحف إلى فراشه ثم يلتفت إلى أبيه فيقول : يا أبة سبقنى العابدون . وعن سفيان بن عيينة قال ما رأيت أحدا أخوف من الفضيل وابنه . أسند على عن عبد العزيز بن أبى رواد، وسفيان بن عيينة وغيرهما (رضى الله عنهما).

(٣٠) محمد بن إدريس الإمام الشافعى

ر ضى الله عنه

يكنى أبا عبد الله بن عبد الحكم قال : قال الشافعى : ولدت بغزة سنة خمسين ومائة وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين . قال : وأخبرنى غيره عن الشافعى قال لم يكن لى مال فكنت أطلب العلم فى الحداثة أذهب إلى الديوان استوهب الظهور أكتب فيها.

وعن حسين الكرابيسى قال : سمعت الشافعى يقول: كنت امرءا أكتب الشعر وآتى البوادى فأسمع منهم، وقدمت مكة وخرجت وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وحشى قدمى بالسوط فضربنى رجل من ورائى من الحجبة فقال : رجل من قريش ثم ابن المطلب رضى من دينه ودنياه أن يكون معلما ما الشعر؟ الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلما، تفقه يعلك الله . قال : فنفعنى الله بكلام ذلك الحجبى، ورجعت إلى مكة وكتبت عن ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجى. ثم قدمت على مالك فكتبت موطأه. فقلت له: يا أبا عبد الله اقرأ عليك ؟ فقال : يا ابن أخى تأتى برجل يقرؤه علىّ وتسمع فقلت : اقرأ عليك فتسمع إلى كلامى. فقال : إقرأ. فلما سمع قرأت عليه حتى

بلغت كتاب السير. قال لى : اطوه يا ابن أخى تفقه تعل . وعن محمد بن إسماعيل الحميرى عن أبيه. قال : كان الشافعى يطلب اللغة العربية والشعر وكان كثيرا ما يخرج إلى البدو فيحمل ما فيه من الأدب. فبينما هو يوما فى حى من أحياء العرب جاء إليه بدوى فقال له : ما تقول فى امرأة تحيض يوما وتطهر يوما ؟ قال : ما أدرى قال : يا ابن أخى الفريضة أولى بك من النافلة. فقال له : إنما أريد هذا لذاك، وعليه قد عزمت وبالله التوفيق. ثم خرج إلى مالك بن أنس.

وعن الحميدى عن الشافعى قال : كنت يتيما فى حجر أمى، ولم يكن معها ما تعطى المعلم، وكان المعلم قد رضى منى أن أخلفه إذا قام فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة وكانت لنا جرة عظيمة فاذا امتلأ العظم تركته فى الجرة، وفى رواية أخرى فامتلأ من ذلك حبان . وعن إسماعيل بن يحيى قال : سمعت الشافعى يقول : حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال : يروى فى الحديث أن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يصحح لهذه الأمة دينها، فنظرنا فى المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز، ونظرنا فى المائة الثانية فنراه الشافعى.

وقال مسلم بن خالد الزنجى للشافعى : يا أبا عبد الله أفت الناس، آن والله أن تفتى، وهو ابن دون عشرين سنة.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبى : يا أبة أى رجل كان الشافعى؟ سمعتك تكثر من الدعاء له. فقال : يا بنى كان الشافعى كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض ؟

وعن الميمونى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ستة أدعو لهم فى السحر : أحدهم الشافعى.

وعن ابن راهويه قال : كنت مع أحمد بمكة فقال لى: تعال حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله. فأرانى الشافعى .

وعن يونس بن عبد الأعلى قال : سمعت الشافعى وحضر ميتا فلما سجينا عليه نظر إليه وقال : اللهم بغناك عنه وفقره إليك اغفر له.

وعن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى يقول : ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلهما منى إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرنى على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عينى.

وعن أحمد بن خالد الخلال قال : سمعت محمد بن إدريس الشافعى يقول: ما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطئ.

وعن الحسين الكرابيسى، يقول : سمعت الشافعى يقول : ما ناظرت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدا إلا ولم أبال بين الله الحق على لسانى أو لسانه.

الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى يقول أشد الأعمال ثلاثة : الجود من قلة، والورع فى خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف.

وعنه قال : سمعت الشافعى يقول : لوددت أن الخلق يتعلمون منى ولا ينسب إلى منه شىء، وسمعته يقول : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وعن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال سمعت الشافعى يقول طالب العلم يحتاج إلى ثلاث : [إحداها:] حسن ذات اليد، [والثانية :] طول عمر، [والثالثة:] يكون له ذكاء. وعن الربيع قال : قال الشافعى : من طلب الرياسة فرت منه، وإذا تصدر الحدث فاته علم كثير.

وعن يونس بن عبد الأعلى قال : قال لى الشافعى : يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادره بالعدوة وقطع الولاية فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه وقل له : بلغنى عنك كذا وكذا واحذر أن تسمى له المبلغ فإن أنكر ذلك فقل له : أنت أصدق وأبر لا تزيدن على ذلك شيئا وإن اعترف بذلك فرأيت له فى ذلك وجها لعذر فاقبل منه، وإن لم تر فقل له : ماذا أردت بما بلغنى عنك ؟ فإن ذكر ماله وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجها لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة، ثم أنت فى ذلك بالخيار : إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة وإن شئت عفوت عنه والعفو أقرب للتقوى وأبلغ فى الكرم لقول الله تعالى:

﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾

فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فافكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدها ثم ابدر له إحسانا بهذه السيئة، ولا تبخسن باقى إحسانه السالف بهذه السيئة فإن ذلك الظلم بعينه يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل.

قال : وسمعت الشافعى يقول : يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط.

وعن أحمد بن الوزير قال : ثنا محمد بن إدريس الشافعى قال : قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شىء كمن قبل وأجاز.

قال : وتنقص رجل محمد بن الحسن عند الشافعى فقال له : مه لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام.

وعن الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي: استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر.

وعنه قال : سمعت الشافعي يقول : من ضُحك منه في مسألة لم ينسها أبداً.

وعنه قال : قال لي الشافعي : يا ربيع رضا الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه فانه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أنه من تعلم القرآن جل في عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب ومن تعلم العربية رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى.

وعن المزني قال : سمعت الشافعي يقول : من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل مقداره، ومن تعلم اللغة رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وعن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

وعن أبي الوليد الجارودي قال : سمعت الشافعي يقول : لو علمت أن الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته.

وعن الربيع قال : سأل رجل الشافعي عن سنه قال : ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه، سأل رجل مالكا عن سنه فقال : أقبل على شأنك.

قال لنا أبو بكر بن أبي طاهر : وجدت في هذه الحكاية زيادة من رواية أخرى : ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه لأنه إن كان صغيرا استحقروه، وإن كان كبيرا استهرموه.

وعنه قال كان الشافعى قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء : الثلث الأول يكتب، والثلث الثانى يصلى، والثلث الثالث ينم.

وعنه قال : كان للشافعى فى رمضان ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ فى الصلاة.

أبو بكر النيسابورى قال سمعت الربيع يقول : كان الشافعى يختم كل شهر ثلاثين ختمة وفى رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ فى الصلاة.

وعن نهشل بن كثير، عن أبيه قال : أدخل الشافعى يوما إلى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن له ومعه سراج الخادم. فأقعده عند أبى عبد الصمد مؤدب أولاد هارون الرشيد.

فقال سراج للشافعى : يا أبا عبد الله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم. فأقبل عليه فقال ، ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تكرهه، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه. ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن إزدحام الكلم فى السمع مضلة للفهم.

وقال الحميدى : قدم الشافعى مرة من اليمن ومعه عشرون ألف دينار فضرب خيمته خارجا من مكة فما قام حتى فرقها كلها.

وعن المزنى قال : سمعت الشافعى يقول من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله.

وعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعى يقول : لن يجفو فعل من يصفو.

وعنه قال : سمعت الشافعي يقول ، وسأله رجل عن مسألة فقال : روى فيها كذا وكذا عن النبى ﷺ . فقال له السائل : يا أبا عبد الله تقول به ؟ فرأيت الشافعي أرعد وانتفض وقال : يا هذا أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثا فلم أقل به ؟ نعم على السمع والبصر.

قال وسمعت الشافعي وقد روى حديثا فقال له بعض من حضر : تأخذ به؟ فقال : إذ رويت عن رسول الله ﷺ حديثا صحيحا فلم آخذ به فأنا أشهدكم أن عقلى قد ذهب ومد يديه.

وعنه قال : سمعت الشافعي يقول : إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت.

وعن أبى بيان الأصبهانى قال: رأيت النبى ﷺ فى النوم فقلت : يارسول الله محمد بن إدريس الشافعي ابن عمك هل نفعته بشيء أو خصصته بشيء ؟ فقال : نعم سألت الله ألا يحاسبه. فقلت : بماذا يا رسول الله ؟ قال : إنه كان يصلى على صلاة لم يصل بمثل تلك الصلاة أحد. فقلت : وما تلك الصلاة يا رسول الله ؟ قال : كان يصلى على : اللهم صلى على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عنه الغافلون.

أخبر محمد بن أبى منصور قال : قرأت فى كتاب محمد بن طاهر النيسابورى بخطه للشافعي – رضى الله عنه – :

إن امـرأ وجد اليسار فلم يصب   حمـدا ولا شـكرا لغيـر موفـق

الجـد يدنـى كل شيء شاسـع   والجـد يفتـح كل بـاب مغلـق

فإذا سمعت بأن مجدودا حـوى   عودا فأثمـر فى يديـه فصـدق

وإذا سمعت بأن محروما أتى ماء ليشربه فغاض فحقق

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وعن المزنى قال : دخلت على الشافعى فى علته التى مات فيها فقلت : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت من الدنيا راحلا ولإخوانى مفرقاً ولكأس المنية شاربا ولسوء أعمالى ملاقيا وعلى الله تعالى واردا فلا أدرى روحى تصير إلى الجنة فأهنئها أو إلى النار فأعزيها. ثم بكى وأنشأ يقول :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى جعلت الرجا منى لعفوك سلما

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظما

ومازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما

سمع الشافعى - رضى الله عنه - من مالك بن أنس وإبراهيم بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد العزيز الدراوردى ومسلم بن خالد الزنجى، فى خلق كثير.

وحدث عنه : أحمد بن حنبل وغيره من العلماء.

وتوفى سنة أربع ومائتين.

الربيع بن سليمان قال : توفى الشافعى ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة آخر يوم من رجب ودفناه يوم الجمعة فانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين.

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : ولد الشافعى فى سنة خمسين ومائة ومات فى آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين عاش أربعا وخمسين.

وعن الربيع قال : كنا جلوسا فى حلقة الشافعى بعد موته بيسير، فوقف

علينا أعرابى فسلم ثم قال لنا : أين فم هذه الحلقة وشمسها ؟ فقلنا : توفى رحمه الله. فبكى بكاء شديدا ثم قال : رحمه الله وغفر له فلقد كان يفتح ببيانه منغلق الحجة. ويسد على خصمه واضح المحجة، ويغسل من العار وجوها مسودة، ويوسع بالرأى أبوابا منسدة. ثم انصرف.

وعنه قال : رأيت الشافعى بعد وفاته بالمنام فقلت: يأبا عبد الله ما صنع الله بك ؟ قال : أجلسنى على كرسى من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب. والسلام.

(٣١) أبو غيث المكى مولى جعفر بن محمد

أبو حازم المعلى بن سعيد البغدادى قال : سمعت أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى فى سنة ثلاثمائة يقول :

كنت بمكة سنة أربعين ومائتين فرأيت خراسانيا ينادى :

معاشر الحاج من وجد هميانا فيه ألف دينار فرده على أضعف الله له الثواب.

قال : فقام إليه شيخ من أهل مكة كبير من موالى جعفر بن محمد فقال له : ياخراسانى بلدنا فقير أهله شديد حاله، أيامه معدودة ومواسمه منتظرة، لعله يقع بيد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله له حلالا يأخذه ويرده عليك. قال الخراسانى : فكم يريد؟ قال : العشر : مائة دينار. قال : لا أفعل ولكنا نحيله على الله عز وجل. قال : وافترقا.

قال ابن جرير: فوقع لى أن الشيخ صاحب القريحة والواجد للهميان. فاتبعته فكان كما ظننت فنزل إلى دار مستفلة، خلقة الباب والمدخل فسمعته يقول: يا لبابة. قالت له : لبيك أبا غياث . قال : وجدت صاحب الهميان ينادى عليه مطلقا فقلت له، قيده بأن تجعل لواجده شيئا. فقال : كم ؟ فقلت : عُشْرَه.

فقال : لا، ولكنا نحيله على الله عز وجل، فأى شيء نعمل ولابد لى من رده ؟ فقالت له : نقاسى الفقر معك منذ خمسين ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمى وأنت تاسع القوم، أشبعنا واكسنا ولعل الله عز وجل يغنيك فتعطيه أو يكافئه عنك ويقضيه : فقال لها : لست أفعل ولا أحرق حشاشى بعد ست وثمانين سنة.

قال : ثم سكت القوم وانصرفت، فلما أن كان من الغد ساعات من النهار سمعت الخراسانى يقول : يا معاشر الحاج وفد الله من الحاضر والبادى، من وجد هميانا فيه ألف دينار فرده أضعف الله له الثواب. قال : فقام إليه الشيخ فقال : يا خراسانى قد قلت لك بالأمس ونصحتك وبلدنا - والله- فقير قليل الزرع والضرع، وقد قلت لك أن تدفع إلى واجده مائة دينار فلعله أن يقع بيد رجل مؤمن يخاف الله عز وجل فامتنعت، فقل له عشرة دنانير منها فيرده عليك ويكون له فى العشرة الدنانير ستر وصيانة . قال : فقال له الخراسانى : لا نفعل، ولكن نحيله على الله عز وجل قال : ثم افترقا.

قال الطبرى : فما اتبعت الشيخ ولا الخراسانى، وجلست أكتب كتاب النسب للزبير بن بكار. فلما كان من الغد سمعت الخراسانى ، ينادى ذلك النداء بعينه، فقام إليه الشيخ فقال له : يا خراسانى قلت لك أول أمس العشر منه، وقلت لك أمس عشر العشر، أعط دينارا عشر عشر العشر يشترى بنصف دينار قِربة يستقى عليها للمقيمين بمكة بالأجرة وبنصف دينار شاة يحلبها ويجعل ذلك لعياله غذاء. قال لا نفعل، ولكن نحيله على الله عز وجل.

قال : فجذبه الشيخ وقال له : تعال خذ هميانك ودعنى أنام الليل، وأرحنا من محاسبتك. فقال له : امش بين يدى . فمشى الشيخ وتبعه الخراسانى وتبعتهما فدخل الشيخ فما لبث أن خرج وقال ادخل يا خراسانى فدخل ودخلت . فنبش تحت درجة له مزبلة فأخرج منها الهميان أسود من خرق بخارية غلاظ فقال : هذا هميانك. فنظر إليه وقال : هذا هميانى. قال : ثم حل رأسه من شد

وثيق ثم صب المال فى حجر نفسه وقلبه مرارا وقال : هذه دنانيرنا، وأمسك فم الهميان بيده الشمال ورد المال بيده اليمنى فيه ثم شده شدا سهلا ووضعه على كتفه ثم أراد الخروج .

فلما بلغ الدار رجع فقال للشيخ : يا شيخ مات أبى رحمه الله وترك من هذه ثلاثة آلاف دينار فقال لى : أخرج ثلثها ففرقها على أحق الناس عندك، وبع رحلى واجعله نفقة لحجتك. ففعلت ذلك، وأخرجت ثلثها ألف دينار وشددتها فى هذا الهميان، وما رأيت منذ خرجت من خراسان إلى هاهنا رجلا أحق به منك خذه بارك الله لك فيه.

قال : ثم ولى وتركه. قال : فوليت خلف الخراسانى. فعدا أبو غياث فلحقنى وردنى وكان شيخا مشدود الوسط بشريط معصب الحاجبين ذكر أن له ستا وثمانين سنة، فقال لى : اجلس فقد رأيتك تتبعنى فى أول يوم وعرفت خبرنا بالأمس واليوم. سمعت أحمد بن يونس اليربوعى يقول : سمعت مالكا يقول : سمعت نافعا يقول : عن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال لعمر وعلى رضى الله عنهما : «إذا أتاكما الله بهدية بلا مسألة ولا استشراف نفس فاقبلاها ولا ترداها فترداها على الله عز وجل» وهذه هدية من الله والهدية لمن حضر.

ثم قال يا لبابة وفلانة وفلانة. فصاح ببناته وأخواته وزوجته وأمها وقعد وأقعدنى فصرنا عشرة فحل الهميان وقال : ابسطوا حجوركم فبسطت حجرى وما كان لهن قميص له حجر يبسطونه، فمدوا أيديهم وأقبل يعد دينارا ديناراً حتى إذا بلغ العاشر إلي قال : ولك دينار حتى فرغ الهميان وكانت ألفا فيها ألف فأصابنى مائة دينار، فداخلنى من سرور غناهم أشد مما داخلنى من سرور صيانتى بالمائة دينار.

فلما أردت الخروج قال لى : يا فتى إنك لمبارك وما رأيت هذا المال قط ولا

أملته وإني لأنصحك أنه حلال فاحتفظ به واعلم أني كنت أقوم فأصلي الغداة في هذا القميص الخلق ثم أنزعه فيصلين فيه واحدة واحدة ثم اكتسب إلى ما بين الظهر والعصر ثم أعود في آخر النهار بما فتح الله عز وجل لي من أقط وتمر وكسيرات ومن يقول نبذت ثم أنزعه فيتداولنه فيصلين فيه المغرب وعشاء الآخرة، فنفعهن الله بما أخذن ونفعني وإياك بما أخذنا ، ورحم صاحب المال في قبره وأضعف ثواب الحامل للمال وشكر له.

قال ابن جرير : فودعته وكتبت بها العلم سنتين أتقوت بها وأشترى منها الورق، وأسافر وأعطى الأجرة. فلما كان بعد سنة ست وخمسين سألت عن الشيخ بمكة فقيل : إنه مات بعد ذلك بشهور، ووجدت بناته ملوكا تحت ملوك، وماتت الأختان وأمهن، وكنت أنزل على أزواجهن وأولادهن فأحدثهم بذلك فيأنسون بي ويكرموني، ولقد حدثني محمد بن حيان البجلي في سنة تسعين ومائتين أنه ما بقي منهم أحد. فبارك الله لهم فيما صاروا إليه.

(٣٢) أبو جعفر المزين الكبير

جاور بمكة، وبها مات، وكان من العباد.

عن أحمد بن عبد الله، هو أبو نعيم، قال سمعت أبا جعفر الخياط الأصبهاني بمكة يقول : سمعت أبا جعفر المزين يقول : محنتنا وبلاؤنا صفاتنا، فمتى فنيت حركات صفتنا أقبلت القلوب منقادة للحق.

وقال سمعت أبي يقول : سمعت أبا جعفر المزين الكبير يقول إن الله لم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم ولكن بقدر جوده وكرمه ولم يفرح المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفته ورحمته.

(٣٣) أبو الحسن على بن محمد المزين الصغير

أصله من بغداد ولكنه أقام بمكة.

عن أبى عبد الله بن خفيف قال : سمعت أبا الحسن المزين بمكة يقول : كنت فى بادية تبوك فتقدمت إلى بئر لأستقي منها فزلقت رجلى فوقعت فى جوف البئر فرأيت فى البئر زاوية واسعة فأصلحت موضعا وجلست عليه وقلت : إن كان منى شىء لا أفسد الماء على الناس، وطابت نفسى وسكن قلبى فبينا أنا قاعد إذا بخشخشة فتأملت فإذا بأفعى ينزل على البئر فراجعت نفسى فإذا هى ساكنة. فنزل ودار بى وأنا هادئ السر لا يضطرب على ثم لف بن ذنبه واخرجنى من البئر وحلل عنى ذنبه، فلا أدرى أرض ابتلعته أو سماء رفعته ؟ وقمت ومشيت.

وعن جعفر الخلدى قال: ودعت المزين الصوفى فقلت : زودنى شيئا. فقال: إن ضاع منك شىء أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، اجمع بينى وبين كذا فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشىء أو ذلك الإنسان، فما دعوت بها فى شىء إلا استجيب.

وعن أبى بكر الرازى قال : سمعت أبا الحسن المزين يقول : الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة.

وقال أبو الحسن المزين من استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه.

وقال : المعجب بعلمه مستدرج، والمستحسن لشىء من أفعاله ممكور به.

قال السلمى : صحب أبو الحسن المزين الجنيد وسهل بن عبد الله، وأقام بمكة مجاورا حتى توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

(٣٤) أبو القاسم سعد بن على بن محمد الزنجانى

طاف الآفاق ولقى المشايخ وسكن مكة فصار شيخ الحرم. وكان إذا خرج إلى الحرم يخلون المطاف ويقبلون يده أكثر من تقبيل الحجر. وكانت له كرامات.

عن أبى عبد الله محمد بن أحمد قال :لما عزم الشيخ سعد على الإقامة بالحرم عزم على نفسه نيفا وعشرين عزمة يلزمها إياها من المجاهدات والعبادات. ومات بعد ذلك بأربعين سنة ولم يُخِّل منها بعزيمة واحدة.

أنبأ إسماعيل بن أحمد عن سعد بن على الزنجانى قال : أنشدنى أبو عبد الله محمد بن أحمد الواعظ قال : أنشدنى على بن عبد العزيز الجرجانى :

ما تطعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا

ليس شىء أعز عندى من العلم فلم أبتغ سواك أنيسا ؟

إنما الذل فى مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزا رئيسا

توفى الزنجانى فى سنة سبعين، أو إحدى وسبعين ، وأربع مائة رحمه الله

(٣٥) مجاب الدعوة

عن عبد الله بن المبارك قال : كنت بمكة فأصابهم قحط فخرجوا إلى المسجد الحرام يستسقون فلم يسقوا، وإلى جانبى أسود منهوك فقال : اللهم إنهم قد دعوك فلم تجبهم وإنى أقسم عليك أن تسقينا. قال : فوالله ما لبثنا أن سقينا.

قال : فانصرف الأسود واتبعته حتى دخل دارا فى الخيطين فعلمتها.

فلما أصبحت أخذت دنانير وأتيت الدار فإذا رجل على باب الدار فقلت :

أردت رب هذه الدار. فقال : أنا . قلت : مملوك لك أردت شراءه فقال : لى أربعة عشر مملوكا أخرجهم إليك فأخرجهم فلم يكن فيهم. فقلت له : بقى شىء ؟ فقال: لى غلام مريض ، فأخرجه فإذ هو الأسود : فقلت : بعنيه : قال : هو لك يا أبا عبد الرحمن . فأعطيته أربعة عشر دينارا وأخذت المملوك فلما صرنا إلى بعض الطريق. قال لى : يا مولاى أى شىء تصنع بى وأنا مريض ؟ فقلت : لما رأيت عشية أمس . قال فاتكأ على الحائط فقال : اللهم إذ شهرتنى فاقبضنى إليك. قال : فخر ميتا. قال : فانحشر عليه أهل مكة.

قال ابن المبارك : قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر وهم يستسقون فى المسجد الحرام، وكنت فى الناس مما يلى باب بنى شيبة، إذ أقبل غلام أسود عليه قطعت خيش قد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه، فصار فى موضع خفى إلى جانبى فسمعته يقول : إلهى أخلقت الوجوه كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال، وقد منعتنا غيث السماء فتؤدب الخليقة بذلك، فأسألك يا حليما ذا أناة ، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل اسقهم الساعة الساعة.

قال ابن المبارك، فلم يزل يقول : الساعة الساعة، حتى استوت بالغمام وأقبل المطر من كل مكان وجلس مكانه يسبح وأخذت أبكى، إذ قام فاتبعته حتى عرفت موضعه فجئت إلى فضيل بن عياض فقال لى : مالى أراك كئيبا؟ فقلت : سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا فقال : وما ذاك؟ فقصصت عليه القصة فصاح وسقط وقال : ويحك يا ابن المبارك خذنى إليه فقلت : قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه . فلما كان من الغد صليت الغداة وخرجت أريد الموضع فإذا شيخ على الباب قد بسط له وهو جالس فلما رآنى عرفنى وقال : مرحبا بك يا أبا عبد الرحمن حاجتك فقلت له : احتجت إلى غلام أسود.

قال : نعم عندى عدة فاختر أيهم شئت فصاح : ياغلام فخرج غلام جلد، فقال هذا محمود العاقبة أرضاه لك. فقلت : ليس هذا حاجتى، فمازال يخرج

واحدا بعد واحد حتى أخرج إلى الغلام. فلما بصرت به بدرت عيناى فقل : هذا هو ؟ قلت : نعم. قال : ليس إلى بيعه سبيل. قلت : ولم ؟ قال : قد تبركت بموضعه من هذه الدار وذلك أنه لا يرزؤنى شيئا. قلت : ومن أين طعامه وشرابه؟ قال : يكسب من فتل الشريط نصف دانق أو أقل أو أكثر فهو قوته، فإن باعه فى يومه وإلا طوى ذلك اليوم، وأخبرنى الغلمان عنه أنه لا ينام هذا الليل الطويل ولا يختلط بأحد منهم مهتم بنفسه، وقد أحبه قلبى فقلت له : أنصرف إلى سفيان بن عيينة وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة؟ فقال : إن ممشاك عندى كبير، خذه بما شئت.

قال : فاشتريته فأخذت نحو دار فضيل بن عياض، فمشيت ساعة فقال لى : يا مولاى. فقلت : لبيك قال : لا تقل لى لبيك فإن العبد أولى أن يلبى من المولى. قلت : حاجتك يا حبيبى . قال : أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة وقد كان لك فى غيرى سعة وقد أخرج إليك من هو أجلد منى. فقلت : لا يرانى الله أستخدمك ولكن أشترى لك منزلا وأزوجك وأخدمك أنا بنفسى. قال : فبكى . فقلت له : ما يبكيك ؟

قال : أنت لم تفعل هذا إلا وقد رأيت بعض متصلاتى بالله تعالى، وإلا فلم اخترتنى من بين أولئك الغلمان ؟ فقلت له : ليس بك حاجة إلى هذا . فقال لى : سألتك بالله إلا ما أخبرتنى. فقلت له : بإجابة دعوتك. فقال لى : إنى أحسبك إن شاء الله تعالى رجلا صالحا . إن لله عز وجل خيرة من خلقه لا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده ولا يظهر عليهم إلا من قد ارتضى .

ثم قال لى : ترى أن تقف علىّ قليلا فإنه قد بقيت علىّ ركعات من البارحة فقلت : هذا منزل فضيل قريب : قال : لا ، ههنا أحب إلى أمر الله عز وجل لا يؤخر فدخل من باب الباعة إلى المسجد ، فمازال يصلى حتى إذا أتى على ما أراد التفت إلىّ وقال : يا أبا عبد الرحمن هل من حاجة ؟ قلت : ولم ؟ قال :

لأنى أريد الانصراف . قلت : إلى أين ؟ قال : إلى الآخرة. قلت : لا تفعل دعنى أسريك. فقال لى : إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بينى وبينه تعالى، فأما إذ اطلعت عليها أنت فسيطلع عليها غيرك فلا حاجة لى فى ذلك.

ثم خر لوجهه فجعل يقول : اللهم اقبضنى الساعة الساعة الساعة. فدنوت منه فإذا هو قد مات، فوالله ما ذكرته قط إلا طال حزنى وصغرت الدنيا فى عينى رحمه الله.

(٢٦) فى ضيافتك

عن أبى سعيد الخزاز قال : كنت بمكة معى رفيق لى من الورعين ، فاقمنا ثلاثة أيام لم ناكل شيئا وكان بحذائنا فقير معه كويزة وركوة مغطاة بقطعة خيش.

وربما كنت أراه يأكل خبزاً حوارى فقلت فى نفسى والله لأقولن لهذا نحن الليلة فى ضيافتك. فقلت له : فقال : نعم وكرامة. فلما جاء وقت العشاء جعلت أراعيه ولم أر معه شيئا فمسح يده على سرية فوقع على يده شىء فناولنى فإذا درهما لا تشبه الدراهم. فاشترينا خبزاً وأدم. فلما مضى لذلك مدة جئت إليه وسلمت عليه وقلت له : إنى ما زلت أراعيك منذ تلك الليلة وأنا أحب أن تعرفنى بم وصلت إلى ذلك؟ فإن كان يبلغ بعلم حدثنى فقال : يا أبا سعيد ما هو إلا حرف واحد. قلت: وما هو ؟ قال : تخرج قدر الخلق من قلبك تصل إلى حاجتك.

(٢٧) فرقة على المساكين

عن بيان المصرى قال : كنت فى مكة قاعدا وشاب بين يدى فجاءه إنسان وحمل إليه كيسا فيه دراهم فوضعه بين يديه ، فقال : لا حاجة لى فيه : فقال : فرقه على المساكين ففرقه. فلما كان العشاء رأيته فى الوادى يطلب شيئا لنفسه.

فقلت : لو تركت شيئا لنفسك مما كان معك. فقال : لم أعلم أنى أعيش إلى هذا الوقت.

(٢٨) يوشك أن تفوزوا

عن عبيد الله بن أبى نوح قال : قال لنا عابد كان بمكة : ما تركت النار للعاقل سرورا فى أهل ولا ولد، ولبئس المصير مصير مفرط فى المهلة ومتكل على الغرة وطول الغفلة. وقال لنا : لتكن الأثرة لله فى قلوبكم، المستولية على جميع أموركم يوشك أن تفوزوا بذلك يوم يخسر المبطلون (رحمه الله).

(٢٩) امرأة مجاورة

عن سلمة بن خالد المخزومى قال : وكان من خيار بنى مخزوم، قال : كان هاهنا امرأة من بنى مخزوم مجاورة، وكان يقال لها حكيمة. وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة قد فتح صرخت كما تصرخ الثكلى فلا تزال تصرخ حتى يغمى عليها وكانت لا تكاد تفرق المسجد إلا للأمر الذى لابد منه.

قال : ففتحت الكعبة يوما وهى فى بعض حاجتها فلما جاءت قالت لها امرأة كانت تجالسها: حكيمة فتح اليوم بيت ربك فلو رأيت الطائفين يطوفون بالبيت والباب مفتوحا وهم ينتظرون الرحمة من مليكهم لقد قرت عينك.

(٣٠) نقيش بنت سالم

عن أبى المورق قال : حدثنى من سمع نقيش بنت سالم بمكة وهى تقول : يا سيد الأنام رحلت بى الشقة، وهذا مقام العائذ بعفوك من سخطك، وبرحمتك من غضبك. يا حبيب الأولين ، يا من لا يكديه الإعطاء ، يا ذا المن والآلاء ، زدنى بالثقة منك وصلة، واجعل قِراى عتق رقبتى واقرر عينى برضاك.

قال : ورأيتها بالموقف وهى تقول : بهظتنى الاثام ياسيد الأنام كحلت

عينى بمسلول الحزن فوعزتك لانعمت بضحك أبدا حتى أعلم أين قرارى، وإلى أين تصير دارى ؟ فلما رأت أيدى الناس مبسوطة للدعاء قالت : يارب أقامهم هذا المقام خوف النار. يا قرة عينى وعيون الأبرار، يلتمسون نائلك ويرجون فضلك. فلما رجعوا وضعت خدها وصرخت : انصرف الناس ولم أشعر قلبى منك اليأس.

(٣١) عائشة المكية

عن أبى عبيد القاسم بن سلام قال : دخلت مكة، وكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة، وربما كنت أستلقى وأمد رجلى. فجائتنى عائشة المكية وكانت من العابدات ممن صحب الفضيل - فقالت لى : يا عبد الله ، يقال إنك عالم، اقبل منى كلمة : لا تجالسه إلا بأدب فيمحو اسمك من ديوان القرب.

(٣٢) ابنة أبى الحسن المكى

عن عبد الله بن أحمد بن بكر. قال : كان لأبى الحسن المكى ابنة مقيمة بمكة أشد ورعا منه وكانت لا تقتات إلا ثلاثين درهما ينفذه إليها أبوها فى كل سنة مم يستفضله من ثمن الخوص الذى يبيعه. قال ابن الرواس التمار، وكان جاره، قال جئت أودعه للحج، واستعرض حاجته وأسأله أن يدعو لى فسلم إلى قرطاساً وقال : تسأل بمكة عن الموضع لفلانى عن فلانة وتسلم هذا إليها فعلمت أنها ابنته.

فأخذت القرطاس وجئت فسألت عنها فوجدتها بالعبادة والزهد أشد اشتهارا من أن تخفى فتتبعت نفسى أن يصل إليها شىء من مالى يكون لى ثوابه، وعلمت أننى إن دفعت إليها ذلك لم تأخذه، ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين خمسين درهما ورددته كما كان وسلمته إليها فقالت : أى شىء خبر أبى. فقلت : سلامة. فقالت : قد خالط أهل الدنيا وترك الانقطاع إلى الله تعالى؟

فقالت : أسألك بالله وبمن حججت إليه عن شىء فتصدقنى ؟ فقلت : نعم . فقالت : خلطت بهذه الدراهم شيئا من عندك ؟ فقلت : نعم فمن أين علمت بهذا؟ قالت : ما كان أبى يزيدنى على الثلاثين شيئا لأن حاله لا يحتمل أكثر منها إلا أن يكون ترك العبادة فلو أخبرتنى بذلك ما أخذت منه أيضا شيئا .

ثم قالت لى خذ الجميع فقد عققتنى من حيث قدرت أنك تبرنى فقلت : ولم؟ قالت لا آكل شيئا ليس هو من كسبى ولا كسب أبى ولا آخذ من مال لا أعرف كيف هو شيئا. فقلت : خذى منها الثلاثين كما أنفذ إليك أبوك وردى الباقى . فقالت : لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لأخذتها ولكن قد اختلطت بما لا أعرف جهته فلا آخذ منها شيئا وأنا الآن أقتات إلى الموسم الآخر من المزابل لأن هذه كانت قوتى تلك السنة، فقد اجعتنى، ولولا أنك ما قصدت أذاى لدعوت عليك.

قال : فاغتممت وعدت إلى البصرة وجئت إلى أبى الحسن فأخبرته واعتذرت إليه فقال : لا آخذها وقد اختلطت بغير مالى، وقد عققتنى وإياها قال : فقلت : فما أعمل بالدراهم؟ قال : لا أدرى . فما زلت مدة أعتذر إليه وأسأله ما أعمل بالدراهم؟ فقال لى بعد مدة . تصدق بها . ففعلت.

(٣٣) جارية تبكيهما

عن المثنى بن الصباح قال كان عطء ومجاهد يختلفان إلى جارية سوداء فى ناحية مكة تبكيهما ثم يرجعان.

(٣٤) امرأة تجلة

عن مالك بن دينار قال : رأيت امرأة بمكة من أحسن الناس عينين قال : فكان النساء يجئن فينظرن إليها، فأخذت فى البكاء فقيل لها تذهب عيناك. فقالت: إن كنت من أهل الجنة فيبدلنى الله عينين أحسن من هاتين، وإن كنت

من أهل النار فسيصيبهما أشد من هذا. فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها- رحمها الله.

(٣٥) حكيمة مجاورة

عن أبى عبد الرحمن المغازلى قال : كانت حكيمة مجاورة بمكة فدخلنا عليها ذات يوم ، فقالت له امرأة كانت تخدمها : إخوانك جاؤوك يحبون أن يسمعوا كلامك.

قال : فبكت طويلا ثم أقبلت علينا فقالت : إخوتى وقرة عينى مثلوا القيامة نصب أبصار قلوبكم وردوا على أنفسكم ما قدم تقدم من أعمالكم فما ظننتم أنه يجوز فى ذلك اليوم فارغبوا إلى لسيد فى قبوله وتمام النعمة فيه، وما خفتم أن يرد فى ذلك اليوم عليكم فخذوا فى إصلاحه من اليوم ولا تغفلوا عن أنفسكم فترد عليكم حيث لا يوجد البذل، ولا يقدر على الفداء. قال : ثم بكت طويلا ثم أقبلت علينا فقالت : إخوتى وقرة عينى إنما صلاح الأبدان وفسادها فى حسن النيةوسوئها.

إخوتى وقرة عينى إنما نال المتقون المحبة لمحبتهم له وانقطاعهم إليه ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك ولكنهم احبوا الله ورسوله فأحبهم عباد الله لحبهم الله ورسوله. إخوتى وقرة عينى ، كلم الخوف قلوب أهله فاقطتعهم والله وشغلهم عن مطاعم اللذات والشهوات إخوتى وقرة عينى، بقدر ما تعرضون عن الله يعرض عنكم بخيره، وبقدر ما تقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله والله واسع كريم.

(٣٦) امرأة حسنة السمت

عن ابن شوذب قال : كتب عبدة بن أبى لبابة إلى شريك يقال له الحسن بن الخزاز : ادفع ثلاث مائة درهم إلى أحوج أهل بيت بمكة. فسأل فدل على

أهل بيت فوقف بهم، فخرجت إليه امرأة كبيرة حسنة السمت فقال لها : بعث إلى بثلاث مائة درهم وأمرت أن أدفعها إلى أحوج أهل بيت بمكة فقالت المرأة : إن كنت أمرت بهذا فما نحن هم ومالنا فيها من حق، وأنا أعرف أهل بيت أحوج منا.

فسألها فدلته عليهم فأعطاهم الدراهم وكتب إلى عبدة يخبره بحال المرأة فكتب عبدة أن أضعفها أعطها ستمائة درهم.

(٣٧) امرأة يأتيها العباد

عن أبى الحسن الرام، وكان من خيار الناس، قال : كانت امرأة بمكة يأتيها العباد فيتحدثون عندها ويتواعظون. فقالت لهم يوما : حجبت قلوبكم الدنيا عن الله عز وجل. فلو جليتموها لجالت فى ملكوت السموات ولأتتكم بطرف الفوائد.

(٣٨) أحسنت حتى سكتت

عن صالح بن عبد الكريم قال : دللت على امرأة بمكة أو بالمدينة تتعبد فأتيتها وهى تتكلم. قال : فأحسنت حتى سكتت. قال : فصبرت حتى تفرق الناس عنها ثم دنوت منها فقلت : لقد تكلمت ولقد خشيت عليك العجب فقالت : إنما العجب من شىء هو منك فأما ما من غيرك ففيم العجب ؟ ثم قالت :

وله خصائص مصطفون لحبه ... اختارهم فى سالف الأزمـــان

اختارهم من قبل فطرة خلقــه ... بودائــع وبحكمـــة وبــيـــان

ثم قالت : انهض إذا شئت.

(٣٩) عجوز من قريش

عن عبد الرحمن بن الحكم قال : كانت عجوز من قريش بمكة تأوى فى سرب ليس لها بيت غيره فقيل لها : أترضين بهذا ؟ فقالت : أو ليس هذا، لمن يموت، كثيراً.

(٤٠) أنضجه طول الأحزان

عن محمد بن بكار قال : كانت عندنا بمكة امرأة عابدة فكانت لا تمر بها ساعة إلا وهى صارخة فقيل لها يوما : إنا لنراك على حال ما نرى غيرك عليها، فإن كان بك داء عالجناك. قال : فبكت وقالت : من لى بعلاج هذا الداء؟ وهل أقرح قلبى إلا التفكر فى نيل معالجته ؟ أو ليس عجيبا أن أكون حية بين أظهركم وفى قلبى من الاشتياق إلى ربى عز وجل مثل شعل النار التى لا تطفأ، حتى أصير إلى الطبيب الذي عنده برء دائى وشفاء قلب قد أنضجه طول الأحزان فى هذه الدار التى لا أجد فيها على البكاء مسعدا؟

(٤١) سعيد بن السائب الطائفى

دموعه كالقطر

روى عن أبيه ونوح بن صعصعة وغيرهما وروى عنه وكيع ومعن بن عيسى.

عن سفيان قال : كان سعيد بن السائب الطائفى لا تكاد تجف له دمعة إنما دموعه جارية دهره : إن صلى فهو يبكى وإن طاف فهو يبكى، وإن جلس يقرأ فى المصحف فهو يبكى وإن لقيته فى طريق فهو يبكى.

قال سفيان : فحدثونى أن رجلا عاتبه على ذلك فبكى ثم قال إنما ينبغى أن تعذلنى وتعاتبنى على التقصير والتفريط فإنهما قد استوليا على.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : ما رأيت أحداً قط أسرع دمعة من سعيد بن السائب، إنما كان يجريه أن يحرك فترى دموعه كالقطر.

عن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قيل لسعيد بن السائب : كيف أصبحت؟ قال : أصبحت أنتظر الموت على غير عدة. وعنه قال : سمعت الثورى يقول : جلست ذات يوم أحدث ومعنا سعيد بن السائب الطائفى؟ فجعل سعيد يبكى حتى رحمته. فقلت : يا سعيد، ما يبكيك، وأنت تسمعنى أذكر أهل الخير وفعالهم. فقال : يا سفيان، وما يمنعنى من البكاء إذا ذكرت مناقب أهل الخير وكنت عنهم بمعزل؟

قال : يقول سفيان : حق له أن يبكى، رحمه الله.

(٤٢) طاوس بن كيسان

يكنى أبا عبد الرحمن - قال الواقدي كان طاوس مولى بحير بن ريسان الحميرى وكان ينزل الجند، وقال الفضل بن دكين هو مولى لهمدان وقال عبد المنعم بن إدريس هو مولى لابن هوذة الهمدانى.

عن الحسن بن حصين قال : رأيت طاوسا مر برؤوس بمكة وقد أخرج رأسا فلما رآه صعق. وعن عبد الله بن بشر أن طاوسا اليمانى كان له طريقان إلى المسجد طريق فى السوق وطريق آخر. فكان يأخذ فى هذا يوما وفى هذا يوما فإذا مر ف يرطق السوق فرأى تلك الرءوس المشوية لم يتعش تلك الليلة - وقد روى لنا : ولم ينعس.

وعن مسعر عن رجل قال : أتى طاوس رجلا فى السَحَر فقالوا : هو نائم. فقال ما كنت أرى أن أحدا ينام فى السحر . وعن عبد الرزاق قال : حدثنى أبى قال : كان طاوس يصلى فى غداة باردة فمر به محمد بن يوسف أخ الحجاج بن يوسف، أو أيوب ابن يحيي وهو ساجد فى موكبه فأمر بساج أو طيلسان

مرتفع فطرح عليه فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته فلما سلم نظر فإذا الساج عليه. قال : فانتفض ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله.

وعن أبى إسحاق الصنعانى قال : دخل طاوس ووهب بن منبه على محمد بن يوسف أخى الحجاج، وكان عاملا علينا، فى غداة باردة فقعد طاوس على الكرسى. فقال محمد : يا غلام هلم ذلك الطيلسان فألقه على أبى عبد الرحمن. فألقوه عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى عنه الطيلسان وغضب محمد بن يوسف. فقال له وهب : والله إن كنت لغنيا أن تغضبه علينا، لو أخذت الطيلسان فبعته وأعطيت ثمنه المساكين فقال : نعم لولا أن يقال من بعدى : أخذه طاوس فلا يصنع فيه ما أصنع ، لفلعت.

وعن النعمان بن الزبير أن محمداً بن يوسف وأيوب بن يحيى بعثا إلى طاوس بخمس مائة دينار وقالا للرسول إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك : فخرج بها حتى قدم على طاوس فقال : يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها إليك الأمير. قال : مالى بها من حاجة قال فأراده على قبضها فأبى. فغفل طاوس فرمى بها فى كوة فى البيت ثم ذهب، فقال لهم : قد أخذها. فلبثوا حينا : ثم بلغهم عن طاوس شىء يكرهونه، فقال ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالنا فجاءه الرسول فقال : المال الذى بعث به إليك الأمير قال : ما قبضت منه شيئا، فرجع الرسول فأخبرهم فعرفوا أنه صادق.

فقيل للرجل الذى ذهب بها، فبعثوه إليه فقال : المال الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : هل قبضت منك شيئا؟ قال : لا . قال : فهل تدرى أين وضعته ؟ قال : نعم فى تلك الكوة. قال : فأبصره حيث وضعته. قال : فمد يده فإذا هو بالصرة قد بنت عليه العنكبوت فأخذها فذهب بها إليهم.

وعن سفيان قال جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاوس فلم يلتفت إليه. فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه ؟ قال :

أردت أن يعلم أن لله عبادا يزهدون فيما فى يديه. وعن سفيان عن عمرو قال : ما رأيت أحدا أشد تنزها مما فى أيدى الناس من طاوس.

وعن ابن أبى رواد قال : رأيت طاوسا وأصحابه إذا صلوا العصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحدا وابتهلوا فى الدعاء.

وعن الصلت بن راشد قال : كنت عند طاوس، فسأله سلم بن قتيبة عن شىء فزبره وانتهره. قال : قلت : هذا سلم بن قتيبة صاحب خرسان . قال : ذاك أهون له عليّ. وعن عبد الرزاق قال : قدم طاوس مكة فقدم أمير . قال : فقيل له إن من فضله ومن ومن فلو أتيته. قال : مالى إليه حاجة. قالوا : إنا نخافه عليك. قال : فما هو كما تقولون.

وعن ابن طاوس قال : قلت لأبي : أريد أن أتزوج فلانة. قال : اذهب فانظر إليها . قال : فذهبت فلبست من صالح ثيابى وغسلت رأسى وادهنت فلما رآنى فى تلك الهيئة قال : اقعد لا تذهب.

وعن بلال بن كعب قال : كان طاوس إذا خرج من اليمن يعنى إلى مكة لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة الجاهلية. وعن يوسف بن أسباط قال : مر طاوس بنهر قد كرى فأرادت بغلته أن تشرب فأبى أن يدعها. يعنى : كراء السلطان . وعن عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه قال : صلى وهب بن منبه وطاوس اليمانى الغداة(١) بوضوء العتمة(٢) أربعين سنة. وعن ابن جريج قال : قال لى عطاء : قال لى طاوس : يا عطاء لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجابة، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه وضمن لك أن يستجيب لك.

---

(١) الغداة : الفجر .

(٢) العتمة : العشاء.

وعن أحمد بن أبى الحوارى قال : سمعت أبا سليمان قال : كان طاوس يفترش فراشه ثم ضطجع فيتقلى كما تتقلى الحية فى المقلى، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول : طير ذكر جهنم نوم العابدين .

وعن ليث عن طاوس قال : ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أحصى عليه، حتى أنيته فى مرضه.

وعن عبد الله بن أبى صالح المكى قال : دخل على طاوس يعودنى فقلت : يا أبا عبد الرحمن ادع الله لى فقال : ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

وعن سفيان قال : قال طاوس : إن الموتى يفتنون فى قبورهم سبعا فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام.

وعن داود بن إبراهيم أن الأسد حبس الناس ليلة فى طريق الحج فدق الناس بعضهم بعضا فلما كان فى السحر ذهب عنهم فنزل الناس يمينا وشمالا فألقوا أنفسهم فناموا، وقام طاوس يصلى. فقال ابن طاوس : ألا تنام فقد نصبت الليلة. فقال طاوس : ومن ينام السحر ؟ أدرك طاوس خلقا كثيرا من الصحابة وأكثر روايته عن ابن عباس.

وروى عنه من كبار التابعين : مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وأبو الزبير ومحمد ابن المنكدر والزهرى ووهب بن منبه.

وعن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس قال : أدركت خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ .

وعن سفيان قال : قلت لعبيد الله بن أبى يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء والعامة، وكان طاوس يدخل مع الخاصة.

وفاته رحمه الله

توفى طاوس بمكة قبل يوم التروية بيوم، وكان هشام بن عبد الملك قد حج فى تلك السنة وهو خليفة سنة ست ومائة، فصلى على طاوس وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة.

وعن ضمرة عن ابن شوذب قال :شهدت جنازة طاوس بمكة سنة ست ومائة فسمعتهم يقولون : رحمك الله أباعبدالرحمن،حج أربعين حجة – رحمه الله –.

(٤٣) وهب بن منبه

من الأبناء يكنى أبا عبد الله. عن عبد العزيز بن رفيع، عن وهب بن منبه ، قال : الإيمان عريان، ولباسه التقوى وزينته الحياء، وماله الفقه.

وعن عبد الصمد بن معقل أن وهب بن منبه قال فى موعظة له : «يا ابن آدم إنه لا أقوى من خالق ولا أضعف من مخلوق، ولا أقدر ممن طلبته فى يده، ولا أضعف ممن هو فى يد طالبه، يا ابن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك وأقام معك ما سيذهب.

يا ابن آدم أقصر عن تناول ما لا تنال وعن طلب ما لا تدرك وعن ابتغاء مالا يوجد واقطع الرجاء منك عما فقدت من الأشياء ، واعلم أنه رُبَّ مطلوب هو شر لطالبه.

يا ابن آدم إنماالصبر عند المصيبة، وأعظم من المصيبة سوء الخلف منها.

يا ابن آدم فأى الدهر ترتجى؟ أيوما يجئ فى غرة أو يوما تستأخر فيه عن أوان مجيئه ؟ فانظر إلى الدهر تجده ثلاثة أيام : يوما مضى لا ترتجيه، ويوما لابد منه، ويوما يجئ لا تأمنه، فأمس شاهد مقبول وأمين مؤد وحكيم

وارد، قد فجعك بنفسه وخلف فى يديك حكمته، واليوم صديق مودع كان طويل الغيبة وهو سريع الظعن ، أتاك ولم تأته وقد مضى قبله شاهد عدل، قال كان ما فيه لك فاشفعه بمثله.

يا ابن آدم قد مضت لنا أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد أصله ؟!

يا ابن آدم إنما أهل هذه الدار سفر لا يحلون عقدة الرحال إلا فى غيرها وإنما يتبلغون بالعوارى فما أحسن الشكر للنعم، والتسليم للمعير.

فاعلم يا ابن آدم أنه لا رزية أعظم من رزية في عقل ممن ضيع اليقين.

أيها الناس، إنما البقاء بعد الفناء. وقد خلقنا ولم نكن، سنبلى ثم نعود، ألا وإنما العوارى اليوم والهبات غدا . ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش أو إعطاء جزيل فاستصلحوا ما تقدمون بما تظعنون عنه.

أيها الناس إنما أنتم فى هذه الدار غرض فيكم المنايا تنتضل .، وإن الذى أنتم فيه من دنياكم نهب للمصائب، لا تتناولون فيها نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يستقبل معمر منكم يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله، ولا تجدد زيادة فى أجله إلا بنفاذ ما قبله من رزقه، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر فنسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه العظة».

وعن بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : مر رجل عابد على رجل عابد فقال : مالك ؟ قال : أعجب من فلان أن كان قد بلغ من عبادته فمالت به الدنيا، فقال : لا تعجب ممن تميل به ولكن اعجب ممن استقام.

وعن أشرس ، عن وهب بن منبه قال : أوحى الله عز وجل إلي داود : يا داود هل تدرى من أغفر له ذنوبه من عبيدى ؟ قال : من هو يارب ؟ قال الذى إذا ذكر ذنوبه ارتعدت منها فرائصه، فذلك العبد الذى آمر ملائكتى أن يمحوا عنه ذنوبه.

قال : وقال داود : إلهى أين أجدك إذا ما طلبتك ؟ قال : عند المنكسرة قلوبهم من مخافتى. وعن بكار بن عبد الله عن وهب قال : قرأت فى بعض الكتب أن مناديا ينادى من السماء الرابعة كل صباح : أبناء الأربعين، زرع قد دنا حصاده، أبناء الخمسين ماذا قدمتم ؟ وماذا أخرتم ؟ أبناء الستين لا عذر لكم ، ليت الخلق لم يخلقوا وإذا خلقوا علموا لماذا خلقوا، قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم.

وعن عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قرأت في التوراة أيما دار بنيت بقوة الضعفاء جعلت عاقبتها للخراب، وأيما مال جمع من غير حل جعلت عاقبته إلى الفقر.

وعن عبد الرزاق قال : أخبرنى أبى قال : سمعت وهب بن منبه يقول : ربما صليت الصبح بوضوء العتمة.

وعن المثنى بن الصباح قال : لبث وهب بن منبه عشرين سنة لم يجعل له بين العشاء والصبح وضوءا .

وعن أبى سنان القسملى قال : سمعت وهب بن منبه، وأقبل على عطاء الخراسانى فقال : «ويحك ياعطاء ألم أخبرأنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا؟ ويحك ياعطاء تأتى من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره ويوارى عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه، ويظهر لك غناءه ويقول :

﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ .

ويحك يا عطاء أرض بالدون من الدنيا مع الحكمة ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا، ويحك يا عطاء إن كان يغنيك ما يكفيك فإن أدنى ما فى الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس فى الدنيا شىء يكفيك ويحك يا عطاء إنما بطنك بحر من البحور وواد من الأودية فليس يملؤه إلا التراب».

وعن منبر مولى الفضل بنت أبى عياش قال : كنت جالسا مع وهب ابن منبه فأتاه رجل فقال : إنى مررت بفلان وهو يشتمك فغضب وقال : ما وجد الشيطان رسولا غيرك ؟ فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الرجل الشاتم فسلم على وهب.

فرد عليه ومد يده وصافحه وأجلسه إلى جنبه.

وعن إبراهيم بن عمر قال : قال وهب بن منبه : إذا مدحك الرجل بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك. وعن جعفر بن برقان، عن وهب بن منبه قال : الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس بينهما حرون، فإذا قاد القائد ولم يسق السائق لم يغن ذلك شيئا، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئا، وإذا قاد القائد وساق السائق اتبعته النفس طوعا وكرها وطاب العمل.

أسند وهب بن منبه عن : جابر بن عبد الله، والنعمان بن بشير، وابن عباس (وخلق كثير).

وقد روى عن معاذ بن جبل، وأبى هريرة ، فى آخرين، وروى خلق كثير من كبار التابعين كطاوس . وروى عنه من التابعين جماعة منهم : عمرو بن دينار، وأبان بن أبي عياش، وموسى بن عقبة فى آخرين . قال الواقدي : مات وهب بن منبه بصنعاء سنة عشر ومائة وقيل : سنة أربع عشرة ومائة.

(٤٤) المغيرة بن حكيم الصنعانى

من الأبناء عن عبد الله بن إبراهيم قال أخبرنى أبى قال : سافر المغيرة بن حكيم إلى مكة أكثر من خمسين سفرا حافيا محرما صائما، لا يترك صلاة السحر فى سفره. إذا كان السحر نزل فصلى ويمضى وأصحابه فإذا صلي الصبح لحق متى ما لحق . وعن إبراهيم بن عمر قال : كان جزء المغيرة بن حكيم فى يومه وليلته : القرآن كله، يقرأ فى صلاة الصبح من البقرة إلى هود،

ويقرأ قبل الزوال إلى أن يصلى العصر من هود إلى الحج، ثم يختم . سمع المغيرة بن حكيم من ابن عمر، وأبي هريرة ، وغيرهما.

(٤٥) الحكم بن أبان العدنى أبو عيسى

عن إسحاق بن الضيف قال : سمعت مشيخة يقولون : كان الحكم بن أبان سيد أهل اليمن، وكان يصلى الليل فإذا غلبه النوم ألقى نفسه فى البحر وقال : أسبح لله عز وجل مع الحيتان. سمع الحكم من عكرمة وغيره، وتوفى سنة أربع وخمسين ومائة، رحمه الله.

(٤٦) ضرغام بن وائل الحضرمى

عن الطلحى قال : كان رجل بأرض اليمن يقال له ضرغام بن وائل الحضرمى، وكان زاهد قومه : فقال لغلامه ذات يوم : اشدد كتافى ، وعفر خدى بالثرى . ففعل. فقال : مليكى دنا الرحيل، إليك ولا براءة لى من ذنب، ولا عذر فأعتذر، ولا لى قوة فأنتصر، أنت أنت لى فتغمدنى، قال ومات فسمعوا قائلا يقول : أسكن العبد لمولاه فقبله.

(٤٧) متعلق باستار البيت

عن على بن زيد قال : قال طاوس : بينا أنا بمكة بعث إلى الحجاج فأجلسنى إلى جنبه، وأتكأنى علي وساده إذا سمع ملبيا يلبى حول البيت رافعا صوته بالتلبية ، فقال : علي بالرجل. فأتى به. فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من المسلمين . قال : ليس عن الإسلام سألت. قال : فعم سألت ؟ قال : سألتك عن البلد. قال : من أهل اليمن قال : كيف تركت محمد بن يوسف ؟ يريد أخاه. قال تركته عظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا. قال : ليس عن هذا سألتك. قال: فعم سألت ؟ قال : سألتك عن سيرته. فقال : تركته ظلوما غشوما مطيعا

للمخلوق عاصيا للخالق. فقال له الحجاج : ما حملك أن تتكلم بهذا الكلام وأنت تعلم مكانه منى. قال الرجل : أتراه بمكانه منك أعز منى بمكانى من الله عز وجل وأنا وافد بيته ومصدق نبيه وقاضى دينه ؟ قال : فسكت الحجاج فما أحار جوابا، وقام الرجل من غير أن يؤذن له فانصرف.

قال طاوس : وقمت فى أثره وقلت : الرجل حكيم . فأتى البيت فتعلق بأستاره ثم قال : اللهم بك أعوذ وبك ألوذ، اللهم اجعل لى فى اللهف إلي جودك والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين وغنى عما فى أيدى المستأثرين، اللهم فرجك القريب القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة. ثم ذهب فى الناس فرأيته عشية عرفة وهو يقول : اللهم إن كنت لم تقبل حجى وتعبى ونصبي فلا تحرمنى الأجر على مصيبتى بتركك القول منى. ثم ذهب فى الناس فرأيته غداة جمع يقول : واسوأتاه، والله منك وإن عفوت ، يردد ذلك وجمع هى مزدلفة.

(٤٨) مصرع الخائفين

موسى بن على الأخميمى قال : قال ذو النون : وصف لى رجل باليمن قد برز على الخائفين وسما على المجتهدين، وذكر لى باللب والحكمة. فخرجت حاجا فلما قضيت نسكى مضيت إليه لأسمع من كلامه وأنتفع بموعظته أنا وناس كانوا معى يطلبون منه مثل ما أطلب.

وكان معنا شاب عليه سيماء الصالحين ومنظر الخائفين، كان مصفار الوجه من غير مرض، أعمش العينين من غير عمش، ناحل الجسم من غير سقم، يحب الخلوة ويأنس بالوحدة تراه أبدا كأنه قريب العهد بالمصيبة، فخرج إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالسلام عليه وصافحه ، فأبدى الشيخ له البشر والترحيب. ثم سلمنا عليه فقال إن الله بمنه وفضله قد جعلك طبيبا لسقام القلوب معالجا لأوجاع الذنوب وبى جرح نغل وداء قد استكمل، فإن رأيت أن تلطف لى ببعض مراهمك وتعالجنى برفقك.

فقال له الشيخ سل ما بدا لك يا فتى . فقال له الشاب : يرحمك الله ما علامة الخوف من الله تعالى ؟ قال : أن يؤمنه خوفه كل خوف غير خوفه. قال : متى يتبين للعبد خوفه من الله تعالى ؟ قال : إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة السقيم فهو يحتمى من أكل الطعام مخافة السقام، ويصبر على مضض كل دواء مخافة طول الضنى.

فصاح الفتى صيحة ثم بقى باهتا ساعة ثم قال : رحمك الله ما علامة المحب لله تعالى ؟ فقال : له : حبيبي إن درجة المحب درجة رفيعة. قال : وأنا أحب أن تصفها لى. قال : فإن المحبين لله تعالى شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عز جلال الله فصارت أبدانهم دنياوية وأرواحهم حجبية، وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة وتشاهد تلك الأمور باليقين فعبدوه بمبلغ استطاعتهم حبا لا طمعا فى جنة ولا خوفا من نار. فشهق الفتى وصاح صيحة كانت فيها نفسه. قال : فأكب الشيخ عليه يلثمه ويقول هذا مصرع الخائفين، وهذه درجة المجتهدين.

(٤٩) رجل وابنه

أبو بكر القرشى قال : قرأت فى كتاب جعفر الآدمى بخطه : قال سلامة : كنت باليمن فى بعض مخالفيها فإذا رجل معه ابن له شاب فقال : إن هذا أبى وهو من خير الآباء ولى بقر تأتينى مساء فأحلبها ثم آتى أبى وهو فى الصلاة فأحب أن يكون عيالى يشربون فضله فلا أزال قائما عليه والإناء فى يدى وهو مقبل على صلاته، وعسى أن لا ينفتل ويقبل علىّ حتى يطلع الفجر.

قلت للشيخ : ما تقول ؟ قال صدق. وأثنى على ابنه، ثم قال إنى أخبرك بعذرى : إذا دخلت فى الصلاة فاستفتحت القرآن ذهب بى مذاهب وشغلنى، حتى ما أذكره، حتى أصبح. قال سلامة ذكرت أمرهما لعبد الله بن مرزوق

فقال : هذان يدفع بهما عن أهل اليمن قال : وذكرت أمرهما لابن عيينة فقال : هذان يدفع بهما عن أهل الأرض، رضى الله عنهما.

(٥٠) خنساء بنت خدام

وليست بالصحابية

عن حفص بن عمرو الجعفى قال : كانت باليمن امرأة من العرب جليلة جهورية حسنا وجمالا كأنها بدنة، يقال لها خنساء بنت خدام، فصامت أربعين عاماً حتى لصق جلدها بعظمها، وبكت حتى ذهبت عيناها، وقامت حتى أقعدت من رجليها.

وكان طاوس ووهب بن منبه يعظمان قدرها. وكانت إذا جن عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تنادى بصوت لها حزين : يا حبيب المطيعين، إلي كم تحبس خدود المطيعين فى التراب، ابعثهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذي اتعبوا له أنفسهم ثم أنصبوها. قال : فيسمع البكاء من الدور حولها.

(٥١) سوية

عن أبي هشام - رجل من قريش من بنى عامر - قال : قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سوية. فنزلت فى بعض رباعنا، فكنت أسمع لها من الليل نحيبا وشهيقا. فقلت للجارية : أشرفي على هذه المرأة انظرى ما تصنع؟ فإذا هى قائمة مستقبلة القبلة رافعة رأسها إلى السماء فقلت: ما تصنع؟ قالت : ما أراها تصنع شيئا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء . فقلت : اسمعى ما تقول . قالت : لا أفهم كثيرا من قولها، غير أنى أسمعها تقول : أراك خلقت سوية من طينة لازبة غمرتها بنعمتك، تغذوها من حال إلى حال وكل أحوالك لها حسنة، وكل بلائك عندها جميل، وهى مع ذلك متعرضة لسخطك

بالتوثب على معاصيك، فلتة فى إثر فلتة أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعالها؟ بلي وأنت على كل شىء قدير. ثم صرخت وسقطت. ونزلت الجارية فأخبرتنى بسقطتها فلما أصبحنا نظرنا فإذا هى قد ماتت.

(٥٢) عابدة تحيى الليل كله

عن محمد بن سليمان القرشى قال : بينا أنا أسير فى طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف فى الطريق فى أذنية قرطان، فى كل قرط جوهرة، يضىء وجهه من ضوء تلك الجوهرة، وهو يمجد ربه بأبيات من الشعر . فسمعته يقول :

مليك فى السماء به افتخارى عزيز القــدر ليس به خفـــاء

فدنوت منه فسلمت عليه فقال : ما أنا براد عليك حتى تؤدى من حقى ما يجب لى عليك. قلت : وما حقك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل عليه السلام لا أتغذى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف.

فأجبته إلى ذلك فرحب بى وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر. فلما قربنا من الخيمة صاح : يا أختاه. فأجابته جارية من الخيمة : يا لبيكاه. فقال : قومى إلى ضيفنا. فقالت الجارية : حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف. فقامت فصلت ركعتين شكرا لله عز وجل .

فأدخلنى الخيمة وأجلسنى. وأخذ الغلام الشفرة وأخذ عناقا[1] ليذبحها فلما جلست فى الخيمة نظرت إلى أحسن الناس وجها، فكنت أسارقها النظر ففطنت لبعض لحظاتى إليها فقالت لى : مه أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب ﷺ أن زنى العينين النظر ؟ أما إنى ما أردت بهذا أن أوبخك، ولكنى أردت أن أودبك لكى لا تعود إلى مثل هذا. فلما كان النوم بت وأنا

(١) عناقا : عنزا صغيرا .

والغلام خارجا وباتت الجارية فى الخيمة وكنت أسمع دوى القرآن الليل كله بأحسن صوت يكون وأرقه.

فلما أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذلك ؟ فقال : تلك أختى تحيى الليل كله إلى الصباح فقلت : يا غلام أنت أحق بهذا العمل من أختك . أنت رجل وهى امرأة. قال : فتبسم وقال لى : ويحك يا فتى أما علمت أنه موفق ومخذول؟

(٥٣) أبو هاشم الزاهد

قال أبو نعيم الحافظ : أبو هاشم من قدماء زهاد بغداد، ومن أقرا أبي عبد الله البرائى. وبلغنى أن سفيان الثورى جلس إليه وقال : ما زلت أرائى وأنا لا أشعر حتى جالست أبا هاشم فأخذت منه ترك الرياء.

محمد بن حسين قال : حدثنى بعض أصحابنا قال : قال أبو هاشم الزاهد : إن الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها، وليقبل المطيعون له بالإعراض عنها وأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون وإلى الآخرة مشتاقون.

وعن حكيم بن جعفر قال : نظر أبو هاشم إلى شريك القاضي يخرج من دار يحيى بن خالد فبكى وقال : أعوذ بالله من علم لا ينفع.

وعن محمد بن الحسين قال : قال أبو هاشم الزاهد أخذ المرء نفسه بحسن الأدب تأديب أهله.

(٥٤) أسود بن سالم

أبو محمد العابد . كان صالحا ورعا، وكان بينه وبين معروف الكرخى مؤاخاة ومودة . عن على بن محمد بن إبراهيم الصغار قال : حضرت أسود بن سالم ليلة فقلت :

أمامـــى موقـف قــدام ربى　　　يسـائلنى وينكشـف الغطـــاء

وحسبى أن أمر على صراط　　　كحـد السـيف أسفله لظـــاء

قال فصرخ أسود صرخة ولم يزل مغشيا عليه حتى أصبح.

وعن أحمد بن الحكم الصاغانى قال : جاء رجل إلي ابن حميد فقال : إنى اغتبت أسود بن سالم فأتيت في منامى فقيل لى : تغتاب وليا من أولياء الله لو ركب حائطًا ثم قال له سر لسار. ؟ وعن محمد بن إبراهيم السائح قال : قال أسود بن سالم : ركعتان أصليهما أحب إلى من الجنة بما فيها. فقيل له : هذا خطأ. فقال : دعونا من كلامكم، رأيت الجنة رضا نفسى وركعتين أصليهما رضا ربى ، ورضا ربى أحب إلى من رضا نفسى. أسند أسود عن : حماد بن زيد وسفيان بن عيينة واسماعيل بن علية فى آخرين.

وتوفى فى سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة ومائتين.

(٥٥) منصور بن عمار بن كثير

أبو السرى الواعظ

أصله من خراسان – قال أبو عبد الرحمن السلمى : هو من أهل مرو. وقيل لهو من أهل بوشنج. وقيل من البصرة. سكن بغداد. عن أبى سعيد بن يونس قال : كان منصور بن عمار فى قصصه وكلامه شيئا عجبا لم يقص على الناس مثله. وعن سليم بن منصور قال : رأيت أبى فى المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : إن الرب قربنى وأدنانى وقال لى : يا شيخ السوء تدرى لم غفرت لك؟ قلت : لا يا إلهى قال : إنك جلست للناس يوما مجلسا فبكيتهم، فبكى فيه عبد من عبادى لم يبك من خشيتى قط فغفرت له ووهبت أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت له.

وعن أبى الحسين السعدانى قال : رأيت منصور بن عمار فى المنام، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : وقفت بين يديه فقال لى : أنت الذى كنت تزهد الناس فى الدنيا وترغب فيها ؟ قلت : قد كان ذلك ولكن ما اتخذت مجلسا إلا وبدأت بالثناء عليك، وثنيت بالصلاة على نبيك ﷺ ، وثلثت بالنصيحة لعبادك. فقال : صدق. ضعوا له كرسيا فى سمائى فيمجدنى فى سمائى بين ملائكتى كما مجدنى فى أرضى بين عبادى.

أسند منصور عن معروف أبى الخطاب صاحب وائلة بن الأسقع وروى عن الليث وابن لهيعة فى آخرين. وتوفى ببغداد.

(٥٦) ولد الرشيد المعروف بالسبتى

ويقال : اسمه أحمد، رضى الله عنه.

عن عبد الله بن الفرج قال : خرجت يوما أطلب رجلا يرم لى شيئا فى الدار. فذهبت فأشير لى إلي رجل حسن الوجه بين يديه مر وزبيل. فقلت : تعمل لى ؟ قال : نعم بدرهم ودانق. فقلت : قم فقام فعمل لى عملا بدرهم ودانق.

قال : ثم أتيت يوما آخر فسألت عنه فقيل لى : ذلك رجل لا يرى فى الجمعة إلا يوما واحداً، يوم كذا . قال : فجئت ذلك اليوم فقلت : تعمل لى ؟ قال: نعم بدرهم ودانق. فقلت أنا : بدرهم . فقال : بدرهم ودانق. فقلت : قم . ولم يكن بى الدانق ولكن أحببت أن استعلم ما عنده فلما كان المساء وزنت درهما فقال لى : ما هذا ؟ قلت : درهم. قال : ألم أقل لك درهم ودانق ؟ أف لقد أفسدت على . فقلت : وأنا ألم أقل لك بدرهم ؟ فقال : لست آخذ منه شيئا. قال : فوزنت درهما ودانقا، فقلت : خذ فأبى أن يأخذه وقال : سبحان الله أقول لا آخذه وتلح على ؟ فأبى أن يأخذه ومضى.

قال : فأقبل على أهلي وقالت : فعل الله بك : ما أردت إلي رجل عمل لك عملا بدرهم أن أفسدت عليه ؟ قال فجئت يوما أسأل عنه فقيل لى مريض. فاستدللت على بيته فأتيته فاستأذنت عليه فدخلت وهو مبطون، وليس فى بيته شيء إلا ذلك المر والزبيل : فسلمت عليه، وقلت له : لى إليك حاجة، وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن : أحب أن تجيء إلى بيتى أمرضك. قال : لا تعرض على طعاما حتى أسألك، وإذا أنا مت أن تدفنى فى كسائى وجبتى هذه . قلت : نعم. قال : والثالثة أشد منهما وهى شديدة قلت : وإن كان.

قال : فحملته إلي منزلى عند الظهر. فلما أصبحت من الغد نادانى : يا عبد الله، فقلت : ما شأنك؟ قال : قد احتضرت ، افتح صرة على كم جبتى. قال: ففتحتها فإذا فيها خاتم عليه فص أحمر. فقال : إذا أنا مت ودفنتنى فخذ هذا الخاتم ثم ادفعه إلى هارون أمير المؤمنين وقل له يقول لك صاحب هذا الخاتم: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه، فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت.

فلما دفنته، سألت عن يوم خروج هارون أمير المؤمنين وكتبت قصة وتعرضت له قال : فدفعتها إليه وأوذيت أذى شديدا فلما دخل قصره وقرأ القصة قال: عليّ بصاحب هذه القصة. قال : فأدخت عليه وهو مغضب قال : تتعرضون لنا وتفعلون ؟ فلما رأيت غضبه أخرجت الخاتم فلما نظر إلى الخاتم قال : من أين لك هذا الخاتم ؟ قلت : دفعه إلى رجل طيان. فقال لى : طيان طيان. وقربنى منه. فقلت له : يا أمير المؤمنين إنه أوصانى بوصية . فقال لى : ويحك قل : فقلت : يا أمير المؤمنين إنه أوصانى إذا أوصلت إليك هذا الخاتم فقل له : يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام ويقول لك : ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت.

فقام على رجليه قائما وضرب بنفسه على البساط وجعل يتقلب عليه ويقول: يا بنى نصحت أباك.

فقلت في نفسي: كأنه ابنه. ثم جلس وجاؤوا بالماء فمسحوا وجهه وقال لي: كيف عرفته : فقصصت عليه قصته . قال : فبكى وقال : هذا أول مولود ولد لي، وكان أبى المهدى ذكر إلى زبيدة أن يزوجنى فبصرت بهذه المرأة فوقعت فى قلبى وكانت حسنة فتزوجت بها سرا من أبى، فأولدتها هذا المولود وأحدرتها إلى البصرة وأعطيتها هذا الخاتم وأشياء وقلت : اكتمى نفسك ، فإذا بلغك أنى قد قعدت للخلافة فائتينى. فلما قعدت للخلافة سألت عنهما فذكر لى أنهما ماتا، ولم أعلم أنه باق. فأين دفنته ؟ قلت : يا أمير المؤمنين دفنته فى مقابر عبد الله بن مالك . قال : لى إليك حاجة : إذا كان بعد المغرب فقف لى بالباب حتى أخرج إليك فأخرج متنكرا إلى قبره.

فوقفت له فخرج متنكرا والخدم حوله ووضع يده بيدى وصاح بالخدم فتنحوا وجئت به إلى قبره فما زال ليلته يبكى إلى أن أصبح ويدير رأسه ولحيته على قبره يقول : يا بنى لقد نصحت أباك.

قال : فجعلت أبكى لبكائه رحمة منى له ثم سمع كلاما فقال : كأنى أسمع كلام الناس. قلت : أجل أصبحت يا أمير المؤمنين، قد طلع الفجر. فقال لى : قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، واكتب عيالك مع عيالى، مع من تهتم به، فإن لك على حقا بدفنك ولدي وإن أنا مت أوصيت من يلى بعدى أن يجرى عليك، ما بقى لك عقب.

ثم أخذ بيدى حتى إذا بلغ قريبا من القصر ويده بيدى إذا الخدم. فلما صاروا إلى القصر قال لي : انظر ما وصيتك به : إذا طلعت الشمس قف لى حتى أنظر إليك وأدعو بك فتحدثنى حديثه. قلت : إن شاء الله. فلم أعد إليه.

عن أبى بكر بن أبى الطيب قال : بلغنا عن عبد الله بن الفرج العابد قال : احتجت إلى صانع يصنع لى شيئا من أسرالروز جاريين فأتيت السوق فجعلت

أرمق الصناع فإذا فى أواخرهم شاب مصفر بين يديه زبيل كبير ومر، وعليه جبة صوف ومئزر صوف .فقلت له :تعمل ؟ قال :نعم . قلت :بكم ؟ قال : بدرهم ودانق. قلت له : قم حتى تعمل . قال على شريطة . قلت :ما هى ؟ قال : إذا كان وقت الظهر وأذن المؤذن خرجت وتطهرت وصليت فى المسجد جماعة ثم رجعت، فإذا كان وقت العصر فكذلك. قلت : نعم. فقام معى فجئنا المنزل، فوقفته على ما ينقله من موضع إلى موضع فشد وسطه وجعل يعمل ولا يكلمنى بشىء.

حتى إذا أذن المؤذن للظهر قال : يا عبد الله ، قد أذن المؤذن. قلت : شأنك، فخرج فصلى فلما رجع عمل أيضا عملا جيدا إلى العصر، فلما أذن المؤذن قال : يا عبد الله قد أذن المؤذن. قلت : شأنك فخرج فصلى. ثم رجع فلم يزل يعمل إلى آخر النهار فوزنت له أجرته وانصرف.

فلما كان بعد أيام احتجت إلى عمل فقالت لى زوجتى : اطلب لنا ذلك الصانع الشاب فإنه قد نصحنا فى عملنا فجئت السوق فلم أره. فسألت عنه فقالوا : تسأل عن ذلك المصفر المشؤوم الذى لا نراه إلا من سبت إلى سبت ؟ لا يجلس إلا وحده في آخر الناس. فانصرفت.

فلما كان يوم السبت أتيت السوق فصادفته فقلت : تعمل ؟ فقال : قد عرفت الأجرة والشرط. قلت : استخر الله تعالى . فقام فعمل على النحو الذى كان عمل. قال : فلما وزنت له الأجرة زدته فأبى أن يأخذ الزيادة. فألححت عليه فضجر وتركنى ومضى. فغمنى ذلك فاتبعته وداريته حتى أخذ أجرته فقط.

فلما كان بعد مدة احتجنا أيضا إليه فمضيت فى يوم السبت فلم أصادفه. فسألت عنه فقيل لى: هو عليل وقال لى من كان يخبر أمره: إنما كان إلى السوق من سبت إلى سبت، يعمل بدرهم ودانق يتقوت كل يوم دانقا، وقد مرض.

فسألت عن منزله، فأتيته وهو فى بيت عجوز فقلت لها : هذا الشاب الروزجارى فقالت : هو عليل منذ أيام . فدخلت عليه فوجدته لما به وتحت رأسه لبنة. فسلمت عليه وقلت : لك حاجة؟ قال نعم : إن قبلت. قلت : أقبل إن شاء الله تعالى . قال : إذا أنا مت فبع هذا المر واغسل جبتى هذه الصوف، وهذا المئزر، وكفنى بهما وافتق جيب الجبة فإن فيها خاتما فخذه، ثم انظر يوم يركب هارون الرشيد الخليفة فقف له فى موضع يراك فكلمه وأره الخاتم فإنه سيدعو بك فسلم إليه الخاتم ولا يكن هذا إلا بعد دفنى.

قلت : نعم . فلما مات فعلت ما أمرنى ، ثم نظرت اليوم الذى يركب فيه الرشيد فجلست له على الطريق فلما مر ناديته : يا أمير المؤمنين لك عندى وديعة ولوحت بالخاتم فأمر بى فأخذت وحملت حتى دخل إلى داره ثم دعا بى ونحى جميع من عنده وقال : من أنت ؟ فقلت : عبد الله بن الفرج. فقال : هذا الخاتم من أين لك ؟ فحدثته قصة الشاب. فجعل يبكى حتى رحمته.

فلما أنس إلى قلت : يا أمير المؤمنين من هو منك ؟ قال : ابنى . قلت : كيف سار إلى هذه الحال ؟ قال : ولد لى قبل أن أبتلى بالخلافة فنشأ نشوءا حسنا وتعلم القرآن والعلم. فلما وليت الخلافة تركنى ولم ينل من دنياى شيئا. فدفعت إلى أمه هذا الخاتم وهو ياقوت ويساوى مالا كثيرا فدفعته إليها وقلت لها: تدفعين هذا إليه. وكان برا بأمه وتسألیه أن يكون معه فلعله أن يحتاج إليه يوما من الأيام فينتفع به، وتوفيت أمه فما عرفت له خبرا إلا ما أخبرتنى به أنت. ثم قال لى : إذا كان الليل فاخرج معى إلى قبره.

فلما كان الليل خرج وحده معى يمشى حتى أتينا قبره فجلس إليه فبكى بكاء شديدا . فلما طلع الفجر قمنا فرجع فقال لى: تعاهدنى فى الأيام حتى أزور قبره. فكنت أتعاهده بالليل فيخرج حتى يزور قبره ثم يرجع.

قال عبد الله بن الفرج : ولم أعلم أنه ابن الرشيد حتى أخبرني الرشيد أنه ابنه.

(٥٧) عبد الله بن مرزوق أبو محمد

زعم أبو عبد الرحمن السلمي أنه كان وزير هارون الرشيد، فخرج من ذلك وتخلى من ماله وتزهد.

عن موسى بن أبي داود قال : استأذنت على عبد الله بن مرزوق فدخلت عليه فإذا هو قاعد كأن حزن الخلق عليه.

وعن الصلت بن حكيم قال : كان عبد الله بن مرزوق كأنه رجل واله، كأنه رجل قد فاته شيء. وكانت له شعرات طوال عند صدغيه، فكان إذا ذكر فرق نتفها أو مدها ففاض دمعه.

وعن سلامة : وصى عبد الله بن مرزوق ؟ قال : قال عبد الله بن مرزوق في مرضه : يا سلامة إن لي إليك حاجة . قال : قلت : ما هي ؟ قال : تحملني فتطرحني على تلك المزبلة لعلي أموت عليها فيرى مكاني فيرحمني، رحمه الله.

(٥٨) عبد الله بن الفرج

أبو محمد القنطري : كان متعبدا، وكان بشر بن الحارث يوده ويزوره، وقد حكى عن فتح الموصلي وغيره حكايات.

عن إبراهيم بن سهل قال : قال عبد الله بن الفرج : سلوا الله عفوا جميلا. قال : فقلنا : يا أبا محمد، أي شيء العفو الجميل ؟ قال : أن يأمر بك من الموقف إلى الجنة، يعني لا يفتنك.

وعن صاعد قال : لما مات عبد الله بن الفرج حضرت جنازته فلما واريته رأيته في الليل، جالسا على شفير قبره معه صحيفة ينظر فيها . فقلت له : ما

فعل الله بك ؟ غفر لى ولكل من شيع جنازتى قال قلت : أنا كنت معهم. قال : هو ذا اسمك فى الصحيفة والسلام.

(٥٩) معروف بن الفيرزان الكرمى

يكنى أبا محفوظ، وهو منسوب إلى كرخ بغداد.

عن أبى صالح عبد الله بن صالح قال : كان أبو محفوظ معروف قد ناداه الله عز وجل بالاجتباء فى حال الصبا، يذكر أن أخاه عيسى قال : كنت أنا وأخى معروف فى الكتاب وكنا نصارى، وكان المعلم يعلم الصبيان (أب ، وابن) فيصيح أخى معروف : أحد أحد. فيضربه المعلم على ذلك ضربا شديداً. حتى ضربه يوما ضربا عظيما فهرب على وجهه. فكانت أمى تبكى وتقول : لئن رد الله على ابنى معروفا لأتبعته على أى دين كان . فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة فقالت له :يابنى على أى دين أنت؟ قال :على دين الإسلام . قالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. فأسلمت أمى وأسلمنا كلنا.

وعن ابن أخت معروف قال : قلت لخالي معروف : يا خال، أراك تجيب كل من دعاك. قال : يا بنى إنما خالك ضيف ينزل حيث ينزل.

وعن السرى بن سفيان الأنصارى قال : أقام معروف الصلاة ثم قال لمحمد بن أبى توبة : تقدم فصل بنا، وذلك أن معروفا كان لا يؤم إنما يؤذن ويقيم ويقدم غيره. قال محمد بن أبى توبة : إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم صلاة أخرى . قال معروف : وأنت تحدث نفسك أن تصلى صلاة أخرى ؟ نعوذ بالله من طول الأمل، طول الأمل يمنع خير العمل.

قال محمد بن منصور الطوسى : كنا عند معروف الكرخى وجاءت امرأة سائلة فقالت : أعطونى شيئا أفطر عليه فإنى صائمة فدعاها معروف وقال لها : يا أختى سر الله أفشيته وتأملين أن تعيشى إلى الليل ؟

وعن يحيى بن جعفر قال : رأيت معروفا الكرخى يؤذن فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله رأيت شعر لحيته وصدغيه قائما كأنه زرع.

وعن عيسى ، أخى معروف، قال : دخل رجل على معروف فى مرضه الذى مات فيه. فقال : يا أبا محفوظ أخبرنى عن صومك . قال : كان عيسى عليه السلام يصوم كذا. قال أخبرنى عن صومك. قال : كان داود عليه السلام يصوم كذا . قال : أخبرنى عن صومك. قال : كان النبى ﷺ يصوم كذا. قال: أخبرنى عن صومك. قال : أما أنا فكنت أصبح دهرى كله صائما فإن دعيت إلى الطعام أكلت ولم أقل إنى صائم.

وعن أحمد بن عبد الله بن ميمون قال : كان معروف الكرخى يضرب نفسه ويقول : يا نفس كم تبكين ؟ أخلصى وتخلصى.

وعن عمرو بن موسى قال : سمعت معروفا يقول ، وعنده رجل يذكر رجلا فجعل بغتابه، فجعل معروف يقول له : اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك، اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك.

وقال سرى : سألت معروفا عن الطائعين لله بأى شىء قدروه على الطاعة لله عز وجل ؟ قال : بخروج الدنيا من قلوبهم، ولو كانت فى قلوبهم ما صحت لهم سجدة.

وعن القاسم بن نصر قال : جاء قوم إلى معروف فأطالوا عنده الجلوس. فقال : أما تريدون أن تقوموا وملك الشمس ليس يفتر عن سوقه ؟

وعن محمد بن حماد بن المبارك قال : قال رجل لمعروف : أوصنى . قال : توكل على الله حتى يكون جليسك، وأنيسك ، وموضع شكواك، وأكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره، واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك.

وعن القاسم بن محمد البغدادى قال : كنت جار معروف الكرخى فسمعته فى السحر ينوح ويبكى وينشد :

أى شـىء تريـد منى الذنـوب شغفت بى فليـس عنى تغيب

ما يضـر الذنـوب لو أعتقتـنى رحمة لى ؟ فقد علانى المشيب

وعن إبراهيم الأطرش قال : كان معروف الكرخى قاعدا على دجلة ببغداد إذ مر بنا أحداث فى زورق يضربون الملاهى ويشربون. فقال له أصحابه : أما ترى أن هؤلاء فى هذا الماء يعصون الله ؟ ادع عليهم.

فرفع يده إلى السماء وقال : إلهى وسيدى ، أسألك أن تفرحهم فى الجنة كما فرحتهم فى الدنيا . فقال له أصحابه : إنما قلنا لك ادع الله عليهم، لم نقل ادع الله لهم. فقال :إذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ولم يضركم بشىء.

أبو بكر بن الزيات قال : سمعت ابن شيرويه يقول : كنت أجالس معروفا الكرخى. فلما كان ذات يوم رأيت وجهه قد خلا. فقلت : يا أبا محفوظ بلغنى أنك تمشى على الماء. فقال لى :ما مشيت قط على الماء ولكن إذا هممت بالعبور يجمع لى طرفاها فأتخطاها.

وعن محمد بن منصور قال : مضيت يوما إلي معروف الكرخى ثم عدت إليه من غد فرأيت فى وجهه أثر شجة فهبت أن أسأله عنها. وكان عنده رجل أجرأ عليه منى. فقال له : كنا عندك البارحة فلم نر فى وجهك هذا الأثر. فقال له معروف : خذ فيما تنتفع به. فقال له : أسألك بحق الله. فانتفض معروف ثم قال له : وما حاجتك إلى هذا ؟ مضيت البارحة إلى بيت الله الحرام. ثم صرت إلى زمزم فشربت منها فزلت رجلى فنطح وجهى الباب فهذا الذى ترى ، من ذلك.

وعن خليل الصياد – وكفاك به – قال : غاب ابنى إلى الأنبار فوجدت أمه

وجدا شديدا فأتيت معروفا فقلت له : يا أبا محفوظ ابنى قد غاب فوجدت أمه وجداً شديداً. قال : فما تشاء؟ قلت :تدعو الله أن يرده عليها. فقال : اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك، وما بينهما لك ، فات به. قال خليل : فأتيت باب الشام فإذا ابنى قائم منبهر، فقلت : يامحمد فقال : يا أبة، الساعة كنت بالأنبار.

وعن محمد بن صبح قال : مر معروف على سقاء يسقى الماء وهو يقول : رحم الله من شرب فشرب، وكان صائما، وقال لعل الله أن يستجيب له.

وعن سرى قال : هذا الذى أنا فيه من بركات معروف : انصرفت من صلاة العيد فرأيت مع معروف صبيا شعثا فقلت له من هذا ؟ قال : رأيت الصبيان يلعبون وهذا واقف منكسر فسألته، لم لا تلعب ؟ قال : أنا يتيم. قال سرى . فقلت له . فما ترى أنك تعمل به قال : لعلى أخلو فأجمع له نوى يشترى به جوزا يفرح به. فقلت له : أعطنيه أغير من حاله. فقال لى : أو تفعل ؟ فقلت : نعم. فقال لى : خذه أغنى الله قلبك. فسويت الدنيا عندى أقل من كذا . قال عبد الله بن سعيد الأنصارى : رأيت معروفا الكرخى فى المنام كأنه تحت العرش، فيقول الله عز وجل : ملائكتى من هذا؟ فقالت الملائكة : أنت أعلم ، هذا معروف الكرخى ، وقد سكر من حبك لا يفيق إلا بلقائك.

وقال أحمد بن الفتح : رأيت بشر بن الحارث فى منامى وهو قاعد فى بستان، وبين يديه مائدة وهو يأكل منها فقلت له : يا أبا نصر ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ورحمنى وأباحنى الجنة بأسرها وقال لى : كل من جميع ثمارها واشرب من أنهارها وتمتع بجميع ما فيها كما كنت تحرم نفسك الشهوات فى دار الدنيا. فقلت له : فأين أخوك أحمد بن حنبل ؟ قال : هو قائم على باب الجنة يشفع لأهل السنة ممن يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق. فقلت له : فما فعل معروف الكرخى ؟ فحرك رأسه ثم قال لى : هيهات ، حالت بيننا وبينه الحجب. إن معروفا لم يعبد الله شوقا إلى جنته ولا خوفا من ناره وإنما عبده شوقا إليه

فرفعه الله إلى الرفيق الأعلى ورفع الحجب بينه وبينه، ذاك الترياق المقدس المجرب.

وعن أبى بكر الزجاج قال : قيل لمعروف الكرخى فى علته : أوص . فقال : إذا مت فتصدقوا بقميصى هذا، فإنى أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت إليها عريانا. أسند معروف عن بكر بن خنيس ، وعبد الله بن موسى، وابن السماك . وتوفى سنة مائتين وقبره ظاهر ببغداد.

(٦٠) بشر بن الحارث الحافى

يكنى أبا نصر، ولد فى سنة خمسين ومائة. عن أيوب العطار قال : قال لى بشر ابن الحارث الحافى : أحدثك عن بدو أمرى ؟ بينا أنا أمشى رأيت قرطاسا على وجه الأرض فيه اسم الله تعالى . فنزلت إلى النهر فغسلته وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهما فيه خمسة دوانق. فاشتريت بأربعة دوانيق مسكا وبدانق ماء ورد، وجعلت أتتبع اسم الله تعالى وأطيبه. ثم رجعت إلى منزلى فنمت فأتانى آت فى منامى فقال : يا بشر كما طيبت اسمى لأطيبن اسمك، وكما طهرته لأطهرن قلبك.

وعن محمد بن بشار قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : أنا ، لله، عشت إلى زمان إن لم أعمل فيه بالجفاء لم يسلم دينى.

وعن الحسين بن محمد البغدادى قال سمعت أبى يقول : زرت بشر بن الحارث فقعدت معه مليا فما زادنى على كلمة قال : ما اتقى الله من أحب الشهرة.

وعن أحمد بن نصر قال : كنا قعودا قدام بشر بن الحارث نفسين . قال : فجاء الثالث فقام فدخل.

وعن أحمد بن الفتح قال : سمعت بشرا يقول : بعث إلي عاصم بن على بأبى زكريا الصفار فقال : يا أبا نصر، إن أبا الحسن يقرأ عليك السلام ويقول : قد اشتد شوقى إليك حتى كدت أن آتيك من غير إذن فعلمت كراهيتك لمجيء الرجال، فإن رأيت أن تأذن لي فآتيك لأسلم عليك، فلعل الله أن ينفعنى برؤيتك.

قال : فقلت له : قد فهمت رسالة الشيخ فأبلغه السلام وقل له : لا تأتنى فإن مجيئك إلى شهرة على وعليك. وعن أبى حفص عمرو بن موسى قال : سمعت بشر ابن الحارث يقول : لقد شهرنى ربى فى الدنيا فليته لا يفضحنى فى القيامة.

ما أقبح بمثلى يظن فى ظن وأنا على خلافه، إنما ينبغى لى أن أكون أكثر ما يظن بى أنى أكره الموت وما يكره الموت إلا مريب ولولا أنى مريب لأى شيء أكره الموت ؟

وقال أحمد بن الصلت : سمعت بشر بن الحارث يقول : غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم.

أبو بكر محمد بن الفياض قال : سمعت زريقا الدلال يقول : سمعت بشر بن الحارث يقول : اللهم استر واجعل تحت الستر ما تحب ، فربما سترت على ما تكره. قال : ثم التفت إلى فقال : يا أخى بادر بادر فإن ساعات الليل والنهار تذهب الأعمار.

وعن محمد بن يوسف الجوهرى قال : سمعت بشر بن الحارث يقول يوم ماتت أخته : إن العبد إذا قصر فى طاعة الله سلبه الله من يؤنسه.

وعن محمد بن قدامة قال : لقي بشر بن الحارث رجل سكران فجعل يقبله ويقول : يا سيدى يا أبا نصر، ولا يدفعه بشر عن نفسه. فلما ولى تغرغرت عينا بشر وقال : رجل أحب رجلا على خير توهمه، لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدرى ما حاله.

وقال رجل : رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر. فقلت : يا أبا نصر لعلك تشتهى من هذا شيئا؟ قال : لا ولكن نظرت فى هذا : إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه.

وعن أبى بكر المروزى قال : سمعت بعض القطانين يقول : أهدى إلى أستاذى رطبا، وكان بشر يقبل فى دكاننا فى الصيف. فقال له أستاذى : يا أبا نصر، هذا من وجه طيب فإن رأيت أن تأكل. قال : فجعل يمسه بيده ثم ضرب بيده إلى لحيته وقال : ينبغى أن أستحيى من الله، إنى عند الناس تارك لهذا وآكله فى السر؟

وعنه قال : سمعت أبا حفص ابن أخت بشر قال : سمعت بشرا يقول : ما شبعت منذ خمسين سنة. وعنه قال سمعت قرابة بشر الحافي يقول : قدم بشر بن عبادان ليلا أو قال : من سفر وهو متزر بحصير.

عن يحيى بن عثمان قال : كان لبشر بن الحارث فى كل يوم رغيف.

قال : وقال لى بشر : كان لى سنور فكنت إذا وضعت طعامى بين يدي جاءت فعيناها فى عينى فآكل وأرمى لها. قال : فقلت : إليك عنى تأكلين قوتى.

وعن أبى بكر بن عثمان قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : إنى لأشتهى شواء منذ أربعين سنة ما صفا لى درهمه.

وعن أبى عمران الوركانى قال تخرق إزار بشر، فقالت له أخته : يا أخى قد تخرق إزارك وهذا البرد فلو جئت بقطن حتى أغزل لك. قال : فكان يجىء بالإستارين والثلاثة. قال : فقالت له : يا أخى إن الغزل قد اجتمع أفلا تسلم إزارك ؟ قال : فقال لها : هاتيه. قال : فأخرجته إلى فوزنه فأخرج ألواحه وجعل يحسب الأساتير فلما رآها قد زادت فيه قال لها : كما افسدته فخذيه.

وعن الحسن بن عمرو بن الجهم قال : سمعت أبا نصر التمار يوم مات

بشر يقول : لولا أن بشرا قد مات ما حدثتكم بهذا :

أتانى ليلة فقلت : يا أبا نصر الحمد لله الذي جاء بك جاءنا قطن من خراسان فغزلته الابنة وباعته لفلان واشترت به لحما وأشياء على أن أفطر عليه. فالحمد لله الذى جاء بك. فقال : يا أبا نصر لا تكثر على فلو أكلت عند أحد من أهل الدنيا أكلت عندك ثم قال : إنى لأشتهى الباذنجان منذ ثلاثين عاما. قلت : فإن فيها باذنجانا. فقال : حتى تصفو لى حبة الباذنجان من أين هى ؟

وعن إبراهيم بن هاشم قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : إنى لأشتهى شواء ورقاقا منذ خمسين سنة ما صفا لى درهمه.

الفتح بن شحرف قال : قال عمر ابن أخت بشر: سمعت خالى بشرا يقول لأمى : جوفى وجع وخواصرى تضرب علىّ. فقالت له أمى : ائذن لى حتى أصلح لك قليل حساء بكف دقيق عندى تتحساه يوم جوفك. فقال لها : ويحك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق فلا أدرى أى شىء أقول له ؟ فبكت أمى وبكى معها وبكيت معهم. قال عمر : ورأت أمى ليلة ما به من شدة الجوع وجعل يتنفس تنفسا ضعيفا. فقالت له أمى : يا أخى ليت أمك لم تلدنى فقد والله تقطع كبدى مما أرى بك فسمعته يقول لها : وأنا فليت أمك لم تلدنى وإذ قد ولدتنى لم يدر لها ثدى علىّ.

قال عمر : وكانت أمى تبكى عليه الليل والنهار.

عبد الله بن خبيق : قال رجل لبشر : مالى أراك مغموما ؟ قال : مالى لا أكون مغموما وأنا رجل مطلوب.

وعن أبى الحسن أحمد بن محمد الزعفرانى قال : سمعت أبى يحكى عن بشر أنه قال : ربما رفعت يدى فى الدعاء فأردها أو قال : فأسئلها.

أقول : إنما يفعل هذا من لها عنده وجه.

وعن الفتح بن شحرف قال : كنت جالسا عند بشر إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة، فأطرق مليا ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه، فقال : اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أتكلم، اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أسكت، اللهم إنك تعلم إنى أخاف أن تأخذنى فيما بين السكوت والكلام.

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قالت : دخل بشر على ليلة من الليالي فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار، وبقى كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح قلت له : فى ماذا تفكرت طوال الليلة ؟ قال : تفكرت فى بشر النصراني ، وبشر اليهودى ، وبشر المجوسى، ونفسى واسم «بشر. فقلت : ما الذى سبق منك حتى خصك ؟ فتفكرت فى تفضله علىّ وحمدته على أن جعلنى من خاصته وألبسنى لباس أحبائه.

وعن أحمد بن نصر قال : سمعت بشرا يقول : يا مازنى ، ليت لا يكون حظى من الله هذا الذى يقول الناس بشر بشر ورأيت أشفار عينيه قد ذهبت من البكاء.

وعن الحسن بن عمرو قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : لو علمت أن رضاه أن أشد فى رجلى حجرا ثم ألقى نفسى فى البحر، لفعلت.

وعن عباس بن دهقان قال : قلت لبشر بن الحارث : أحب أن أخلو معك . قال : إذا شئت، فبكرت يوما فرأيته قد دخل قبة فصلى فيها أربع ركعات لا أحسن أن أصلى مثلها. فسمعته يقول فى سجوده : اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلى من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلىّ من الغنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنى لا أوثر على حبك شيئا. فلما سمعته أخذنى الشهيق والبكاء. فلما سمعنى قال : اللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم.

وقال أحمد بن حنبل : والله إن بين أظهركم رجلا ما هو عندى بدون عامر بن عبد الله، يعنى بشر بن الحارث.

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد قال : سئل أحمد بن حنبل عن مسألة في الورع. فقال : أنا ؟ أستغفر الله لا يحل لى أن أتكلم فى مسألة فى الورع، أنا لا آكل من غلة بغداد. لو كان بشر بن الحارث صلح أن يجيبك عنه، فإنه كان لا يأكل من غلة بغداد ولا من طعام السواد، يصلح أن يتكلم فى الورع.

وعن أبى بكر أحدم بن عبد الرحمن المروزى قال : سمعت بشرا يقول : إن الجوع يصفى الفؤاد ويورث العلم الدقيق. وسمعت بشرا يقول : طوبى لمن تراك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره . وعن أحمد بن الصلت قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : حادثوا الآمال بقرب الآجال.

وعن أبى بكر الباقلاوى قال : سمعت أبى يقول : سمعت بشر بن الحارث ونحن معه بباب حرب، وأراد الدخول إلي المقبرة فقال : الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور.

وعن أحمد بن الصلت قال سمعت بشر بن الحارث يقول : ليس من المودة أن تحب ما يبغض حبيبك.

وعن عمرو بن موسى بن فيروز قال : رأيت بشرا ومعه رجل فتقدم إلى بئر ليشرب منها. فجذبه بشر وقال : تشرب من البئر الأخرى . حتى جاوز ثلاثة آبار. فقال له الرجل : أبا نصر أنا عطشان . فقال له بشر : اسكت فهكذا ندفع الدنيا.

وعن إبراهيم الحربي قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : بحسبك أن أقواما موتى تحيا القلوب بذكرهم وأن أقواما أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم.

وعن عمرو بن موسى الأحول قال سمعت بشرا يقول : يكون الرجل مرائيا فى حياته، مرائيا بعد موته. قيل : كيف يكون مرائيا بعد موته ؟ قال يحب أن يكثر الناس على جنازته. وعن الحسن بن عمرو قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد.

ثم قال : ذلك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يعطى سرا لا يراه إلا الله عز وجل.

وسمعت بشرا يقول : ما أقبح أن يطلب العالم فيقال : هو بباب الأمير.

وعن أبى عبد الله الأسدى قال : قال لى بشر الحافى يوما :

قطـع الليـــالى مع الأيـــام فى خلق والنـــوم تحـــت رواق الهـــم والقلـــق

أحرى وأعـــذر لى من أن يقـــال غـــدا إنى التمست الغنى من كف مختلق

قالوا : قنعت بذا، قلت : القنوع غنى ليـــس الغنى كثرة الأمـــوال والـورق

رضيت بالله فى عسرى وفى يسرى فلســـت أسلـــك إلا أوضـــح الطـــرق

رحل بشر بن الحارث - رضى الله عنه - فى طلب العلم إلى مكة والكوفة والبصرة، وسمع من وكيع وعيسى بن يونس وشريك بن عبد الله وأبى معاوية وأبى بكر ابن عياش وحفص بن غياث واسماعيل بن علية وحماد بن زيد ومالك بن أنس وأبى يوسف القاضى وابن المبارك وهشيم والمعافى بن عمران والفضيل بن عياض وأبى نعيم فى خلق كثير. غير أنه لم يتصد للرواية فلم يضبط عنه من الحديث إلا اليسير.

وتوفى - رضى الله عنه - عشية الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول، وقيل لعشر خلون من المحرم، سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد بلغ من العمر خمسا وسبعين سنة، وقيل سبع وسبعين .

عن يحيى بن عبد الحميد الحمانى قال : رأيت أبا نصر التمار وعلى ابن المدينى فى جنازة بشر بن الحارث يصيحان : هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة. وذلك أن بشرا خرجت جنازته بعد صلاة الصبح ولم يجعل فى القبر إلا فى الليل وكان نهارا صائفا ولم يستقر فى القبر إلا العتمة.

وعن الكندى قال رأيت بشر بن الحارث في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى، وأقعدنى على طيار من لؤلؤة بيضاء، وقال لى: سر فى ملكى.

وعن الحسن بن مروان قال : رأيت بشر بن الحارث فى المنام فقلت : يا أبا نصر ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى وغفر لكل من تبع جنازتى . قال : قلت: ففيم العمل ؟ قال : افتقد الكسرة.

وقال ابن خزيمة : لما مات أحمد بن حنبل بت من ليلتى فرأيته فى النوم فقلت له : ما فعل الله بك؟ قال : غفر لى وتوجنى والبسنى نعلين من ذهب، وقال لى : يا أحمد هذا بقولك : القرآن كلامى . قلت : فما فعل بشر فقال لى : بخ بخ، من مثل بشر ؟ تركته بين يدى الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقول له : كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم، رحمه الله ورضى عنه.

(٦١) أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى

جيء به من مرو حملا فولد فى ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة .

فأما نسبه : أنبأ عبد الله بن أحمد، ثنا أبى أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله ابن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن قصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة

ابن نزار بن معد بن عدنان بن أدبن أدد الهميسع بن حمل بن النبت ابن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخيل عليه السلام.

وعن أبى بكر المروزى قال : قال لى أبو عفيف - وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل - فقال : كان فى الكتاب معنا وهو غليم يعرف فضله وكان الخليفة بالرقة فيكتب الناس إلى منازلهم فيبعث نساؤهم إلى المعلم : ابعث إلينا بأحمد بن حنبل : ليكتب لهم جواب كتبهم. فيبعثه . فكان يجىء إليهم مطأطئ الرأس فيكتب جواب كتبهم فربما أملوا عليه الشىء من المنكر فلا يكتبه لهم.

وعن إدريس بن عبد الكريم قال : قال خلف : جاءنى أحمد بن حنبل يستمع حديث أبى عوانة فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال : لا أجلس إلا بين يديك أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه .

وعن أبى زرعة قال : كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث فقيل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

أبو جعفر بن أحمد بن محمد بن سليمان التسترى قال : قيل لأبي زرعة : من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ ؟ فقال : أحمد بن حنبل ، حزرت كتبه اليوم الذى مات فيه فبلغت اثنى عشر حملا وعدلا، ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان، ولا فى بطنه حديث فلان، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه.

وعن إبراهيم الحربى قال : رأيت أحمد بن حنبل كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء ويمسك ما شاء.

وعن أحمد بن سنان قال : ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيما منه لأحمد ابن حنبل، ولا رأيته أكرم أحدا كرامته لأحمد بن حنبل : وكان يقعد إلى جنبه إذا حدثنا وكان يوقره ولا يمازحه، ومرض أحمد فركب إليه فعاده.

قال المصنف رحمه الله : قلت : كانت مخايل النجابة تظهر من أحمد رضى الله عنه من زمان الصبا، وكان حفظه للعلم من ذلك الزمان غزيرا وعمله به متوفرا. فلذلك كان مشايخه يعظمونه . فكان اسماعيل ابن عُلية يقدمه وقت الصلاة يصلى بهم، وضحك أصحابه يوما فقال : أتضحكون وعندى أحمد بن حنبل ؟

وقال عبد الرزاق : ما رأيت أفقه، ولا أورع من أحمد بن حنبل.

وقال وكيع وحفص بن غياث : ما قدم الكوفة مثل أحمد بن حنبل.

وقال أبو الوليد الطيالسى : ما بالمصرْين أحد أحب إلىَّ من أحمد بن حنبل.

وكان ابن مهدى يقول : ما نظرت إليه إلا ذكرت به سفيان الثورى ولقد كاد هذا الغلام أن يكون إماما فى بطن أمه.

وقال يحيى بن سعيد : ما قدم علىّ مثل أحمد بن حنبل.

وقال أبو عاصم النبيل – وقد ذكر طلاب العلم – فقال : ما رأينا فى القوم مثل أحمد بن حنبل.

وعن أبى بكر المروزى قال : كنت مع أبى عبد الله نحوا من أربعة أشهر بالعسكر لا يدع قيام الليل وقراءة النهار. فما علمت بختمة ختمها. كان يسر ذلك.

وعن أبى عصمة بن عصام البيهقى قال : بت ليلة عن أحمد بن حنبل ، فجاء بالماء فوضعه . فلما أصبح نظر فى الماء فإذا هو كما كان – فقال : سبحان الله ، رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل ؟

وعن أبى داود السجستانى قال : لم يكن أحمد بن حنبل يخوض فى شىء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلم.

وعن أبى عبيد القاسم بن سلام قال : جالست أبا يوسف، ومحمد بن الحسن ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدى، فما هبت أحدا منهم ما هبت أحمد بن حنبل، ولقد دخلت عليه فى السجن لأسلم عليه فسألنى : رجل عن مسألة فلم أجبه هيبة له. وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى قال : ما أعلم أنى رأيت أحدا أنظف ثوبا ولا أشد تعاهدا لنفسه فى شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه. ولا أنقى ثوبا وأشده بياضا من أحمد ابن حنبل.

وعن على بن المدينى قال : قال لى أحمد بن حنبل : إنى لأحب أن أصحبك إلى مكة وما يمنعنى من ذاك إلا أنى أخاف أن أملك أو تملنى. قال : فلما ودعته قلت : يا أبا عبد الله، توصينى بشىء ؟ قال : نعم، الزم التقوى قلبك والزم والآخرة أمامك.

وقال أبو داود السجستانى : كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة، لا يذكر فيها شىء من أمر الدنيا. ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط.

وعن أحمد بن عتبة قال : لما ماتت أم صالح قال أحمد لامرأة عندهم : اذهبى إلى فلانة ابنة عمى فاخطبيها لى من نفسها . قال : فأتتها فأجابته. فلما رجعت إليه قال : كانت أختها تسمع كلامك قال : وكانت بعين واحدة - قالت له: نعم . قال : فاذهبى فاخطبى تلك التى بعين واحدة فأتتها فأجابتها وهى أم عبد الله. فأقام معها سبعا ثم قالت له : كيف رأيت يا بن عم أنكرت شيئا؟ قال : لا إلا أن نعلك هذه تصر.

وعن إبراهيم الحربى قال : كان أحمد بن حنبل يأتى العرس والختان والإملاك، يجيب ويأكل.

وعن إسحاق بن راهويه قال : لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق

انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه من بعض الجمالين، إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئا.

وعن الرمادى قال : سمعت عبد الرزاق - وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه - فقال : قدِم وبلغنى أن نفقته فأخذت عشرة دنانير وأقمته خلف الباب، وما معى ومعه أحد، وقلت : إنه لا تجتمع عندنا الدنانير وقد وجدت الساعة عند النساء عشرة دنانير فخذها فأرجو ألا تنفقها حتى يتهيأ عندنا شىء، فتبسم وقال لى : « يا أبا بكر ، لو قبلت شيئا من الناس قبلت منك » ولم يقبل.

وعن صالح بن أحمد قال جاءتنى : حسن فقالت : يا مولاى قد جاء رجل بتليسة فيها فاكهة يابسة وبهذا الكتاب قال صالح : فقمت فقرأت الكتاب فإذا فيه :

يا أبا عبد الله ، أبضعت لك بضاعة إلى سمرقند فوقع فيها كذا وكذا، ورددتها فيها كذا وكذا، وقد بعثت بها إليك وهى أربعة آلاف درهم وفاكهة أنا لقطتها من بستانى ، ورثته عن أبى ، وأبى ورثه عن أبيه.

قال : فجمعت الصبيان فلما دخل دخلنا عليه فبكيت وقلت له : يا أبة أما ترق لى من أكل الزكاة، ثم كشفت عن رأس الصبية وبكيت فقال : من أين علمت ؟ دع حتى أستخير الله تعالى الليلة. قال : فلما كان من الغد قال : يا صالح صنى فإنى قد استخرت الله تعالى الليلة فعزم لى ألا آخذها. وفتح التليسة ففرقها على الصبيان وكان عنده ثوب عشارى فبعث به إليه ورد المال . قال صالح : فبلغنى أن الرجل اتخذه كفنا.

وعن على بن الجهم قال : كان له جار فأخرج إلينا كتابا فقال : أتعرفون هذا الخط ؟ قلنا :هذا خط أحمد بن حنبل، كيف كتب لك ؟ قال : كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة ففقدنا أحمد بن حنبل أياما لم نره ثم جئنا إليه

لنسأل عنه فقال لنا أهل الدار التى هو فيها :هو فى ذلك البيت . فجئنا إليه والباب مردود عليه، وإذا خلقان فقلنا له :يا أبا عبد الله ما خبرك ؟ لم نرك منذ أيام . فقال : سرقت ثيابى . فقلت له : معى دنانير فإن شئت فخذ قرضا وإن شئت فصلة. فأبى أن يفعل . فقلت :تكتب لى بأجرة ؟ قال :نعم . فأخرجت دينارا فأبى أن يأخذه وقال اشتر لى ثوبا واقطعه بنصفين، فأومأ إلى أنه يأتزر بنصف ويرتدى بالنصف الآخر. وقال :جئنى بنفقته ففعلت وجئت بورق فكتب لى، وهذا خطه.

وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال : دخلت على أبى فى أيام الواثق والله يعلم فى أى حالة نحن وخرج لصلاة العصر، وكان له جلد يجلس عليه، قد أتت عليه سنون كثيرة حتى قد بلى فإذا تحته كتاب فيه :

بلغنى يا أبا عبد الله ما أنت فيه وعن الضيق وما عليك من الدَّين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدى فلان لتقضى بها دينك وتوسع بها على عيالك وما هى من صدقة ولا زكاة، إنما هو شيء ورثته من أبى.

فقرأت الكتاب ووضعته ، فلما دخل قلت له : يا أبة ما هذا الكتاب ؟ فاحمر وجهه وقال : رفعته منك . ثم قال : تذهب بجوابه إلى الرجل . وكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصل كتابك إلىّ ونحن فى عافية فأما الدين فإنه لرجل لا يرهقنا وأما عيالنا فهم بنعمة والله والحمد لله.

فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذى كان أوصل كتاب الرجل فقال : ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمى مثلا فى دجلة كان مأجورا لأن هذا الرجل لا يعرَف له معروف.

فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك فرد عليه الجواب بمثل ما رد. فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال: لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت.

وعن محمد بن موسى بن حماد الزيدى قال : حمل إلى الحسن بن عبد العزيز الحروى من ميراثه من مصر مائة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس فى كل كيس ألف دينار فقال : يا أبا عبد الله هذه ميراث حلال فخذها فاستعن بها على عائلتك. فقال : لا حاجة لى فيها أنا فى كفاية. فردها ولم يقبل منها شيئا.

وعن السرى بن محمد خال ولد صالح قال : جاء أحمد بن صالح بوضىء أبا عبد الله يوما وقد بل أبو عبد الله خرقة فألقاها على رأسه. فقال له أحمد بن صالح : يا جدى أنت محموم. قال أبو عبد الله : وأنى لى بالحمى ؟

وعن رحيلة قال : كنت على باب أحمد بن حنبل والباب مجاف، وأم ولده تكلمه وتقول له : إنا معك فى ضيق، منزل بيت صالح يأكلون ويفعلون وهو يقول: قولى خيرا. وخرج الصبى معه فبكى فقال له : أى شىء تريد ؟ قال : زبيب قال: اذهب فخذ من البقال حبة.

وعن أبى بكر المروزى قال : سمعت أبا عبد الله يقول : إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل. وقال : سمعت أبا عبد الله يقول أسر أيامى إلىَّ يوم أصبح وليس عندى شىء.

وعن صالح بن أحمد قال : ربما رأيت أبي يأخذ الكسر فينفض الغبار عنها ثم يصيرها فى قصعة ثم يصب عليها ماء حتى تبتل، ثم يأكلها بالملح، وما رأيته قط اشترى رمانا ولا سفرجلاً ولا شيئا من الفاكهة، إلا أن يكون يشترى بطيخة فيأكلها بخبز أو عنبا أو تمرا فأما غير ذلك فما رأيته قط اشتراه، وربما خبز له فيجعل فى فخارة عدسا وشحما وتمرات شهريز، فيخص الصبيان بقصعة فيصوت ببضعهم فيدفعه إليهم فيضحكون ولا يأكلون، وكان كثيرا ما يأتدم بالخل وكان يشترى له شحم بدرهم، فكان يأكل منه شهرا. فلما قدم من

عند المتوكل أدمن الصوم وجعل لا يأكل الدسم. فتوهمت أنه كان جعل على نفسه إن سلم أن يفعل ذلك.

وعن النيسابورى صاحب إسحاق بن إبراهيم : قال لى الأمير : إذا جاء إفطاره أرنيه. قال فجاؤوا برغيفين خبز وخيارة. فأريته الأمير فقال : هذا لا يجيبنا إذا كان هذا يقعنه.

وعن الحسن بن خلف الصائغ قال : جاءنى المروزى فى علة أبى عبد الله، قال : أبو عبد الله عليل، فذهبت بالمتطبب فدخلنا عليه. قال : ما حالك ؟ قال : احتجمت أمس . قال : وما أكلت ؟ قال : خبزا وكامخا قال : يا أبا عبد الله تحتجم، وتأكل خبزا وكامخا ؟ قال : فما آكل ؟ وعن محمد بن الحسن بن هارون قال : رأيت أبا عبد الله إذا مشى فى الطريق يكره أن يتبعه أحد.

وقال المروزى : سمعت أبا عبد الله يقول : الخوف يمنعنى من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه.

قال المروزى وبال أبو عبد الله فى مرضه دما فأريته عبد الرحمن المتطبب فقال : هذا رجل قد فتت الغم والحزن كبده.

وعن إبراهيم بن شماس قال : كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام يحيى الليل.

وعن المروزى قال سمعت أبا عبد الله يقول : قد وجدت البرد فى أطرافى ما أراه إلا من إدمانى أكل الخل والملح.

وعن فوران قال : كنا عند أحمد بن حنبل قبل أن يموت بليلتين ، وكان ثم غلام أسود لأبى يوسف، يعنى عمه، اشتراه من هذا المال فذهب يُرَوْحُ أحمد فنهاه.

وعن سليمان بن داود الشاذكونى أن أحمد رهن سطلا عند فامى فأخذ منه شيئا يتقوته. فجاء فأعطاه فكاكه فأخرج إليه سطلين، فقال : انظر أيهما سطلك ؟ فخذه. قال : لا أدرى أنت فى حل منه ومما أعطيتك. ولم يأخذ. قال الفامى : والله إنه لسطله وإنما أردت أن امتحنه فيه.

وعن أحمد بن محمد التسترى قال : ذكروا لي أن أحمد بن حنبل أتى عليه ثلاثة أيام ما كان طعم فيها. فبعث إلى صديق له فاستقرض شيئا من الدقيق، فعرفوا فى البيت شدة حاجته إلي الطعام فخبزوا عاجلا. فلما وضع بين يديه قال : كيف خبزتم هذا بسرعة ؟ قيل له : كان التنور فى دار صالح ابنه مسجورا فخبزنا عاجلا. فقال : ارفعوا ولم يأكل وأمر بسد بابه إلى دار صالح.

وعن عبد الله بن أحمد قال : كان أبى أصبر الناس على الوحدة، لم يره أحد إلا فى مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض. وكان يكره المشى فى الأسواق.

وعنه قال : كان أبى يصلى فى كل يوم وليلة ثلاثة مائة ركعة. فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلى فى كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة. وقد كان قرب من الثمانين، وكان يقرأ فى كل يوم سبعا يختم فى سبعة أيام، وكانت له ختمة فى كل سبع ليال سوى صلاة النهار، وكان ساعة يصلى عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلى ويدعو، وحج أبى خمس حجات : ثلاث حجج ماشيا واثنتين راكبا، وأنفق فى بعض حجاته عشرين درهما.

وعنه قال كنت أسمع أبى كثيرا يقول في دبر الصلاة : اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك صنه عن المسألة لغيرك.

وعن أبى عيسى عبد الرحمن بن زاذان قال : صلينا، وأبو عبد الله أحمد بن حنبل حاضر، فسمعته يقول :

«الله من كان على هوى أو على رأى وهو يظن أنه على الحق وليس هو الحق فرده إلى الحق حتى لا يضل من هذه الأمة أحد. اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به. ولا تجعلنا فى رزقك خولا لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا، ولا ترنا حيث نهيتنا ولا تفقدنا من حيث أمرتنا، أعزنا ولا تذلنا أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية».

وعن على بن أبى حرارة قال : كانت أمى مقعدة نحو عشرين سنة. فقالت لى يوما : اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو الله لى. فمضيت فدققت عليه الباب . فقال : من هذا ؟ فقلت : رجل من أهل ذلك الجانب ، سألتنى أمى وهى زمنة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها. فسمعت كلامه كلام رجل مغضب وقال : نحن أحوج أن تدعو الله لنا. فوليت منصرفا فخرجت عجوز من داره فقالت : أنت الذى كلمت أبا عبد الله ؟ قلت : نعم . قالت : قد تركته يدعو الله لها.

قال : فجئت من فورى إلى البيت فدققت الباب فخرجت على رجليها تمشى حتى فتحت لى الباب وقالت : قد وهب الله لى العافية.

وعن ميمون بن الأصبغ قال : كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت : ما هذا؟ فقالوا : أحمد بن حنبل يمتحن. فدخلت فلما ضرب سوطا قال : بسم الله. فلما ضرب الثانى قال : لا حول ولا قوة إلا بالله. فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق. فلما ضرب الرابع قال : ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ فضرب تسعة وعشرين سوطا.

وكانت تكة أحمد حاشية ثوب فانقطعت ، فنزل السراويل إلي عانته، فرمى أحمد طرفه إلى السماء وحرك شفتيه، فما كان بأسرع أن بقى السراويل لم ينزل.

فدخلت إليه بعد سبعة أيام فقلت : يا أبا عبد الرحمن رأيتك تحرك شفتيك فأى شىء قلت ؟ قال : قلت اللهم إنى أسألك باسمك الذى ملأت به العرش إن كنت تعلم أنى على الصواب فلا تهتك لى سترا.

وعن محمد بن إسماعيل بن أبى سمينة قال : سمعت شاباص النائب يقول : لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطا لو ضربته فيلا لهدته.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كنت كثيرا أسمع والدي يقول : رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبى الهيثم، عفا الله عن أبى الهيثم. فقلت : يا أبة من أبو الهيثم ؟ فقال : لما أخرجت للسياط ومدت يداى للعقابين إذا أنا بشاب يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى : تعرفنى ؟ قلت : لا. قال : أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار، مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين أنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت فى طاعة الرحمن لأجل الدين. قال : فضربت ثمانية عشر سوطا بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفا، وخرج الخادم فقال : عفا عنه أمير المؤمنين.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : قال لى أبى : يا بنى لقد أعطيت المجهود من نفسى . قال: وكتب أهل المطامير إلى أحمد بن حنبل : إن رجعت عن مقالتك ارتددنا عن الإسلام .

وعن أحمد بن سنان قال : بلغنى أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم فى حل فى يوم فتح بابك أو فى فتح عمورية فقال : هو فى حل من ضربى.

وقال إبراهيم الحربى : أحل أحمد بن حنبل من حضر ضربه وكل من شايع فيه والمعتصم، وقال لولا أن ابن أبي داود داعية لأحللته.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل : ورد كتاب على بن الجهم : إن أمير المؤمنين، يعنى المتوكل ، قد وجه إليك يعقوب المعروف بوقصرة، ومعه جائزة

ويأمرك بالخروج فالله الله إن تستعفى أو ترد المال، فيتسع القول لمن يبغضك.

فلما كان من الغد ورد يعقوب فدخل عليه فقال يا أبا عبد الله أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول : قد أحببت أن آنس بقربك وأن أتبرك بدعائك، وقد وجهت إليك عشرة آلاف درهم معونة على سفرك. أخرج صرة فيها بدرة نحو مائتى دينار والباقى دراهم صحاح، فلم ينظر إليها ثم شدها يعقوب وقال له : أعود غدا حتى أبصر ما تعزم عليه وانصرف. فجئت بإجانة خضراء فكببتها على البدرة. فلما كان عند المغرب قال : يا صالح خذ هذا صيره عندك. فصيرتها عند رأسى فوق البيت.

فلما كان سحر إذا هو ينادى : يا صالح فقمت فصعدت إليه فقال : ما نمت ليلتى هذه. فقلت : لم يا أبة ؟ فجعل يبكى وقال : سلمت من هؤلاء حتى إذا كان فى آخر عمرى بليت بهم، قد عزمت على أن أفرق هذا الشىء إذا أصبحت . فقلت : ذاك إليك فلما أصبح قال : جئنى يا صالح بميزان. وقال : وجهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار ثم قال : وجه إلى فلان يفرق فى ناحية وإلى فلان فلم يزل حتى فرقها كلها ونفضت الكيس، ونحن فى حالة الله تعالى بها عليم.

فجاء بنى لى فقال : يا أبة أعطنى درهما. فنظر إلىّ فأخرجت قطعة فأعطيته وكتب صاحب البريد : إنه قد تصدق بالدراهم من يومه حتى تصدق بالكيس.

قال على بن الجهم : فقلت : يا أمير المؤمنين قد علم الناس أنه قد قبل منك ، وما يصنع أحمد بالمال ؟ وإنما قوته رغيف. فقال لى : صدقت يا على.

قال صالح : ثم أخرجنا ليلا معنا حراس، معهم التفاطات فلما أضاء الفجر قال لى : يا صالح معك دراهم ؟ قلت : نعم . قال : أعطهم فأعطيتهم

درهما درهما ودخلنا العسكر وأبى منكس الرأس. ثم أنزل دار إيتاخ وجاء علي بن الجهم فقال : قد أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف مكان التى فرقها وأمر أن لا يعلم بذلك فيغتم.

ثم جاءه أحمد بن معاوية فقال : إن أمير المؤمنين يكثر ذكرك ويشتهى قربك وتقيم هـهنا تحدث ؟ فقال : أنا ضعيف.

ثم حمل إلى دار الخلافة . فأخبرنى بعض الخدم أن المتوكل كان قاعدا وراء ستر فلما دخل أبى الدار قال لأمه : يا أماه قد أنارت الدار. ثم جاء خادم بمنديل فيه ثياب فألبس وهو لا يحرك يديه. فلما صار إلى الدار نزع الثياب عنه ثم جعل يبكى . ثم قال : سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة حتى إذا كان فى آخر عمرى بليت بهم ؟ ثم قال : يا صالح وجه هذه الثياب إلى بغداد تباع وتصدق بثمنها ولا يشترى أحد منكم شيئا منها.

وأجريت له مائدة وثلج وضرب الخيش فلما رآه تنحى فألقى نفسه على مضربة له وجعل يواصل ويفطر فى كل ثلاث على تمر شهريز. فمكث كذلك خمسة عشر يوما ثم جعل يفطر ليلة وليلة ولا يفطر إلا على رغيف، كان إذا جيء بالمائدة توضع فى الدهليز لكى لا يراها فيأكل من حضر.

وأمر المتوكل أن تشترى لنا دار. فقال : يا صالح لئن أقررت لهم بشراء دار لتكونن القطيعة بينى وبينك فلم يزل يدفع شرى الدار حتى اندفع.

ثم انحدرت إلى بغداد وخلفت عبد الله عنده فإذا عبد الله قد قدم وقد جاء بثيابى التى كانت عنده. فقلت له : ما جاء بك ؟ فقال : قال لى : انحدر وقل لصالح : لا تخرج فأنتم كنتم آفتى، والله لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أخرجت واحدا منكم معى، ولولا مكانكم لمن كانت توضع هذه المائدة ؟ وفى رواية أخرى : ثم إنه مرض فأذن له المتوكل فى العود إلى بغداد فعاد.

وتوفى رضى الله عنه فى سنة إحدى وأربعين ومائتين، وقد استكمل سبعا وسبعين سنة.

قال المروزى : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين، ومرض تسعة أيام وتسامع الناس فأقبلوا لعيادته ولزموا الباب الليل والنهار يبيتون، فربما أذن للناس فيدخلون أفواجا يسلمون عليه، فيرد عليهم بيده.

وقال أبو عبد الله : جاءنى حاجب لابن طاهر فقال : إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهى أن يراك . فقلت له : هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد أعفانى مما أكره.

ووضأته فقال : خلل الأصابع. فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس حتى ملأوا السكك والشوارع . فلما كان صدر النهار قبض رحمه الله، فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى لكأن الدنيا قد ارتجت.

وعن إسحاق قال : مات أبو عبد الله وما خلف إلا ست قطع أو سبع، وكانت فى خرقة كان يمسح بها وجهه قدر دانقين.

وعن حنبل قال : أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله وهو فى الحبس ثلاث شعرات فقال : هذا من شعر النبى ﷺ فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة وشعرة على لسانه. ففعل ذلك به بعد موته.

وعن صالح بن أحمد قال : قال لى أبى جئنى بالكتاب الذى فيه حديث ابن إدريس عن ليث عن طاوس أنه كان يكره الأنين، فقرأته عليه فلم يئن إلا فى الليلة التى مات فيها.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل : لما حضرت أبى الوفاة جلست عنده وبيدي الخرقة لأشد بها لحييه. فجعل يعرق ثم يفيق. ثم يفتح عينيه ويقول بيده

هكذا: لا بعد لا بعد. ففعل هذا مرة وثانية . فلما كان فى الثالثة قلت له : يا أبة أى شىء هذا قد لهجت به فى هذا الوقت ؟ تعرق حتى تقول قد قضيت. ثم تعود فتقول : لا بعد لا بعد.

فقال لى يا بنى ما تدرى ما قلت ؟ قلت : لا . فقال : إبليس لعنه الله قائم حذائى عاض على أنامله يقول لى : يا أحمد فتنى. فأقول : لابعد لابعد حتى أموت.

وعن بنان بن أحمد القصبانى أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل فيمن حضر . قال : فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة. وحزر من حضرها من الرجال ثمان مائة ألف ومن النساء ستين ألف امرأة. وعن موسى بن هارون قال : يقال إن أحمد ابن حنبل لما مات مسحت الأمكنة المبسوطة التى وقف الناس عليها للصلاة فحزر مقادير الناس بالمساحة على التقدير ستمائة ألف وأكثر، سوى ما كان فى الأطراف والجوالى والسطوح والمواضع المتفرقة أكثر من ألف ألف.

وقال أبو بكر المروزى : رأيت أحمد بن حنبل فى النوم كأنه في روضة وعليه حلتان خضراوان، وعلى رأسه تاج من النور، وإذا هو يمشى مشية لم أكن أعرفها فقلت : يا أحمد ما هذه المشية التى لم أكن أعرفها لك ؟ فقال : هذه مشية الخدام فى دار السلام . فقلت : ما هذا التاج الذى آراه على رأسك ؟ فقال : إن ربى عز وجل أوقفنى وحاسبنى حسابا يسيرا وحبانى وقربنى وأباحنى النظر إليه، وتوجنى بهذا التاج وقال لى : يا أحمد هذا تاج الوقار توجتك به كما قلت : القرآن كلامى غير مخلوق.

وعن أبى يوسف بن لحيان قال : لما مات أحمد بن حنبل رأى رجل فى منامه كأن على كل قبر قنديلا فقال: ما هذا ؟ فقيل له : أما علمت أنه نور لأهل القبور قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم، قد كان فيهم من يعذب فرحم.

وعن أبى على بن البناء قال : لما ماتت أم القطيعى دفنها فى جوار أحمد بن حنبل. فرآها بعد ليال فقال : ما فعل الله بك ؟ فقالت : يا بنى رضى الله عنك فلقد دفننى فى جوار رجل تنزل على قبره فى كل ليلة أو قال فى كل ليلة جمعة رحمة تعم جميع أهل المقبرة، وأنا منهم.

(٦٢) محمد بن مصعب أبو جعفر الدعاء

عن حسين بن فهم قال - وذكر محمد بن مصعب- فقال : استسقي ماء فحطت برادة فسمع صوتها فشهق وصاح وقال : يا محمد بن مصعب من أين لك فى النار برادة؟ قال : ثم رفع صوته فقرأ : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾ [الكهف].

وعن محمد بن نصر بن منصور الصائغ قال : كان المأمون قد أمر محمد بن مصعب إلى الحبس فقال - وقد ذهب به إلى الحبس ورفع رأسه إلى السماء - وقال : أقسمت عليك إن حبستنى عندهم الليلة فأخرج فى جوف الليل. فصلى الغداة فى منزله.

أسند محمد بن مصعب عن ابن المبارك وغيره. وكان أحمد بن حنبل يثنى عليه ويقول : كان رجلا صالحا.

وتوفى ببغداد فى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين.

(٦٣) سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بنى سامة بن لؤى

كان شاعرا ماجنا كثير القول فى الغزل والخمر وكان يسكن البصرة ثم توطن ببغداد. وتاب وتعبد وحج راجلا. عن الحسين بن عبد الرحمن قال : حج سعيد بن وهب ماشيا فبلغ منه وجهد، فقال :

قدمـــى اعتـــور رمـــل الكثيـــب   وأطرقا الآجن من مـــاء القليب

رب يـوم رحتمـــا فيـــه عـلـى   زهرة الدنيا وفى واد خصـــيب

وسمـــاع حســـن من حســـن   صخب المزهـر كالظبى الربيب

فاحسـبا ذاك بهـذا واصـبرا   وخـذا مـن كـل فـن بنصيـب

إنمـا أمشـى لأنـى مذنـــب   فلعـل اللـه يعفـو عن ذنوبـى

توفى سعيد فى زمان المأمون رحمه الله.

(٦٤) يحيى بن أيوب أبو زكريا

العابد المعروف بالمقابرى كان من خيار عباد الله ومن أهل السنة.

عن العباس بن محمد بن عبد الرحمن الأشهلى قال : حدثنى أبى قال : مررت بالمقابر فسمعت همهمة فاتبعت الأثر فإذا بحيى بن أيوب فى حفرة من تلك الحفر، وإذا هو يدعو ويبكى ويقول : يا قرة عين المطيعين، ويا قرة عين العاصين. ولم لا تكون قرة عين المطيعين وأنت مننت عليهم بالطاعة ؟ ولم لا تكون قرة عين العاصين وأنت سترت عليهم الذنوب ؟

قال : ويعاود البكاء . قال : فغلبنى البكاء ففطن لى ، فقال لى : تعال لعل الله إنما بعث بك لخير. سمع يحيى بن أيوب من شريك واسماعيل بن عُلية فى خلق كثير وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين.

(٦٥) سريج بن يونس

يكنى أبا الحارث المروزى. سكن بغداد. عن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد قال : سمعت سريج بن يونس يقول : رأيت رب العزة تعالى فى المنام فقال لى : يا سريج سلنى فقلت : يارب سر بسر.

وعن إسحاق بن إبراهيم الجيلى قال : سمعت سريج بن يونس الشيخ الصالح الصدوق يقول : رأيت فيما يرى النائم كأن الناس وقوف بين يدي الله وأنا فى أول صف فى آخره، ونحن ننظر إلى رب العزة تعالى ، إذ قال : أى شىء تريدون أن أصنع بكم ؟ فسكت الناس. قال سريج : فقلت أنا فى نفسى : ويحهم قد أعطاهم كل ذا من نفسه وهم سكوت ؟ فقنعت رأسى بملحفتى وأبرزت عينا وجعلت أمشى وجزت الصف الأول بخطا فقال أى شىء تريد ؟ فقلت : رحمان سر بسر إن أردت أن تعذبنا فلم خلقتنا ؟ قال : قد خلقتكم ولا أعذبكم أبدا. ثم غاب فى السماء فذهب.

وعن موسى بن هارون قال : بلغنى أن سريج بن يونس رأى رب العزة تعالى فى المنام فأتيته فسألته فأخبرنا أنه رأى فيما يرى النائم كأن صفا من الناس، قال : وأنا على يمين الصف، فقال : أى شىء تريدون ؟ فلم يجبه أحد فقلت : ويحكم مالكم لا تتكلمون ؟ ثم قنعت رأسى ثم تقدمت وأنا أتمايل - أراه قال من الهول - فقلت : رحمان سر بسر إذ خلقتنا فلا تعذبنا . قال : فانى لا أعذبكم. أو قال : قد غفرت لكم. ثم رأيت بعد ذلك فى رمضان كأنه قد نزل إلى الأرض فقال رجل : اللهم اغفر لى. فقال شيئا معناه : سننزل إلى الأرض فنغفر لواحد قال سريج فقلت بيدى : هكذا ولم أتكلم وفى نفسى أن يغفر للمؤمنين فقال : إنى قد غفرت للمؤمنين.

وعن أحمد بن عبد العزيز بن الجعد قال : حدثنى قال سريج بن يونس قال: جاءنى سريج ليلا وقد ولد له مولود فأعطانى ثلاثة دراهم فقال : أعطنى بدرهم عسلا وبدرهم سمنا وبدرهم سويقا، ولم يكن عندى شىء قد عزلت الظروف لأبكر وأشترى. فقلت : ما عندى شىء قد عزلت الظروف لأبكر واشترى . فقال لى : انظر قليلا : أيش ما كان ، امسح البرانى فجئت فوجدت البرانى والجراب ملاء فأعطيته شيئا كثيرا فقال لى : ما هذا أليس قلت ما

عندى شيء؟ قال : قلت خذ واسكت. فقال : ما آخذ أو تصدقنى فحدثته القصة فقال لا تحدث به أحدا ما دمت حيا.

أسند سريج عن سفيان بن عُيينة وهشيم وغيرهما.

وتوفى فى ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين.

(٦٦) أحمد بن نصر الخزاعى

يكنى أبا عبد الله. كان من كبار العلماء الآمرين بالمعروف، وسمع الحديث من مالك بن أنس وحماد بن زيد وهشيم وغيرهم.

امتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول إنه مخلوق. فقتله فى يوم السبت غرة رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائتين بِسُر مَنْ رأى . فصلب جسده هناك وأنفذ رأسه إلى بغداد فنصبه فلم يزل كذلك ست سنين. ثم حط وجمع بين رأسه وبدنه ودفن بالجانب الشرقى من بغداد فى المقبرة المعروفة بالمالكية في يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وثلاثين ومائتين.

وعن داود بن سليمان قال : حدثنى أبي قال : سمعت أحمد بن نصر الخزاعى يقول : رأيت مصابا قد وقع فقرأت فى أذنه، فكلمتنى الجنية من جوفه: يا أبا عبد الله بالله دعنى أخنقه فانه يقول : القرآن مخلوق.

وعن أبى بكر المروزى قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وذكر أحمد بن نصر، فقال : رحمه الله ما كان أسخاه، لقد جاد بنفسه.

وعن إبراهيم بن اسمعيل بن خلف قال : كان أحمد بن نصر خلى فلما قتل فى المحنة وصلب أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن : فمضيت وبت بقرب من الرأس مشرفا عليه. وكان عنده رجالة وفرسان يحفظونه. فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ:

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝٢ ﴾ [العنكبوت]

فاقشعر جلدى ثم رأيته بعد ذلك فى المنام وعليه السندس والاستبرق، وعلى رأسه تاج فقلت : ما فعل الله بك يا أخى ؟ قال : غفر لى وأدخلنى الجنة، إلا أنى مغموم ثلاثة أيام . قلت : ولم ؟ قال : كان رسول الله ﷺ مر بى فلما بلغ خشبتى حول وجهه عنى. فقلت بعد ذلك : يا رسول الله قتلت على الحق أو على الباطل ؟ فقال : أنت على الحق، ولكن قتلك رجل من أهل بيتى فإذا بلغت إليك أستحيى منك. وعن إبراهيم بن الحسن قال : رأى بعض أصحابنا أحمد بن نصر فى النوم بعد ما قتل فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إلىّ . رحمه الله .

(٦٧) أبو محمد الطيب بن إسمعيل

ابن إبراهيم الذهلى

ويعرف بأبى حمدون الدلال. كان أحد القراء المشهورين والزهاد الصالحين.

روى القراءة عن الكسائى ويعقوب الحضرمى، وحدث عن المسيب بن شريك وسفيان بن عيينة وشعيب بن حرب.

عن أبى العباس أحمد بن مسروق قال : سمعت أبا حمدون المقرئ يقول : صليت ليلة فقرأت فأدغمت حرفا فحملتنى عينى فرأيت كأن نورا قد تلبب بى وهو يقول لى : بينى وبينك الله. قال : قلت : من أنت ؟ قال أنا الحرف الذى أدغمتنى. قال : قلت : لا أعود . فانتبهت فما عدت أدغم حرفا .

وعن أبى محمد الحسن بن على بن صليح قال إن أبا حمدون الطيب بن

اسماعيل كف بصره فقاده قائده ليدخله المسجد، فلما بلغ المسجد قال له قائده: يا أستاذ اخلع نعليك. قال : يا بنى لم أخلعهما ؟ قال : لأن فيهما أذى. فاغتم أبو حمدون وكان من عباد الله الصالحين. فرفع يده ودعا بدعوات ومسح بها وجهه فرد الله إليه بصره ومشى.

وعن أبى عبد الله بن الخطيب قال : كان لأبى حمدون صحيفة فيها مكتوب ثلثمائة من أصدقائه. قال : وكان يدعو لهم كل ليلة. فتركهم ليلة فنام. فقيل له فى نومه : يا أبا حمدون لم تسرج مصابيحك الليلة، قال : فقعد وأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ.

وعن أبى الحسين بن المنادى قال : أبو حمدون الطيب بن اسمعيل الذهلى من خيار الزهاد المشتهرين بالقرآن، كان يقصد المواضع التى ليس فيها أحد يقرئ الناس. فيقرئهم حتى إذا حفظوا انتقل إلى آخرين بهذا النعت، وكان يلتقط المنبوذ كثيراً رحمه الله.

(٦٨) مسرور بن أبى عوانة

واسم أبى عوانة : الوضاح، مولى يزيد بن عطاء الواسطى : نزل بغداد وكان عابدا مجتهدا.

عن إسمعيل بن زياد أبو يعقوب قال : قد رأيت العباد والمجتهدين ما رأيت أحداً قط أصبر على صلاة الليل والنهار وطول السهر والقيام من مسرور بن أبى عوانة. كان يصلى الليل والنهار لا يفتر.

قال : وقدم علينا مرة فقال : أخرجونى إلى الساحل أنظر إلى الماء حتى لا أنام.

وعن الفضل بن عبد الوهاب أبو المساور خِتْن أبى عوانة، قال : كان أبو عوانة من أكثر الناس صلاة بالليل وأطوله اجتهادا. فلما قدم علينا مسرور بن

أبى عوانة قال لى أبو عوانة. يا أبا المساور احتقرت والله نفسى، أو قال : تصاغرت إلى نفسى .

(٦٩) الحارث بن أسد المحاسبى أبو عبد الله

عن أحمد بن محمد بن مسروق قال : سمعت حارثا المحاسبى يقول : ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة : حسن الوجه مع الصيانة.، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة. وقال الجنيد : كنت كثيرا أقول للحارث عزلتى أنسى . فيقول : كم تقول أنسى وعزلتى، لو أن نصف الخلق تقربوا منى ما وجدت بهم أنسا ولو أن نصف الخلق الآخر نأى عنى ما استوحشت لبعدهم.

وقال : كان الحارث كثير الضر فاجتاز بى يوما وأنا جالس على بابنا. فرأيت على وجهه زيادة الضر من الجوع. فقلت له : يا عم لو دخلت إلينا فنلت من شىء عندنا وعمدت إلى بيت عمى كان أوسع من بيتنا، لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها فى بيتنا سريعا، فجئت بأنوا ع كثيرة من الطعام. فوضعته بين يديه، فمد يده فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه فرأيته يلوكها ولا يزدردها. ثم وثب فخرج وما كلمنى.

فلما كان الغد لقيته فقلت : يا عم سررتنى ثم نغصت علىّ فقال : يا بنى أما الفاقة فكانت شديدة وقد اجتهدت فى أن أنال من الطعام الذى قدمت إلى ولكن بينى وبين الله علامة إذا لم يكن الطعام مرضيا ارتفع إلى انفى منه زفورة فلم تقبله نفسى، فقد رميت بتلك اللقمة فى دهليزكم وخرجت.

وقال الجنيد : مات أبو حارث المحاسبى وإن الحارث لمحتاج إلى دانق فضة. وخلف أبوه مالا كثيرا وما أخذ منه حبة واحدة وقال : أهل ملتين لا يتوارثان وكان أبوه واقفيا.

وتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين . رحمه الله .

(٧٠) عبد الوهاب ابن الحكم

ويقال ابن الحكم بن نافع الوراق . يكنى أبا الحسن.

عن أبى بكر الحسن بن عبد الوهاب الوراق قال : ما رأيت أبى ضاحكا قط إلا تبسما ، وما رأيته مازحا قط، ولقد رآنى مرة وأنا أضحك مع أمى فجعل يقول : صاحب قرآن يضحك هذا الضحك ؟ وعن أبى بكر المروزى قال : سمعت أبا عبد الله يقول : عبد الوهاب الوراق رجل صالح، مثله يوفق لإصابة الحق.

وعنه قال : قال لي عبد الوهاب ، يعنى الوراق : أنت كيف استخرت تقيم بسر من رأى ؟ فذكرت ذلك لأحمد فقال : فلم لم تقبل له ما كان بد للأسير ممن يخدمه. ثم قال : لا نزال بخير ما كان فى الناس من ينكر علينا .

وعنه قال : سمعت إسحاق بن داود يقول : كنت أدعو عبد الوهاب فأضع الطعام بين يديه فأكل وأتركه. فيقول لى : يا أبا يعقوب قل لى كل . فأتغافل عنه وآكل. فيأخذ بيدى ويقول لى : قل لى كل فأقول له : فلم دعوتك ؟

أسند عبد الوهاب عن يحيى بن سليم الطائفى وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى داود ومعاذ بن معاذ العنبرى فى آخرين.

وكان مختصا بصحبة أحمد بن حنبل. وكان أحمد يقول : إنى لأدعو الله له، ومن يقوى على ما يقوى عليه عبد الوهاب ؟ وقيل له عند موته : من نسأل بعدك ؟ فقال : سلوا عبد الوهاب . وتوفى سنة خمسين ، وقيل إحدى وخمسين ومائتين.

عن عاصم الحربى قال : رأيت فى المنام بشز بن الحارث الحافي فقلت : من أين يا أبا نصر؟ فقال من عليين . قلت : ما فعل أحمد بن حنبل ؟ قال : تركت الساعة أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدى الله تعالى يأكلان ويشربان ويتنعمان، رحمهما الله.

(٧١) السرى بن المغلس السقطى

يكنى أبا الحسن . خال أبي القاسم الجنيد، وأستاذه. معروف دعا له وقال: أغنى الله قلبك. فوقع الزهد فى قلبه حينئذ.

عن أبى القاسم سليمان بن محمد الضراب قال : حدثنى بعض إخوانى أن سريا السقطى مرت به جارية معها إناء فيه شىء فسقط من يدها فانكسر. فأخذ سرى شيئا من دكانه دفعه إليها بدل ذلك الإناء. فنظر إليه معروف الكرخى فأعجبه ما صنع، فقال له معروف : بغض الله إليك الدنيا.

وعن مظفر بن سهل المقرى قال : سمعت علان الخياط، وجرى بينى وبين مناقب سرى السقطى، فقال علان : كنت جالسا مع سرى يوما فوافقته امرأة فقالت : يا أبا الحسن أنا من جيرانك ، أخذ ابنى الطائف وأنا أخشى أن يؤذيه، فان رأيت أن تجىء معى أو تبعث إليه. قال علان : فتوقعت أن يبعث إليه. فقام وكبر وطول فى صلاته. فقالت المرأة : يا أبا الحسن الله الله فى ، هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان، فسلم ، وقال لها : أنا فى حاجتك.

قال علان : فما برحت حتى جاءت امرأة إلى المرأة فقالت : الحقى قد خلوا ابنك.

قال علان : وأى شىء يتعجب من هذا اشترى كرلوز بستين دينارا وكتب فى روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه فصار كرلوز بتسعين دينارا . فأتاه الدلال وقال : أريد ذاك اللوز. فقال : خذه. فقال : بكم ؟ قال : بثلاثة وستين دينارا . قال له الدلال : إن اللوز قد صار الكر بتسعين. فقال له : قد عقدت بينى وبين الله عقدا لا أحله : ليس أبيعه إلا بثلاثة وستين دينارا . فقال له الدلال : إنى قد عقدت بينى وبين الله تعالى لا أغش مسلماً، لست آخذ منك إلا بتسعين دينارا. فلا الدلال اشترى منه، ولا سرى باعه. فكيف لا يستجاب دعاء من هذا فعله ؟

وعن ابن أبى الورد قال : دخلت على سرى السقطي وهو يبكى، ودورقه مكسور. فقلت : مالك ؟ قال : انكسر الدورق. فقلت : أنا أشترى لك بدله. فقال لى: تشترى بدله وأنا أعرف من أين الدانق الذى تشترى به الدورق ؟ ومن عمله؟ ومن أين طينه ؟ وأى شىء أكل عامله حتى فرغ من عمله.

وعن سعيد بن عثمان قال : سمعت سرى بن المفلس يقول : غزونا أرض الروم فمررت بروضة خضرة فيها الخيار وحجر منقور فيه ماء المطر. فقلت فى نفسى : لئن أكلت يوما حلالا فاليوم. فنزلت عن دابتى وجعلت آكل من ذلك الخيار وشربت من ذلك الماء. فإذا هاتف يهتف بى : يا سرى ، النفقة التى بلغت بها إلى هاهنا من أين.

وعن الجنيد قال : سمعت سرى بن المغلس يقول : أشتهى منذ ثلاثين سنة جزرة أغمسها في الدبس وآكلها، فما يصح لى.

وعن حسن المسوحى قال : دفع إلى سرى السقطى قطعة ، فقال : اشتر لى باقلى من رجل قدره داخل الباب. فطفت الكرخ كله فلم أجد إلا من قدره خارج الباب، فرجعت إليه فقلت : خذ قطعتك فإنى لا أجد إلا من قدره خارج.

وعن أبى عبيد على بن الحسين بن حرب القاضى قال : سمعت سريا السقطى يقول : إنى لأذكر مجىء الناس إلىّ فأقول : اللهم هب لهم من العلم ما يشغلهم عنى. فانى لا أريد مجيئهم ولا أن يدخلوا على.

وعن على بن عبد الحميد الغضائرى قال : سمعت السرى السقطى - ودققت عليه الباب، فقام إلى الباب - فسمعته يقول : اللهم اشغل من يشغلنى عنك بك.

قال ابن المقرى : وزدانى بعض أصحابنا عنه أنه قال : فكان من بركة دعائه أنى حججت أربعين حجة على رجلى من حلب ذاهبا وراجعاً.

وعن جنيد قال : دخلت على سرى وهو جالس يبكى وبين يديه كوز مكسور. فجلست حتى سكت فقلت : ما يبكيك ؟ قال : كنت صائما فجاءت ابنتى بكوز فيه ماء فعلقته هناك فقالت : يبرد لك لتفطر عليه. فحملتنى عينى فرأيت كأن جارية قد دخلت علىّ من هذا الباب عليها قميص فضة وفى رجليها نعلان لم أر قدما قط فى نعل أحسن منهما فقلت لها : لمن أنت ؟ قالت : لمن لا يبرد الماء فى الكيزان الخضر . وضربت بكمها الكوز فرمت به، وهو هذا ثم انتبهت.

قال جنيد : فمكثت اختلف إليه مدة طويلة أرى الكوز بين يديه مكسورا عليه التراب وهو لا يرفعه.

وعنه قال : قال لى سرى إن أمكنك ألا تكون آلة بيتك إلا خزفا فافعل. قال لى الجنيد : وهكذا كانت آلة بيته، وسمعت سريا يقول ; رأيت الفوائد ترد فى ظلم الليل. قال : وكان سرى إذا جن عليه الليل دافع أوله، ثم دافع ، ثم دافع ، فإذا غلبه الأمر أخذ فى النحيب والبكاء.

جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى قال : ما أرى لى على أحد فضلا. قيل : ولا على المخنثين ؟ قال : ولا على المخنثين ؟

قال السلمى : وسمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى يقول : سمعت أبا عمر الأنماطى يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى يقول : من أراد أن يسلم دينه ويستريح قلبه وبدنه ويقل غمه فليعتزل الناس، لأن هذا زمان عزلة ووحدة.

وعن عبدوس بن القاسم قال : سمعت السرى يقول : كل الدنيا فضول إلا خمس خصال :خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره وبيت يكنه، وعلم يستعلمه.

وعن على بن عبد الحميد الغضائرى قال : سمعت السرى يقول : من لم يعرف قدر النعم سُلبها من حيث لا يعلم، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها.

وعنه قال : سمعت البصرى يقول : قليل فى سنة، خير من كثير فى بدعة، كيف يقل عمل مع تقوى ؟ وسمعته يقول : أقوى القوة غلبتك نفسك. ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز، ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه، ومن خاف الله خافه كل شىء . وقال : إن اغتممت بما ينقص من مالك فابك على ما ينقص من عمرك.

وقال : من قلة الصدق كثرة الخلطاء، ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس. وعنه قال : سمعت السرى يقول : أجلد الناس من ملك غضبه، ومن تزيل للناس بما ليس فيه سقط من عين الله، ولن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

وعن الجنيد قال : سمعت سريا يقول : ما أحب أن أموت حيث أعرف أخاف ألا تقبلنى الأرض فافتضح.

وقال : سمعت سريا يقول : إنى لأنظر إلى أنفى فى كل يوم مرتين مخافة أن يكون قد أسود وجهى.

أحمد بن عبد الله قال : أخبرنى جعفر بن محمد فى كتابه قال : سمعت الجنيد قال : سمعت السرى بن مغلس يقول : لو أحسست بإنسان يريد أن يدخل علىّ فقلت بلحيتى كذا- وأمر يده على لحيته كأنه يريد تسويتها من أجل دخول الداخل - لخفت أن يعذبنى الله على ذلك بالنار.

وسمعته يقول : أحب أن آكل أكلة ليس لله علىّ فيها تبعة، ولا لمخلوق علىّ فيها منة فما أجد إلى ذلك سبيلا.

وسمعته يقول: خرجنا يوما من مكة فلما أصحرنا رأيت فى مجرى السيل طاقة بقل فمددت يدي فأخذتها وقلت : الحمد لله ورجوت أن تكون حلالا ليس لمخلوق فيها منة . فقال لى بعض من رآنى وقد أخذتها : يا أبا الحسن التفت. فالتفت فإذا مثل تلك الطاقة كثير. فقال لى : خذ فقلت له : الطاقة الأولى ليس لأحد فيها منة وهذا بدلالتك، وأنا أريد ما لا منة فيه لمخلوق، ولا لله فيه تبعة.

قال : وسمعته يقول : كنت بطرسوس فكان معى فى الدار فتيان متعبدون وكان فى الدار تنور يخبزون فيه. فانكسر التنور فعملت بدله من مالى فتورعوا أن يخبزوا فيه.

وسمعته يقول : اللهم ما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب.

وسمعته يقول : إذا فاتنى جزء من وردى لا يمكننى أن أقضيه أبدا.

وسمعته يقول : إذا ابتدأ الإنسان ثم كتب الحديث فتر، وإذا ابتدأ بكتابه الحديث ثم تنسك نفذ.

وسمعته يقول : احذر لا تكون ثناء منشورا وعيبا مستوراً.

وسمعته يقول وقد ذكر الناس ، فقال : لا تعمل لهم شيئا، ولا تترك لهم شيئا، ولا تعط لهم شيئا، ولا تكشف لهم عن شىء. يريد بهذا أن تكون أعمالك كلها لله تعالى . قال : وسمعت الحسن البزار يقول : سألت أحمد بن حنبل عن السرى بعد قدومه من الثغر. فقال : أليس الشيخ الذى يعرف بطيب الغذاء ؟ قلت : بلى . فقال : هو على سترة عندنا قبل أن يخرج.

وقد كان السرى يكثر من ذكر طيب الغذاء ، وتصفية القوت، وشدة الورع حتى انتشر ذلك وبلغ أحمد بن حنبل.

قال الجنيد : وكان السرى يقول لنا ونحن حوله : أنا لكم عبرة يا معشر

الشباب، اعملوا فإنما العمل فى الشبيبة، وكان يقول : من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما ازدجر النصف الآخر ولا أحسبنى إلا منهم .

وسمعت السرى يقول : قلوب المؤمنين معلقة بالسوابق، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، هؤلاء يقولون : بماذا يختم لنا ؟ وأولئك يقولون : ماذا سبق من الله لنا ؟

وعن أبى عباس المؤدب قال : دخلت على سرى السقطي يوما فقال : لأعجبنك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرواق فأكون قد أعددت له لقيمة فأفتها فى كفى فيسقط على أطراف أناملى فيأكل. فلما كان فى وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز فى يدى فلم يسقط على يدى كما كان ، ففكرت فى سرى، ما العلة فى وحشته منى ؟ فوجدتنى قد أكلت ملحا مطيبا. فقلت فى نفسى : أنا تائب من الملح المطيب. فسقط على يدى فأكل وانصرف.

وعن الجنيد قال : دخلت على سرى فقال : ألا أعجبك من عصفور ؟ فذكره.

وعن أبى القاسم الجوهرى قال : دخلت على سرى فقال : لأعجبنك من عصفور فذكر نحوه.

وعن أبى عبيد بن حربويه قال : سمعت السرى السقطى يقول : من النذالة أن يأكل الإنسان بدينه.

وعن على بن عبد الحميد قال : سمعت السرى السقطى يقول : من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه، وسمعته يقول : من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

وعن أبى عبيد بن حربويه قال : سمعت سريا السقطى يقول : سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أوليائه لأنه لم يرضها لهم.

وعن أحمد بن محمد الصوفى قال : سمعت السرى بن مغلس يقول : انقطع من انقطع عن الله بخصلتين، واتصل من اتصل بالله بأربع خصال : فأما من انقطع عن الله فإنه يتخطى إلى نافلة بتضييع فرض، والثانى عمل بظاهر الجوارح لم يواطئ عليه صدق القلوب . وأما الذى اتصل به المتصلون : فبلزوم الباب، والتشمير فى الخدمة، والصبر على المكاره، وصيانات الكرامات.

وعن أبى بكر النساج قال : سمعت السرى يقول : لو علمت أن جلوسى فى البيت أفضل من خروجى إلى المجلس ما خرجت ، ولو علمت أن جلوسى معكم أفضل من جلوسى فى البيت ما جلست، لكنى إن دخلت اقتضانى العلم لكم، وإن خرجت نافرتنى الحقيقة، فأنا عند منافرتى مستح، وأنا عند اقتضاء العلم محجوج.

وعن الجنيد قال : سمعت السرى يقول : وددت أن حزن الخلق كلهم على. وسمعته يقول : إن فى النفس لشغلا عن الناس.

وعن محمد بن على الحربى قال : سمعت سريا يقول : حمدت الله مرة وأنا أستغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة. قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كان لى دكان وكان فيه متاع، فوقع الحريق فى سوقها فقيل لى ، فخرجت أتعرف خبر دكانى ، فلقيت رجلا فقال أبشر فإن دكانك قد سلم. فقلت : الحمد لله. ثم فكرت فرأيتها خطيئة.

وعن الجنيد بن محمد قال : دخلت على سرى السقطي فسلمت وجلست فقال لى : اقرب منى . فقربت منه فأخذ بيدى وقال لى : اعلم يا بنى أن الشوق والأنس يرفرفان على القلب، فإن وجدا هنالك الهيبة والإجلال حلا وإلا رحلا.

وعن ابن مسروق قال : سمعت سريا يقول : ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان : من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضى لم يخرجه

رضاه إلى الباطل، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له. وعن جنيد قال : سمعت سريا يقول : إذا فاتنى شيء من وردى لم أقدر أن أعيده.

قال جنيد : كان سرى متصل الشغل وكان إذا فاته شيء لا يقدر أن يعيده، وكذا كان عمر بن الخطاب لم يكن له وقت ينام فيه، فكان ينعس وهو قاعد، فقيل له : يا أمير المؤمنين ألا تنام ؟ فقال : كيف أنام ؟ إن نمت بالنهار ضيعت أمور المسلمين، وإن نمت بالليل ضيعت حظى من الله عز وجل.

وعنه قال: أخبرنا سرى السقطى قال: صليت ليلة ثم جلست ساعة ومددت رجلى . فنوديت فى سرى : يا سرى من جالس الملوك ينبغى أن يحسن الأدب.

وعن حسن البزار قال : كان أحمد بن حنبل هاهنا، وكان بشر بن الحارث هـهنا، وكنا نرجو أن يحفظنا الله بهما. ثم ماتا وبقي سرى . فإنى أرجو أن يحفظنا الله بسرى.

وعن الجنيد قال : ما رأيت أعبد لله من السرى السقطى. أتت عليه ثمان وسبعون سنة مارئى مضطجعا إلا فى علة الموت.

وعن القاسم بن عبد الله البزار قال : سمعت سرى بن المغلس يقول : لو أن رجلا دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الأشجار ، عليهما من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار، فخاطبه كل طائر منها وقال : السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه إلى ذلك، كانت فى يدها أسيرا .

وعن إبراهيم بن السرى السقطى قال : سمعت أبى يقول : عجبت لمن غدا وراح فى طلب الأرباح وهو مثل نفسه لا يربح أبدا. وسمعت أبى يقول : لو أشفقت هذه النفوس على أديانها شفقتها على أولادها لاقت السرور فى معادها.

وعن الجنيد بن محمد قال : سمعت سريا يقول : لولا الجمعة والجماعة لسددت على نفسى الباب ولم أخرج.

وعن ابن مسروق قال : سمعت سريا يقول لإخوانه : الدهر ثلاثة أيام ، يوم مضى بؤسه وشدته وغمه لم يبق منه شيء، واليوم الذى أنت فيه صديق مودع لك طويل الغيبة عنك، سريع الرحلة عنك، وغدا فى يديك تأميله، ولعلك من غير أهله.

وقال : أمس أجل ، واليوم عمل، وغدا أمل.

وقال الجنيد : كنت نائما عند سرى - رحمه الله - فأنبهنى فقال لى : يا جنيد رأيت كأنى قد وقفت بين يدى الله تعالى ، فقال لى : يا سرى خلقت الخلق فكلهم ادعى محبتى، وخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى معى العشر، وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى معى عشر العشر، فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر، فقلت للباقين معى . لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم، ولا من النار هربتم، فماذا تريدون ؟ قالوا: إنك تعلم ما نريد، فقلت لهم : فإنى مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم. مالا تقوم له الجبال الرواسى ، أتصبرون ؟ قالوا : إذا كنت أنت المبتلى لنا فافعل ما شئت . فهؤلاء عبادى حقا.

وعنه قال : كنت يوما عند السرى بن مغلس وكنا خاليين وهو متزر بمئزر فنظرت إلى جسده كأنه جسد سقيم دنف مضنى كأجهد ما يكون . فقال : انظر إلى جسدي هذا لو شئت أن أقول إن ما بى من المحبة لله تعالى لكان كما أقول . وكان وجهه أصفر ثم أشرب حمرة حتى تورد. ثم اعتل، فدخلت عليه أعوده فقلت له : كيف تجدك فقال :

كيف أشكو إلى طبيبى ما بى ؟ والذى بى أصابنى من طبيبى

فأخذت المروحة فقال لى : كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق من داخل ؟ ثم أنشأ يقول :

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع، والصبر مفترق

كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق ؟

يا رب إن كان شيء فيه لى فرج فامنن عليّ به ما دام بى رمق

وعنه قال : دخلت على سرى السقطى وهو فى النزع، فجلست عند رأسه فوضعت خدى على خده فدمعت عيناى فوقع دمعى على خده ففتح عينيه فقال لى : من أنت ؟ قلت : أنا خادمك الجنيد . فقال : مرحبا . فقلت له : أيها الشيخ أوصنى بوصية أنتفع بها بعدك. قال : إياك ومصاحبة الأشرار وأن تنقطع عن الله بصحبة الأخيار.

وقد رواها جعفر الخلدى عن الجنيد أيضا.

أسند سرى عن هشيم، وأبى بكر بن عياش ، ويزيد بن هارون، وغيرهم. وصحب معروفا الكرخى.

قال أبو عبيد على بن الحسين بن حرب القاضى : توفى سرى بن المغلس يوم الثلاثاء لست خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

وعن أبى الحسن بن مقسم المقرى قال : مات سرى سنة إحدى وخمسين ومائتين.

والأول أصح.

وعن أبى عبيد بن حربويه قال : حضرت جنازة سرى السقطى فسررت فحدثنا رجل عن آخر أنه حضر جنازة سرى السقطى فلما كان فى بعض الليل رآه فى النوم فقال له : ما فعل الله بك : غفر لى ولمن حضر جنازتى وصلى على فقلت : فإنى ممن حضر جنازتك وصلي عليك . قال : فأخرج درجا فنظر فيه فلم ير لى فيه اسما. فقلت : بلى قد حضرت قال : فنظر فإذا اسمى فى الحاشية، رحمه الله ورضى عنه.

(٧٢) على بن الموفق، أبو الحسن العابد

عن محمد بن أحمد بن المهدى قال : سمعت على بن الموفق، ما لا أحصيه، يقول : اللهم إن كنت تعلم أنى أعبدك خوفا من نارك فعذبنى بها، وإن كنت تعلم أنى أعبدك حبا منى لجنتك وشوقا منى إليها فاحرمنيها، وإن كنت تعلم أنى أعبدك حبا منى لك وشوقا منى إلى وجهك الكريم فأبحنيه واصنع بن ماشئت.

قال : وسمعته يقول : خرجت يوما لأؤذن فأصبت قرطاسا فأخذته ووضعته فى كمى، وأقمت وصليت فلما صليت قرآته فإذا فيه مكتوب :

« بسم الله الرحمن الرحيم :ياعلى ياابن الموفق، تخاف الفقر وأنا ربك ؟»

وعن عبد الله بن العباس الطيالسى قال : سمعت على بن الموفق يقول : قام رجل من إخوانكم فى ليلة باردة فلما تهيأ للصلاة إذا شقاق فى يديه ورجليه فبكى، فهتف به هاتف من البيت أيقظناك وأنمناهم وتبكى علينا.

وعن عبد الرحمن بن عبد الباقي بطرسوس قال : سمعت بعض مشايخنا يقول : قال على بن الموفق : لما تم لى ستون حجة خرجت من الطواف، وجلست بحذاء الميزاب وجعلت أتفكر، لا أدرى أى شىء حالى عند الله، وقد كثر ترددى إلى هذا المكان. قال : فغلبتنى عينى، فكأن قائلا يقول : يا على أتدعو إلى بيتك إلا من تحبه ؟ فانتبهت وقد سرى عنى ما كنت فيه.

وعن محمد بن إسحاق السراج يقول : سمعت على بن الموفق يقول : حججت نيفا وخمسين حجة فنظرت إلى أهل الموقف وضجيج أصواتهم فقلت : اللهم إن كان فى هؤلاء أحد لم يتقبل حجه فقد وهبت حجتى له. فرحت إلى مزدلفة فبت بها فرأيت رب العزة تعالى فى المنام فقال لى : يا على يا ابن الموفق تتسخى على ؟ قد غفرت لأهل الموقف ولأمثالهم وشفعت كل واحد منهم فى أهل

بيته وعشيرته وذريته، وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة.

وعن أحمد بن عبد الله الحفار قال : رأيت أحمد بن حنبل فى النوم فقلت : يا أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ قال حبانى وأعطانى وقربنى وأدنانى . قال : قلت: الشيخ الزمن علىّ بن الموفق ما صنع الله به ؟ قال : الساعة تركته فى زلال يريد العرش.

قال المؤلف :أسند ابن الموفق عن منصور بن عمار وأحمد بن أبى الحوارى. وتوفى سنة خمس وستين ومائتين . رحمه الله.

(٧٣) أبو شعيب البرائى العابد

قال الجنيد بن محمد :شعيب البرائى أول من سكن برائا فى كوخ يتعبد فمرت بكوخه جارية من بنات الكبارأبناء الدنيا فتجردت مما كانت فيه وتزوجت به. مكثاسنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة.وتوفياعلى ذلك متعاونين رحمهما الله.

(٧٤) أبو عبد الله بن أبي جعفر البرائى

عن أبى مريم قال : قلت لأبى عبد الله البرائى: كم تبكى ؟ كم هذا البكاء؟ فأخرج إلى يده وإذا على أصبعه شعرة ملفوفة، فنشرها ثم قال : إذا كان المجاز على مثل هذه فأى قدم يثبت على مثل هذا ؟ ثم بكى.

وعن حكيم بن جعفر قال : سمعت أبا عبد الله البرائى يقول : لن يرد القيامة أرفع درجة من الراضين عن الله على كل حال، ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات ومن زهد على حقيقة كنت مؤنته خفيفة ، ومن لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه فى جميع الأحوال. وعنه قال : سمعت أبا عبد الله البرائى يقول : كرمك أطمعنا سيدى فى عفوك، وجودك أطمعنا فى فضلك، وذنوبنا قد تؤيسنا من ذلك، وتأبى قلوبنا لمعرفتها بك أن تقطع رجاءها بك منك، فتفضل أيها الكريم وجد بعفوك يا رحيم.

وعنه قال : سمعت أبا عبد الله البرائى يقول : بالمعرفة هانت على العاملين العبادة وبالرضا عن الله عز وجل فى تدبيره زهدوا فى الدنيا ورضوا منها لأنفسهمبتقديره.

وعنه قال : سمعت أبا عبد الله البرائى يقول : من كرمت نفسه عليه رغب بها عن الدنيا.

وعن البرجلانى قال : سمعت أبا عبد الله البرائى يقول : حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع ، نذل لمن لا يقدر لنا على ضرر ولا على نفع، ونخضع لمن لا يملك رزقا ولا حياة، ولا موتاً ولا نشورا، فكيف أزعم أنى أعرف ربى حق معرفته وأنا أصنع ذلك ؟ هيهات هيهات .

(٧٥) أبو جعفر المحولى

سكن باب المحول من بغداد فنسب إليه.

عن إسمعيل بن إبراهيم الترجمانى قال : سمعت أبا جعفر المحولى ، وكان عابدا عالما يقول : حرام على قلب محب الدنيا أن يسكنه ألورع الخفى، وحرام على نفس عليها رياسة الناس أن تذوق حلاوة الآخرة، وحرام على كل عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذه المتقون إماماً.

وعن عبد الله بن أبى حبيب قال : سمعت أبا جعفر المحولى يقول : إليك أشكو بدنا غذى بنعمتك ، ثم توثب على معاصيك.

وعن الصلت بن حكيم قال : قال أبو جعفر المحولى يوما. وذكر عنده الفالوذج، فقال : إن قلبا يتفرغ لصنعة الفالوذج حتى يأكله لقلب فارغ جدا ثم بكى.

وعنه قال : سمعت أبا جعفر المحولى يقول : إذا جاع العبد صفا بدنه ورق

قلبه وهطلت دمعته، وأسرعت إلى الطاعة أطواره وجوارحه، وعاش في الدنيا كريما.

(٧٦) إبراهيم الآجرى الكبير

عن عبدون الزجاج قال : قال إبراهيم الآجرى ، وكان من الفاضلين، لأن ترد همك إلى الله عز وجل ساعة خير لك مما طلعت عليه الشمس.

(٧٧) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطرى

عن ابن المنادى قال : أبو بكر محمد القنطرى كان ينزل قنطرة البردان، وكان يشبه فى الزهد والورع والشغل عن الدنيا وأهلها بشر بن الحارث، وكان قوته شيئا يسيرا إنما كان فيما أخبرت عنه يكتب « جامع» سفيان الثورى لقوم لا يشك فى صلاحهم ببضعة عشر درهما، فمنها قوته . وقالوا: كان له ابن أخت حدث فرآه يلعب بالطيور فدعا الله أن يميته فما أمسى يومه ذلك إلا ميتا.

وعن أبى بكر أحمد بن محمد المروزى قال : دخلت على أبى بكر بن مسلم صاحب قنطرة البردان يوم عيد فوجدته عليه قميص مرقوع نظيف مطبق وقدامه قليل خرنوب يقرضه. فقلت : يا أبا بكر ، اليوم عيد الفطور وتأكل خرنوبا؟ فقال لى : لا تنظر إلى هذا ولكن انظر إن سألتنى عنه من أين هو ، أيش أقول ؟

وقال الجنيد بن محمد : عبرت يوما إلى أبي بكر بن مسلم فى نصف النهار فقال : ما كان لك فى هذا الوقت عمل يشغلك عن المجيء إلى ؟ قلت : إذا كان مجيئى إليك عملا فما أعمل.

وعنه قال : كان لى شيوخ كانت رؤيتهم لى قوة من الأسبوع إلى

الأسبوع، وإن أبا بكر بن مسلم منهم. وعن أبي بكر المروزى قال : سمعت أبا بكر بن مسلم يقول : الدنيا لأى شيء تراد؟ إن كان إنما تراد للذة، فلا كانت الدنيا ولا كان أهلها. إنما تراد الدنيا أن يطاع الله فيها.

توفى أبو بكر بن مسلم يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذى الحجة سنة ستين ومائتين.

(٧٨) أبو جعفر بن السماك العابد

عن سرى السقطى قال : دخل على أبو جعفر بن السماك وكان شيخا متعبدا مترويا فرأى عندى جماعة فوقف ولم يقعد. ثم نظر إلىّ وقال : يا سرى صرت مناخ البطالين ورجع ولم يقعده وكره اجتماعهم حولى.

قال أبو عبد الرحمن السلمي : هو أبو جعفر السماك، بغدادى من مشايخ سرى السقطى.

(٧٩) أيوب الحمال

يكنى أبا سليمان من العباد المجتهدين، من ذوى الكرامات وهو من أقران بشر وسرى، وصحب سهل بن عبد الله.

عن محمد بن خالد قال : سمعت أيوب الحمال يقول : عقدت على نفسي ألا أمشى غافلا ولا أمشى إلا ذاكرا فمشيت مشية فأخذتنى عرجة فعلمت من أين أُتيت ؟ فبكيت واستغفت وتبت فزالت العلة والعرجة. فرجعت إلى الموضع الذى غفلت فيه، فرجعت إلى الذكر فمشيت سليما.

وعن أحمد بن محمد بن وهب عن بعض أصحابه أنه حج مع أيوب الحمال. قال : فلما أن ظعنا فى البادية وسرنا منازل، إذا عصفور يحوم علينا وحولنا. فرفع أيوب رأسه فنظر إليه فقال له : قد جئت إلى ههنا ؟ وأخذ خبزا

ففته له فى كفه ، فوقع العصور على يده وجعل يأكل منها. ثم صب له ماء فشرب. ثم قال له : اذهب الآن فطار العصفور، فلما كان من الغد رجع العصفور ففعل به أيوب مثل ما فعل فى اليوم الأول ثم لم يزل يفعل به ذلك حتى انتهى إلى آخر السفرة.

(٨٠) محمود بن محمد بن عيسى
بن عبد الرحمن بن عبد الصمد

مولى سعيد بن العاص القرشى . يكنى أبا الحسن ويلقب نحبش. ويعرف بابن أبى الورد. عن على بن عبد الحميد قال: سمعت محمد بن أبى الورد يقول: هلاك الناس فى حرفين : اشتغال بنافلة، وتضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه، وإنما منعوا الوصول بتضييع الأصول. وعن أبى بكر الصوفى الإسكاف قال : سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن أبى الورد يقول : أشكر الخلق لله عز وجل من لم ير أنه شكر الله عز وجل قط. وعن جعفر بن محمد قال : سئل محمد بن أبى الورد عن قوله : ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾ قال : من ظن فى إساءته أنه محسن.

وقال : من آداب الفقير فى فقره ترك الملامة، والتعبير لمن ابتلي بطلب الدنيا، والرحمة والشفقة عليه، والدعاء له ليريحه الله من تعبه فيها . وعن عبد الرحمن بن أحمد قال : سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن أبى الورد يقول: إن لله عز وجل يوما لا ينجو من شره منقاد لهواه، وإن أبطأ الصرعى نهضة يوم القيامة صريع الشهوة، وإن العقل معدن والفكر معول، فبقدر الطاقة والقوة يكون انتهاؤه، وعلى العاقل مراعاة قلبه وحفظ ساعته لا غير. وعن أبي الحسين بن المنادى قال: وأبو الحسن محمد بن محمد المعروف بحبش ابن أبى الورد ما زال مشهورا بالورع والزهد والفضل والإنكماش فى العبادة حتى فارق الدنيا.

أسند محمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم، وبشر الحافى ، وصحب سريا ، والمحاسبى. وتوفى فى رجب سنة ثلاث وستين ومائتين، رحمه الله.

(٨١) أخوه أحمد بن محمد بن أبى الورد

وقيل يكنى أبا الحسن أيضا.

وعن جعفر بن محمد قال : قال أحمد بن أبى الورد، ولى الله إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده. وقال: وصل القوم بخمس : بلزوم الباب، وترك الخلاف، والنفاذ فى الخدمة، والصبر على المصائب ، وصيانة الكرامات . وعن أبى على الرذوبارى قال : كان أحمد ومحمد ابنا محمد بن أبى الورد صحبا أبا عبد الله الساجى، وكان أبو عبد الله يقول : من أراد أن يخدم الفقراء فليخدم خدمة ابنى أبي الورد : صحبانى عشرين سنة ما سألانى مسألة قط، وما رأيت منهما منكرا قط صحب أحمد بن أبى الورد بشرا الحافى والحارث المحاسبى وسريا. ومات قبل أخيه محمد.

(٨٢) الحسن الفلاس

تأدب ببشر الحافى ، وعاصر سريا السقطى، وكان سرى يفخم أمره .

عن وهب بن نعيم بن الهيصم قال : جاء حسن الفلاس إلى بشر بن الحارث مرة ومرتين وثلاثا، يتردد إليه فى مسألة ليكون الحجة فيما بينه وبين الله تعالى . فتركه بشر وقام مرة ومرتين وثلاثا. فلما كان بعد ذلك تبعه إلى المقابر. فلما صار إلى المقابر وقف بشر فقال له : يا حسن أيود هؤلاء أن يردوا فيصلحوا ما أفسدوا ؟ ألا فاعلم يا حسن أنه من فرح قلبه بشئ من الدنيا أخطأت الحكمة قلبه، ومن جعل شهوات الدنيا تحت قدميه فَرِق الشيطان من

ظله، ومن غلب هواه فهو الصابر الغالب ألا واعلم أن البلاء كله فى هواك، والشفاء كله فى مخالفتك إياه . فإذا لقيته فقل : قال لى .

فرجع الحسن فعاهد الله ألا يمسك بيده ذهبا ولا فضة ولا يضحك أبدا، وكان يأوى ستة أشهر فى العباسية وستة أشهر حول دار البطيخ .

ولقبه رجل بالذندرن منصرفا على هذه الصورة. فقال : يا حسن من ترك شيئا لله عوضه الله ما هو خير منه يعنى فما عوضك ؟ قال الحسن : الرضا بما ترى.

فلما رجع من غزاته خرج به خراج وكانت فيه ميتته . فلما اشتد به الأمر قال لمولاة له : لا تسقينى ماء حتى أطلب من. فلما قرب منه الأمر طلب منها الماء فشرب وقال : لقد أعطانى ما يتنافس فيه المتنافسون . وعن سرى السقطى قال : تعجبنى طريقة حسن الفلاس.

(٨٣) محمد بن منصور الطوسى

يكنى أبا جعفر . أصله من طوس. سكن بغداد ومات بها . أثنى عليه أحمد بن حنبل. وعن أحمد بن محمد بن الفضل المؤذن قال : سمعت محمد بن منصور الطوسى وحواليه قوم ، فقالوا له : يا أبا جعفر أى شىء عندك اليوم ؟ فقد شك الناس فيه يوم عرفة هو أو غيره. فقال : اصبروا. فدخل البيت . ثم خرج فقال : هو عندى يوم عرفة فاستحيوا أن يقولوا : من أين لك ذلك ؟ فعدوا الأيام والليالى فكان اليوم الذي قال : فجاء إليه ابن سلام فقال : من أين علمت أنه يوم عرفة ؟ قال : دخلت البيت فسألت ربى تعالى فأرانى الناس فى الموقف.

وعن الحسن بن علوية قال : قال محمد بن منصور : ست خصال يعرف بها الجاهل : الغضب في غير شىء ، والكلام في غير نفع، والعظة في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه . أسند

محمد بن منصور عن هاشم بن القاسم وغيره. ومسانيده كثيرة . وتوفى يوم الجمعة لست بقين من شوال سنة أربع وخمسين ومائتين .

(٨٤) محمد السمين

الخلدى قال : قال الجنيد : قال لى محمد السمين : كنت فى وقت من الأوقات أعمل على الشوق وكنت أجد من ذلك شيئا أنه به مشتغل. فخرجت إلى الغزو وهذه الحالة حالى، وغزا الناس وغزوت معهم. فكثر العدو على المسلمين وتقاربوا والتقوا ولزم المسلمين من ذلك خوف لكثرة الروم.

قال أحمد . فرأيت نفسى فى ذلك الموطن وقد لحقها ورع ، فاشتد ذلك علىّ وجعلت أوبخ نفسى ، وألومها وأؤدبها وأقول لها : كذابة تدعين الشوق فلما جاء الموطن الذى يؤمل فى مثله الخروج اضطربت وتغيرت؟ فأنا أوبخها إذا وقع لى أنزل إلى النهر فأغتسل. فخلعت ثيابى واتزرت ودخلت النهر فاغتسلت وخرجت وقد اشتدت لى عزيمة لا أدرى ما هى ؟ فخرجت بقوة تلك العزيمة ولبست ثيابى وأخذت سلاحى ودنوت من الصفوف وحملت بقوة تلك العزيمة حملة وأنا لا أدرى كيف أنا ؟ فخرقت صفوف المسلمين وصفوف الروم حتى صرت من ورائهم ثم كبرت تكبيرة فسمع الروم تكبيرا فظنوا أن كمينا قد خرج عليهم من ورائهم فولوا وحمل عليهم المسلمون فقتل من الروم بسبب تكبيرتى تلك نحو أربعة آلاف، وجعل الله عز وجل ذلك سببا للفتح والنصر.

(٨٥) زهير بن محمد بن قمير

ابن شعبة أبو محمد ، مروزى الأصل، سكن بغداد. عن أبي القاسم أحمد ابن منيع قال : ما رأيت بعد أبى عبد الله أحمد بن حنبل أزهد من زهير بن قمير.

وعن محمد بن زهير بن قمير قال : كان أبى يجمعنا فى وقت ختمة القرآن فى شهر رمضان، فى كل يوم وليلة ثلاث مرات، تسعين ختمة فى شهر رمضان.

وعن عبد الله بن البغوى قال : سمعت زهيرا يقول : أشتهى لحما من أربعين سنة أسند زهير بن محمد بن قمير عن الحسين بن محمد المروزى والحسن بن موسى الأشيب ويعلى بن عبيد والقعنبى وعبد الرزاق فى آخرين.

وانتقل فى آخر عمره إلى طرسوس فرابط بها إلى أن توفى بها فى سنة سبع وخمسين . وقيل ثمان وخمسين ومائتين .

وذكر أبو الحسن المنادى أنه دفن فى مقابر باب حرب والصحيح الأول.

(٨٦) إبراهيم بن هانىء

أبو إسحاق النيسابورى رحل فى طلب العلم إلى البلدان واستوطن بغداد واختفى عنده أحمد بن حنبل. وكان يثنى عليه ويقول لا أطيق ما يطيق إبراهيم من العبادة.

عن أبى بكر النيسابورى قال : حضرت إبراهيم بن هانىء عند وفاته فقال لابنه اسحق : أنا عطشان . فجاءه بماء. فقال : غابت الشمس ؟ قال : لا . قال: فرده ثم قال : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ ثم خرجت روحه.

وعنه قال : حضرت إبراهيم بن هانئ النيسابورى يوم وفاته، فدعا ابنه إسحاق فقال : هل غربت الشمس ؟ قال : لا . ثم قال : يا أبة رخص لك فى الإفطار فى الفرض وأنت متطوع. قال : امهل ثم قال : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ ثم خرجت نفسه.

وعن أبى بكر بن زنجويه قال : قال أحمد بن حنبل : إن كان ببغداد من

الأبدال أحد فأبو إسحاق إبراهيم بن هانئ .

أسند إبراهيم بن هانئ عن يعلى ومحمد ابنى عبيد، وقبيصة وأبى اليمان فى خلق كثير. وتوفى يوم الأربعاء لأربع خلون من ربيع الآخر سنة خمس وستين ومائتين رحمه الله.

(٨٧) فتح بن شحرف بن داود ابن مزاحم، أبو نصر الكشى

قال البريهارى : سمعت بن شحرف يقول : رأيت رب العزة جل وعز فى النوم فقال : يا فتح، احذرلا آخذك على غرة. قال :فتهت فى الجبال سبع سنين.

وعن رويم بن أحمد قال : لقينى يوما الفتح بن شحرف فقال : يا أبا محمد أنت أمين الله على نفسك لا ترى علىّ شيئا محتاج إليه، ولا عندى شىء تزحمك الحاجة إليه فتتخلف عن أخذه . وعن محمد بن المسيب قال : قال الإمام أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثل فتح بن شحرف.

وعن الحسين بن يحيى الأرموى قال : كتب فتح بن شحرف على باب بيته: رحم الله ميتا دخل على هذا الميت فلم يذكر الموتى عنده إلا بخير.

وقال أحمد بن عبد الجبار : سمعت أبي يقول : صحبت فتح بن شحرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء. ثم رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه ونظر إلى السماء . ثم قال : قد طال شوقى إليك فعجل قدومى عليك.

وعن أبى الحسين الحمادى القاضى قال : سمعت الفتح بن شحرف يقول: رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب – رضى الله عنه – فى النوم . فقلت له : يا أمير المؤمنين أوصنى : قال لى : ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء ، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء . قال : فقلت له : زدنى . فأومأ إلى بكفه فإذا

فيه مكتوب :

قد كنت ميتا فصرت حيا وعن قليل تصير ميتا

أغنى بدار الفناء بيت فاين بدار البقاء بيتا

حدث الفتح بن شحرف عن رجاء بن مرجا، وجعفر بن عبد الواحد، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه وغيرهم.

وتوفى يوم الثلاثاء للنصف من شوال من سنة ثلاث وسبعين ومائتين . ودفن فى المقبرة التى بين باب حرب وباب قطريل، وصلى عليه بدر المغازلى.

قال أبو محمد الحريرى : غسلت الفتح بن شحرف فقلبته على يمينه فإذا على فخذه الأيمن مكتوب : خلقه الله، كتابة بينة قال جعفر : ورأيت الفتح بن شحرف هذا وكان رجلا صالحا زاهدا لم يأكل الخبز ثلاثين سنة. وكان ذا أخلاق حسنة وكان يطعم الفقراء ومن يزوره من الأصحاب، الطعام الطيب . وكان حسن العبادة والورع والزهد.

عن أبى محمد الحريرى قال : غسلنا الفتح بن شحرف فرأينا على فخذه مكتوبا « لا إله إلا الله » فتوهمناه مكتوبا فإذا هو عرق داخل الجلد.

وعن إسحاق بن إبراهيم بن هانى قال : لما مات فتح بن شحرف ببغداد صلى عليه ثلاثا وثلاثين مرة. أقل قوم كانوا يصلون عليه يعدون خمسة وعشرين ألفا إلى ثلاثين ألفا . رحمه الله.

(٨٨) أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربى

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة. وأصله من مرو وكان إماما في جميع العلوم. وله التصانيف الحسان. وكان زاهدا فى الدنيا وكان يقول : صحبت قوما من الكرخ فى طلب الحديث فسمونى الحربى لأن عندهم أن من جاوز قنطرة العتيقة من الحربية.

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد قال : سمعت إبراهيم بن إسحاق الحربى يقول : أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهن بعيشه كان يكون قميصى أنظف قميص وإزارى أوسخ إزار، ما حدثت نفسى أنهما يستويان قط وفرد عقبى مقطوع والآخر صحيح أمشى بهما وأدور بغداد كلها هذا الجانب وذاك الجانب لا أحدث نفسى أن أصلحها وما شكوت إلى أمى ولا إلى أختى ولا إلى امرأتى ولا إلى بناتى قط حمى وجدتها. الرجل الذى يدخل غمه على نفسه ولا يغم عياله .

وكان برأسى شقيقة خمسا وأربعين سنة ما أخبرت بها أحدا قط، ولى عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت به أحدا وأفنيت من عمرى ثلاثين سنة برغيفين إن جاءتنى بهما أمى أو أختى أكلت وإلا بقيت جائعا عطشان إلى الليلة الثانية.

وأفنيت ثلاثين سنة من عمرى برغيف فى اليوم والليلة، إن جاءتنى امرأتى أو إحدى بناتى به أكلته وإلا بقيت جائعا عطشان الليلة الأخرى . والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة إن كانت برنيا أو نيفا وعشرين إن كان دقلا ومرضت ابنتى فمضت امرأتى فأقامت عندها شهراً فقام إفطارى فى هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف ، دخلت الحمام واشتريت لهم صابونا بدانقين نفقة شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دوانيق ونصف.

وعن القاسم بن بكير قال سمعت إبراهيم الحربى يقول : ما كنا نعرف من هذه الأطبخة شيئا. كنت أجىء من عشاء إلى عشاء وقد هيأت لى أمى باذنجانة مشوية أو لعقة بن أو باقة فجل.

وقال أبو بكر بن على الخراط : كنت يوما جالسا مع إبراهيم بن اسحاق على باب داره، فلما أن أصبحت قال لى : يا أبا على قم إلى شغلك فإن عندى فجلة قد أكلت البارحة خضرتها أقوم أتغذى بجزرتها.

وعن أبى عثمان الرازى قال : جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربى بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله عن أمر أمير المؤمنين يفرق ذلك فرده . فانصرف الرسول ثم عاد فقال : إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه فى جيرانك. فقال : عافاك الله هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقته، قل لأمير المؤمنين . إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك.

وعن أبى القاسم الجبلى قال : اعتل إبراهيم الحربى علة حتى أشرف على الموت فدخلت إليه يوما فقال لى : يا أبا القاسم أنا فى أمر عظيم مع ابنتى . ثم قال لها : قومى اخرجى إلى عمك فخرجت فألقت على وجهها خمارها. فقال لها إبراهيم : هذا عمك كلميه. فقالت لى : يا عم نحن فى أمر عظيم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، الشهر والدهر ، مالنا طعام إلا كسر يابسة وملح وربما عدمنا الملح وبالأمس قد وجه إليه المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها ووجه إليه فلان وفلان فلم يأخذ منهما شيئا وهو عليل.

فالتفت الحربى إليها وتبسم وقال : يا بنية إنما خفت الفقر ؟ قالت نعم . قال : انظرى إلى تلك الزاوية فنظرت فإذا كتب . فقال : هنا اثنا عشر ألف جزء لغة وغريب كتبته بخطى إذا مت فوجهى كل يوم جزء فبيعيه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقير.

وقال أحمد بن سليمان القطيعى : أضقت إضاقة، فمضيت إلى إبراهيم الحربى لأبثه ما أنا فيه . فقال لى : لا يضيق صدرك فإن الله من وراء المعونة. إنى أضقت مرة إلي أن انتهى أمرى فى الإضافة إلى أن عدم عيالى قوتهم، فقالت لى الزوجة : هب أنى وإياك نصبر فكيف نعمل بهاتين الصبيتين ؟ فهات شيئا من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه. فضننت بذلك . فقلت : اقترضى لهما شيئا وأنظرينى بقية اليوم والليلة وكان لى بيت فى دهليز دارى فيه كتبى وكنت أجلس فيه للنسخ والنظر.

فلما كان فى تلك الليلة إذا داق يدق الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : رجل من الجيران . فقلت : ادخل فقال : أطفئ السراج حتى أدخل فكببت على السراج شيئا وقلت : ادخل فدخل وترك إلى جانبى شيئا وانصرف. فكشفت على السراج ونظرت فإذا منديل له قيمة وفيه أنواع من الطعام وكاغد فيه خمسمائة درهم. فدعوت الزوجة وقلت : أنبهى الصبيان حتى يأكلوا.

ولما كان من الغد قضينا دينا كان علينا من تلك الدراهم، وكان وقت مجىء الحاج من خراسان فجلست على بابى من غد تلك الليلة فإذا جمال يقود جملين عليهما حملان ورقا وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربى . فانتهى إلىّ، فقلت أنا إبراهيم الحربى فحط الحملين وقال هذان الحملان أنفذهما لك رجل من أهل خراسان. فقلت من هو ؟ فقال : قد استحلفنى ألا أقول من هو ؟ وعن ثعلب قال : ما فقدت إبراهيم الحربى من مجلس نحو أو لغة نحو خمسين سنة.

وعن محمد بن صالح لانماطى قال : لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربى فى الأدب والحديث والفقه والزهد.

وقال أبو الحسن العتكى : سمعت إبراهيم الحربى يقول لجماعة عنده : من تعدون الغريب فى زمانكم هذا ؟ فقال واحد منهم : الغريب من نأى عن وطنه . قال آخر : الغريب من فارق أحبابه وقال كل واحد منهم شيئا. فقال إبراهيم : الغريب فى زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين، إن امر بالمعروف آزروه، وإن نهى عن المنكر أعانوه وإن احتاج إلى شىء من الدنيا مادنوه، ثم ماتوا وتركوه.

وعن مقاتل بن محمد بن بنان العتكى قال : حضرت مع أبي وأخى عند ابن إسحاق، يعنى إبراهيم الحربى ، فقال إبراهيم لأبى : هؤلاء أولادك ؟ قال : نعم . قال : أحذر لا يرونك حيث نهاك الله فتسقط من أعينهم.

وعن محمد بن خلف وكيع قال : كان لإبراهيم الحربى ابن، وكان له إحدى عشرة سنة ، حفظ القرآن ، ولقنه من الفقه شيئا كثيرا قال : فمات . فجئت أعزيه فقال : كنت أشتهى موت ابنى هذا. قال : قلت يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فى صبى قد أنجب ولقنته الحديث والفقه ؟ قال : نعم رأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت وكأن الصبيان بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوما حارا شديدا حره. قال : فقلت لأحدهم : اسقنى من هذا الماء . قال : فنظر إلى وقال : ليس أنت ، فقلت : أى شىء أنتم ؟ قال : فقال نحن الصبيان الذين متنا فى دار الدنيا وخلفنا آباءنا، نستقبلهم فنسقيهم الماء ، قال : فلهذا تمنيت موته.

وعن عيسى بن محمد الطومارى قال : دخلنا على إبراهيم الحربى وهو مريض، وقد كان يحمل ماؤه إلى الطبيب. فجاءت الجارية وردت الماء وقالت : مات الطبيب فبكى وأنشأ يقول :

إذا مات المعَالِج من سقامى   فيوشـك للمُعَالـج أن يموتـا

وعن على بن الحسن البزار قال : سمعت إبراهيم بن اسحاق الحربى يقول ، وقد دخل عليه قوم يعودونه، فقالوا : كيف تجدك يا أبا اسحاق ؟ قال : أجدنى كما قال الشاعر :

دب فى البـــلاء سفـلا وعلــوا   وأرانى أموت عضوا فعضوا
ذهبــت حدتى بطاعـة نفسى   وتذكرت طاعـة الله نضــوا

أسند إبراهيم الحربى عن أبى نعيم الفضل بن دكين، وعفان ومسدد، وأحمد بن حنبل وخلق كثير لا يحصون . وتوفى ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين . وقبره ظاهر . رحمه الله.

(٨٩) يحيي الجلاء

كان من خيار الناس . وصحب بشر بن الحارث . قال محمد بن الحسين بن الحسن : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء قال : قلت لذى النون : لم سمى أبى الجلاء ؟ أكان يصنع صنعة ؟ قال : لا نحن سميناه الجلاء كان إذا تكلم علينا جلا قلوبنا .

وعن أبى عبد الله أحمد بن يحيي الجلاء قال : مات أبى ، فلما وضع فى المغسل رأيناه يضحك. فالتبس على الناس أمره فجاؤوا بطبيب وغطوا وجهه . فأخذ يجسه فقال : هذا ميت . فكشفوا عن وجهه الثوب فرآه يضحك . فقال الطبيب : ما أدرى أحى هو أم ميت ؟

فكان إذا جاء إنسان ليغسله لبسته منه هيبة، لا يقدر على غسله حتى جاء رجل من إخوانه فغسله، وكفنه ، وصلى عليه ، ودفن.

(٩٠) أبو إبراهيم السائح

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كان فى دهليزنا دكان (وكان) إذا جاء إنسان يريد أبى أن يخلو معه أجلسه على الدكان وإذا لم يرد أن يخلو معه أخذ بعضادتى الباب وكلمه .

فلما كان ذات يوم جاءنا إنسان فقال لى : قل له : أبو إبراهيم السائح فجلسنا على الدكان فقال لى أبى: سلم عليه فإنه من كبار المسلمين، أو من خيار المسلمين، فسلمت عليه فقال له أبى: حدثنى يا إبراهيم فقال له أبو إبراهيم: خرجت إلى الموضع الفلانى بضرب الدير الفلانى فأصابتنى علة منعتنى من الحركة فقلت فى نفسى : لو كانت بقرب الدير لعل من فيه من الرهبان يداوينى فإذا أنا بسبع عظيم يقصد نحوى حتى جاءنى فاحتملنى على ظهره حملا رفيقا

حتى ألقانى عند الدير فنظر الرهبان إلى حالى مع السبع فأسلموا كلهم وهم أربعمائة راهب . رحمه الله.

(٩١) إسماعيل بن يوسف أبو على المعروف بالديلمى

جمع بين العلم ، والعبادة ، والحديث ، وجالس أحمد بن حنبل . وحدث عن مجاهد بن موسى.

عن أبى الحسين بين المنادى قال : كان إسماعيل الديلمى من خيار الناس. وذكر لى أنه كان يحفظ أربعين ألف حديث.

قالوا : وكان يعبر إلى الجانب الشرقى قاصدا محمد بن إشكاب الحافظ، فيذاكراه بالمسند. وكان إسماعيل من أشهر الناس بالزهد والورع والتميز بالصون وأما مكسبه من المشاهرة فى الأرحاء.

وعن أبى على الإبرارى قال : قلت لإسماعيل الديلمى : تشهر فى هذه الأرجاء بثلاثة دراهم ؟ وأى شىء تكفى ثلاثة دراهم ؟ فقال : يا بنى ، ما لم يتصل بنا عز التوكل فلا ينبغى أن نستعجل الذل بالتشرف.

وعن كردان قال : قال لي إسماعيل الديلمى اشتهيت حلوا وبلغت شهوته إلى فخرجت من المسجد بالليل لأبول، فإذا جنبتى الطريق أخاوين حلوا فنوديت يا اسمعيل هذا الذى اشتهيت، فإن تركته فهو خير لك . فتركته.

قال ابن مخلد: وقد كتبت أنا عن كردان كان يكون فى قنطرة بنى زريق وقد رأيت اسمعيل الديلمى وكان ما شئت من رجل، رأيته عند أبى جعفر بن اشكاب.

قال المعافى : إسماعيل هذا من خيار الناس.

والناس يزورون قبره وراء قبر معروف الكرخي، وبينهما قبور يسيرة ، كان حافظا للحديث. كثير السماع. وإنه كان يذاكر بسبعين ألف حديث.

(٩٢) زكريا بن يحيى بن عبد الملك أبو يحيى الناقد

كان من كبار الأخيار. عن محمد بن جعفر بن سام قال : لو قيل لأبى يحيي الناقد غدا تموت ما ازداد فى عمله.

وقال أبو زرعة الطبرى : قال أبو يحيي الناقد : اشتريت من الله تعالى حوراء بأربعة آلاف ختمة . فلما كان آخر ختمة سمعت الخطاب من الحوراء تقول : وفيت بعهدك فها أنا الذى اشتريني فيقال أنه مات عن قريب.

أسند أبو يحيي الناقد عن خالد بن خداش، وفضيل بن عبد الوهاب وأحمد بن حنبل فى آخرين . وكان أحمد يقول فيه : هذا رجل صالح .

وتوفى ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ومائتين.

(٩٣) أبو بكر الدقاق واسمه محمد بن عبد الله

عن الحسن بن أحمد بن عبد العزيز قال : سمعت الدقاق يقول لى تسعون سنة أرب هذا الفقر من لم يصحبه فى فقره الورع أكل الحرام النص.

محمد السراج قال : قال جنيد : رأيت إبليس فى منامى وكأنه عريان فقلت له : ما تستحى من الناس ؟ فقال : بالله هؤلاء عندك من الناس ؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس غير الناس فقلت له : ومن هم ؟

قال : قوم فى مسجد الشونيزى قد أضنوا قلبى وانحلوا جسمى كلما هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أحترق.

قال جنيد : فانتبهت ولبست ثيابى وجئت إلى مسجد الشونيزى وعلى ليل. فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس جلوس ورؤوسهم فى مرقعاتهم فلما أحسوا بى قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال : يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيء تقبل.

قال ابن جهضهم : ذكر لي أبو عبد الله بن جامار أن الثلاثة الذين كانوا في مسجد الشونيزى : أبو حمزة وأبو الحسين النورى ، وأبو بكر الرقاق.

(٩٤) أبو يعقوب الزيات

قال الجنيد بن محمد : دققت على أبى يعقوب الزيات بابه فى جماعة من أصحابنا ، فقال :ما كان لكم شغل فى الله يشغلكم عن المجئ إلى ؟ قال الجنيد: فقلت له : إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به لم تنقطع عنه . ففتح الباب .

وقال يوما لبعض المريدين : أتحفظ القرآن ؟ فقال : لا . فقال : واغوثاه ، بالله مريد لا يحفظ القرآن كأترنجة لا ريح لها فيم يتنعم ؟ فيم يترنم ؟ فيم يناجى ربه ؟ – رحمه الله –.

(٩٥) الجنيد بن محمد بن الجنيد

أبو القاسم الخزاز القواريرى ، كان أبوه يبيع الزجاج وكان هو خزازا وأصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشأه ببغداد.

عن جعفر الخلدى قال الجنيد ذات يوم : ما أخرج الله إلى الأرض علما وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وقد جعل لى فيه حظاً ونصيباً.

قال الخلدى : وبلغنى عن الجنيد أنه كان فى سوقه ، وكان ورده فى كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة.

وعنه قال : كان الجنيد عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع ، ويصلى كل يوم أربعمائة ركعة.

وعنه قال : لم نر فى شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبى القاسم الجنيد ولا أكثرهم كان يكون له علم كثير ولا يكون له حال، وآخر كان يكون له حال كثير وعلم يسير، والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير فإذا رأيت حاله رجحته على علمه، وإذا رأيت علمه رجحته على حاله.

وعن أبى محمد المرتعش قال : قال الجنيد : كنت بين يدي سرى السقطي العب، وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى : يا غلام ما الشكر ؟ فقلت : ألا تعصى الله بنعمه . فقال لى : أخشى أن يكون حظك من الله لسانك. قال الجنيد : فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التى قالها السرى لى.

وعن أبى الحسن المجلسى قال : قيل للجنيد : ممن استفدت هذا العلم ؟ قال : من جلوسى بين يدى الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة، وأومأ إلى درجة فى داره.

قال السلمى: وسمعت جدى اسماعيل بن نجيد يقول : كان الجنيد يجىء كل يوم إلى السوق فيفتح حانوته فيدخله ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة. ثم يرجع إلى بيته. وعن أحمد بن عبد الحميد السامرى قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول معاشر الفقراء إنما عُرفتم بالله وتُكرمون له ، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه ؟

وعن أبى الطيب بن الفرحان قال : سمعت الجنيد يقول : علامة إعراض الله عن العبد أنْ يشغله بما لا يعينه.

وعن حامد بن إبراهيم قال : قال الجنيد بن محمد : الطريق إلى الله

مسدود على خلق الله عز وجل ، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ، والتابعين لسنته، كما قال الله عز وجل:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾ [الأحزاب]

وعن خير قال : كنت يوما جالسا فى بيتى فخطر لى خاطر أن أبا القاسم جنيدا بالباب اخرج إليه فنفيت ذلك عن قلبى وقلت : وسوسة . فوقع لى خاطر ثان يقتضى منى الخروج : إن جنيدا على الباب فاخرج إليه : فنفيت ذلك عن سرى فوقع لى خاطر ثالث فعلمت أنه حق وليس بوسوسة. ففتحت الباب فإذا أنا بالجنيد قائم فسلم على وقال : يا خير ألا خرجت مع الخاطر الأول ؟

وعن أبى محمد الحريرى قال : سمعت الجنيد يقول : لقد مشى رجال باليقين على الماء ، ومات بالعطش أفضل منهم يقينا.

وعن أبى عمرو بن علوان قال : خرجت يوما إلى سوق الرحبة فى حاجة فرأيت جنازة فتبعتها لأصلى عليها، ووقفت حتى يدفن الميت فى جملة الناس فوقعت عينى على امرأة مسفرة من غير تعمد، فألححت بالنظر واسترجعت واستغفرت الله تعالى ، وعدت إلى منزلى فقالت لى عجوز : يا سيدى مالى أرى وجهك اسود فأخذت المرآة فنظرت فإذا وجهى أسود. فرجعت إلى سرى انظر من أين دهيت ؟ فذكرت النظرة، فانفردت فى موضع استغفر الله وأسأله الإقالة أربعين يوما فخطر فى قلبى أن أر شيخى الجنيد . فانحدرت إلى بغداد فلما جئت الحجرة التى هو فيها طرقت الباب فقال لى : ادخل يا أبا عمر، تذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد.

وعن أبى بكر محمد بن أحمد قال سمعت الجنيد يقول : فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود . وعن أحمد بن عطاء قال : قال الجنيد : لولا أنه يروى أنه يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم.

وعن العباس بن عبد الله قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : المروءة احتمال زلل الأخوان . وعن أبى القاسم النقاش قال : سمعت الجنيد يقول : الإنسان لا يعاب بما فى طبعه إنما يعاب إذا فعل ما ينافى طبعه.

وسأله رجل : كيف الطريق إلى الله ؟ فقال : توبة تحل الإصرار، وخوف يزيل الغِرة ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله فى خواطر القلوب.

وقال أبو الحسن : سمعت الجنيد يقول : ليس يتسع علىّ ما يرد علىّ من العالم، لأنى قد أصلت أصلا وهو أن الدار دار غم وهم وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر، ومن حكمه أن يتلقانى بكل ما أكره فإن تلقانى بما أحب فهو أفضل، وإلا فالأصل الأول.

وعن جعفر بن القاسم ، قال سمعت الجنيد يقول : كان يعارضنى فى بعض أوقاتى أن أجعل نفسى كيوسف، وأكون أنا كيعقوب، فأحزن على ما فقدت من نفسي كما حزن يعقوب على فقد يوسف. فمكثت مدة أعمل على حسب ذلك.

وعن محمد بن نصير فى كتابه قال : قال الجنيد : لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله.

وقال رجل للجنيد علام يتأسف المحب ؟ قال : على زمان بَسْطٍ أورث قبضا أو زمان أنس أورث وحشة ، وأنشأ يقول :

قد كان لى مشرب يصفو برؤيتكم فكدرته يد الأيام حين صفا

قال جعفر : وقال أبو العباس بن مسروق : مررت مع الجنيد فى بعض دروب بغداد وإذا مغن يغنى :

منازل كنت تهواها وتألفها أيام أنت على الأيام منصور

فبكى الجنيد بكاء شديدا ثم قال : يا أبا العباس، ما أطيب منازل الألفة والأنس ، وأوحش مقامات المخالفات، لا أزال أحن إلى بدو إرداتى وجدة سعيى.

إسماعيل بن نجيد يقول : ودخل أبو العباس بن عطاء على الجنيد وهو فى النزع ، فسلم عليه ، فلم يرد عليه. ثم رد عليه بعد ساعة وقال : اعذرنى فإنى كنت فى وردى . ثم حول وجهه إلى القبلة وكبر ومات – رحمه الله –

وقال أبو محمد الحريرى : كنت واقفا على رأس الجنيد فى وقت وفاته، وكان يوم جمعة، وهو يقرأ القرآن فقلت : يا أبا القاسم ارفق بنفسك . فقال : يا أبا محمد ما رأيت أحدا أحوج إليه منى فى هذا الوقت، وهو ذا تطوى صحيفتى.

وعنه قال : حضرت عند الجنيد قبل وفاته بساعتين ، فلم يزل باكيا وساجدا. فقلت له : يا أبا القاسم قد بلغ ما أرى من الجهد. فقال : يا أبا محمد أحوج ما كنت إليه هذه الساعة. فلم يزل باكيا وساجدا حتى فارق الدنيا.

وعن فارس بن محمد قال : كان أبو القاسم الجنيد كثير الصلاة ثم رأيناه في وقت موته وهو يدرس ويقدم إليه الوسادة فيسجد عليها. فقيل له : ألا روحت عن نفسك ؟ فقال : طريق وصلت له إلى الله لا أقطعه.

وقال أبو بكر العطار: حضرت الجنيد عند الموت فى جماعة من أصحابنا. قال : فكان قاعدا يصلى ويثنى رجله كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقل عليه حركتها فمد رجليه وقد تورمتا، فرآه بعض أصدقائه فقال : ما هذا يا أبا القاسم ؟ فقال : هذه نعم ، الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الحريرى لو اضطجعت . قال : يا أبا محمد هذا وقت يؤخذ منه، الله أكبر . فلم يزل ذلك حاله حتى مات. رحمه الله . أسند الجنيد الحديث عن الحسن بن عرفة.

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ثم قرأ :

﴿ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾ .

قال أبو بكر الخطيب : لا يعرف للجنيد غير هذا الحديث.

وقد روى له حديث آخر : سئل الجنيد عن الفراسة ، فقال : أنبأ الحسن بن عرفة قال : ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر، عن عبد الله قال : كنت أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط – وذكر الحديث ، وقال فى آخره : قال لى النبى ﷺ : إنك عليم معلم.

وقد لقى الجنيد خلقا من العلماء ودرس الفقه على أبى ثور، وكان يفتى فى حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة، وصحب جماعة من العباد واشتهر بصحبة خاله سرى والحارث المحاسبى.

وتوفى يوم السبت فى شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين . وقيل سبع وتسعين . وغسله أبو محمد الحريرى ، وصلى عليه ولده، وحزروا الجمع الذى صلى عليه فكانوا نحو ستين ألفا .

وعن جعفر الخلدى ، فى كتابه قال : رأيت الجنيد فى النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات ، وغابت تلك العبارات ، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها فى السحر . رحمه الله.

(٩٦) الحسن بن على أبو على المسوحى

قال أبو القاسم الجنيد كلمت يوما حسنا المسوحى فى شىء من الأنس، فقال لى : ويحك ما الأنس ؟ لو مات من تحت السماء ما استوحشت.

وعن الجنيد وأبى العباس بن مسروق وأبى أحمد المغازلى، وأبى محمد

الحريرى وغيرهم، قالوا : سمعنا حسنا المسوحى يقول : كنت آوى باب الكناس كثيرا وكنت أقرب من مسجد ثم أتقيأ فيه من الحر واستكن فيه من البرد. فدخلت يوما وقد كظنى الحر واشتد علىّ ، فحملتنى عينى فنمت ، فرأيت كأن سقف المسجد قد انشق، وكأن جارية قد نزلت علىّ من السقف، عليها قميص فضة يتحشش ولها ذؤابتان. فجلست عند رجلى ، فقبضت رجلى عنها، فمدت يدها فنالت رجلى . فقلت لها : يا جارية لمن أنت ؟ قالت : أنا لمن دام على ما أنت عليه.

أسند حسن المسوحى حديثا عن بشر الحافى ، وهو من كبار أصحاب سرى السقطى.

(٩٧) أبو على أحمد بن إبراهيم ابن أيوب المسوحى

صحب سريا السقطى وغيره ، وروى عن حسن المسوحى أيضا.

وقال محمد بن الحسين السلمى : قال : أخبرنا أحمد بن إبراهيم المسوحى من جلة مشايخ بغداد وظرافهم ومتوكليهم.

وعن جعفر الخواص قال : كان أحمد بن إبراهيم المسوحى يحج بقميص ورداء ونعل طاق، ولا يحمل معه شيئا : لا ركوة ولا كوزا إلا كوز بلور فيه تفاح شامى يشمه من جوف بغداد إلى مكة، وكان من أفضل الناس.

(٩٨) سمنون بن حمزة

يكنى أبا القاسم . أصله من البصرة ، ولكنه سكن بغداد.

عن أبى أحمد المغازلى قال: كان ورد سمنون فى كل يوم وليلة خمسمائة ركعة.

وقال أبو أحمد القلانسي : فرق رجل ببغداد على الفقراء أربعين ألف درهم، فقال لي سمنون : يا أبا أحمد ما ترى إلى ما أنفق هذا ؟ نحن ما نرجع إلى شيء ننفقه فامض بنا إلى موضع نصلي فيه بكل درهم أنفقه ركعة. فذهبنا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف ركعة، وزرنا قبر سليمان ، وانصرفنا.

وعن خلف بن الحسن العباداني قال : سمعت سمنونا يقول : أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه، وأول هجران العبد الحق مواصلته لنفسه.

وقال أبو الطيب العكي ذكر لي أن سمنونا كان جالسا على شط دجلة وبيده قضيب يضرب به فخذه حتى تبدد لحمه وهو يقول :

كان لي قلب أعيش بـــه   ضـاع منـي في تقلبـــه

رب فـاردده علـى فقـــد   ضاق صدري في تطلبه

وأغث مادام بي رمـــق   يا غياث المستغيث بـــه

وعن محمد بن حمدان قال : رأيت سمنونا وقد أدخل رأسه في زرما نقته ثم أخرج رأسه بعد ساعة وزفر ، وقال :

تركت الفـؤاد عليـلا يعـاد   وشردت نومي فمالي رقاد

وعن أبي بكر الواسطي قال : قال سمنون : يارب قد رضيت بكل ما تقضيه عليّ. فاحتبس بوله أربعة عشر يوما فكان يتلوى كما تتلوى الحية على الرمل، يتقلب يمينا وشمالا. فلما اطلق بوله قال : يارب تبت إليك.

وعن علي بن أحمد بن جعفر قال : انشدني ابن فراس لسمنون :

وكان فـؤادي خاليـــا قـبل حبكـــم   وكان بذكــر الخلــق يلهــو ويمــرح

فلمـــا دعـا قلـــبي هــواك أجـابــه   فلســت أراه عــن فنائـــك يـــبرح

رميــت بين منـــك إن كنـتُ كاذبـــا   وإن كنـتُ في الدنيـا بغيــرك أفـرح

وإن كان شىء فى البلاد بأسرها إذا غبت عن عينى ، لعينى يملح

فإن شئت واصلنى وإن شئت لا تصل فلست أرى قلبى لغيرك يصلح

وقال أبو الفضل بن عبد السميع الهاشمى : سمعت سمنونا يقول :

أمستوحش أنت مما جنيت فأحسن إذا شئت واستأنس

وقال :

أسفا عليك وحسرة وتلهفا ألا أكون بحيث ما ترضانى.

قد صحب سمنون سريا السقطى، وأبا أحمد القلانسى، ومحمد بن على القصاب، فى آخرين.

ولا نعلمه أسند حديثا أصلا. وكان قد وسوس، وتوفى بعد الجنيد.

(٩٩) إبراهيم بن سعد أبو إسحاق العلوى

من أهل بغداد. ثم انتقل عنها إلي الشام فاستوطنها.

قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال : قال إبراهيم بن سعد العلوى أبو إسحاق : كان حسنيا من أهل بغداد، وكان يقال له الشريف الزاهد، وكان أستاذ أبى الحارث الأولاشى.

حكى عنه أبو الحارث قال : كنت معه فى البحر فبسط كساءه على الماء وصلى عليه. وعن أبى الحسن الدربندى قال : رأيت إبراهيم بن سعد العلوى وكان عليه كساءه فبسط كساءه على البحر ووقف وصلى على الماء.

وقال أبو الحارث الأولاسى : خرجت من حصن أولاس أريد البحر فقال لى بعض إخوانى : لاتخرج فإنى قد هيأت لك عجة حتى تأكل. قال : فجلست وأكلت معه ونزلت إلى الساحل فإذا أنا بإبراهيم بن سعد العلوى قائما يصلى،

فقلت في نفسي : ما أشك إلا أنه يريد أن يقول لي : امش معي على الماء ، ولئن قال لي لأمشين معه . فما استحكم الخاطر حتى سلم ثم قال : هيه يا أبا الحارث، امش على الخاطر، فقلت : بسم الله فمشى هو على الماء وذهبت أمشي فغاصت رجلي فالتفت إلي وقال : يا أبا الحارث العجة أخذت برجلك.

وعنه قال : أقبلنا من جبل اللكام مع أبي إسحاق العلوي الزاهد، وكان أبو إسحاق لا يأكل إلا في كل ثلاثة أيام سفات خرنوب ، فلقينا امرأة وقد سخر جندي حمارا لها. فاستغاثت بنا فكلمه العلوي فلم يرد عليها فدعا عليه فخر الجندي والمرأة والحمار. ثم أفاقت المرأة ثم أفاق الحمار ومات الجندي . فقلت : لا أصحبك فإنك مستجاب الدعوة وأخشى أن يبدو مني سوء أدب فتدعو عليّ. فقال : لست تأمن ؟ قلت : لا. قال : فأقلل إذا من الدنيا ما استطعت.

وعنه قال : خرجت سنة من السنين من مكة ، في وسط السنة، أريد الشام فإذا في بعض الطريق ثلاثة نفر يتذاكرون، فتقدمت وسلمت عليهم وقلت : أمشي معكم ؟ فقالوا : ما شئت. فمشيت معهم إلى أن تفرقوا وبقيت أنا وآخر، فقال لي : أين تريد يا شاب ؟ فقلت : بلد الشام. فقال : وأنا أريد اللكام، وكان الرجل إبراهيم بن سعد العلوي ، فمشينا أياما وافترقنا ، وكانت تأتيني كتبه . فما شعرت ذات يوم وأنا بالأولاش وقد خرجت أريد البحر، فإذا برجل صاف قدميه يصلي على الماء ، فاضطرب قلبي حين رأيته وغلبتني الهيبة له فلما أحس بي أوجز في صلاته، ثم التفت إليّ فإذا هو إبراهيم بن سعل العلوي فقال لي : غيب شخصك عني ثلاثة زيام ثم ائتني بعد ذلك.

قال : ففعلت ما قال : ثم جئته بعد ثلاثة أيام فإذا هو قائم مكانه يصلي ، فلما أحس بي أوجز في صلاته ثم أخذ بيدي فوقفني على البحر وحرك شفتيه. فقلت في نفسي : إن مشى على الماء مشيت معه. فما لبث إلا يسيرا فإذا الحيتان قد برزت مد البصر وقد أقبلت إلينا رافعة رؤوسها من الماء ، فاتحة

افواهها، فقلت فى نفسى : أين ابن بشر الصياد؟ فلما ذكرته فى نفسي تفرقت فالتفت إلي إبراهيم وقال : مر فلست مطلوبا لهذا الأمر ولكن عليك بالوصال، والتخلى فى الجبال، ووار نفسك ما أمكنك، حتى يشغلك بذكره عن ذكر من سواه، وعليك بالتقلل من الدنيا ما استطعت ، حتى يأتيك اليقين، ومضى . وعنه قال : كان سبب رؤيتى إبراهيم بن سعد أنى خرجت من أولاش إلى مكة فى غير أيام الموسم، فرافقت ثلاثة. فتفرق اثنان منهم وبقيت أنا والثالث. فقال لى : أين تريد ؟ فقلت : الشام . قال : وأنا أريد اللكام فإذا هو إبراهيم بن سعد العلوى وكان حسنيا ثم تفرقنا، وكانت تأتينى كتبه.

فخرجت يوما من أولاش فإذا إبراهيم بن سعد العلوى فلما رآنى قصر فى صلاته وسلم على وجاء إلى البحر، فنظر إليه وحرك شفتيه فإذا بحيتان كثيرة مصفوفة قد أقبلت فلما رأيتها قلت : أين الصيادون ؟ فنظرت فإذات السمك قد تفرق. فقال لى إبراهيم : ما أنت بمطلوب فى هذا الأمر ، ولكن عليك بهذه الرمال فتوار فيها ما أمكنك وتقلل من الدنيا حتى يأتيك أمر الله، ثم غاب عنى فلم أره، وكانت كتبه ترد على.

فلما مات كنت قاعدا يوما فتحرك قلبى للخروج فلما خرجت صرت إلى المسجد فإذا أنا بأسود فقام إلى فقال لى : أنت أبو الحارث ؟ قلت : نعم قال : آجرك الله فى أخيك إبراهيم بن سعد . وكان هذا مولى له يسمى ناصحا، فذكر أن إبراهيم بن سعد أوصاه أن يؤدى هذه الرسالة : يا أخى إذا نزل بك أمر من أمر الله فاستعمل الرضا، فإن الله مطلع عليك يعلم ما فى ضميرك، فإن رضيت فلك الثواب الجزيل وأنت فى رضاك وسخطك لست تقدر أن تزداد فى الرزق المقسوم والأمر المكتوب، فإن لم تجد إلى الرضا سبيلا فاستعمل الصبر فإنه رأس الإيمان، فإن لم تجد فعليك بالتجمل ولا تشك من ليس بأهل أن يشكى وهو من أهل الشكر والثناء لقديم ما أولى ، فإذا اضطررت وقل صبرك فالجأ

بهمك واشك إليه بثك واحذر أن تستبطئه وتسىء به ظنا فإن كل شىء بسبب ولكل سبب أجل، ولكل أجل كتاب، ولكل هم من الله فرج ، ومن علم أنه بعين الله استحيا أن يراه يرجو سواه، ومن أيقن بنظر الله إليه أسقط اختيار نفسه ومن علم أن الله الضار النافع اسقط مخاوف المخلوقين فراقب الله فى قربه واطلب الأمور من معادنها واحذر أن تعتمد على مخلوق أو تفشى إليه سرا أو تشكو إليه شيئا، فإن غنيهم فقير، وفقيرهم ذليل فى فقره، وعالمهم جاهل فى علمه، وجاهلهم فاجر فى فعله، إلا القليل ممن عصم الله، فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من العباد فإنهم فتنة لكل مفتون .

وقال عبد الله بن سهل : بات عندى أبو الحارث الأولاشى فسألته عن مفارقته إبراهيم بن سعد العلوى فقال : كانت الدنيا طوع يديه، فلما انتهى إلى الساحل قال لى : ترجع ؟ قلت : بل أصحبك، فتفل في البحر فإذا جوق من سمك مصفوف فوق الماء كأنه سرير فوثب إليه ثم قال لى : الله خليفتى عليك. قلت : ادع لى . قال : قد فعلت. فاحفظ حدود الله وارحم خلقه إلا من عاند.

(١٠٠) أبو إسحاق إبراهيم الأجرى الصغير ولا يعرف اسم أبيه

قال أبو العباس بن مسروق وأبو محمد الحريرى وأبو أحمد المغازلى وغيرهم ، عن إبراهيم الآجرى ، قالوا : جاء يهودى يقتضيه شيئا من ثمن قصب. فكلمه فقال له : أرنى شيئا أعرف به شرف الإسلام وفضله على دينى حتى أسلم. فقال له : وتفعل ؟ قال : نعم . قال له : هات رداءك . قال : فأخذه فجعله فى رداء نفسه ولف رداءه عليه ورمى به فى النار - نار أتون الآجر- ودخل فى أثره. فأخذ الرداء وخرج من الباب ففتح رداء نفسه وهو صحيح، وأخرج رداء اليهودى حراقا أسود من جوف رداء نفسه. فأسلم اليهودى .

(١٠١) أبو نصر المحب

عن أبى العباس بن مسروق قال : اجتزت أنا وأبو نصر المحب فى الكرخ وعلى أبى نصر إزار له قيمة ، فإذا نحن بسائل يسأل وهو يقول : شفيعى إليكم محمد ﷺ . فشق أبو نصر إزاره فأعطاه النصف، ومشى خطوتين وقال : هذه نذالة. فانصرف إليه فأعطاه النصف الآخر. رحمه الله.

(١٠٢) عمرو بن عثمان المكى

يكنى أبا عبد الله . سكن بغداد.

عن أبى بكر القناديلى قال : قال عمر بن عثمان المكى : المروءة التغافل عن زلل الإخوان. وقال : العلم قائد ، والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك، خداعة رواغة، فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد.

وعن محمد بن على بن الحسين قال : سمعت عمرو بن عثمان يقول : واغماه من عهد لم يقم له بوفاء، ومن خلوة لم تصحب بحياء، ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبدا.

وعن أبى بكر محمد بن أحمد القناديلى قال : قال عمرو بن عثمان المكى : لقد وبخ الله التاركين للصبر على دينهم بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا : ﴿ امشوا واصبروا على آلهتكم ﴾ فهذا توبيخ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينه.

وقال عثمان بن سهل : دخلت على عمرو بن عثمان المكى فى علته التى توفى فيها فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال : أجد سرى واقفا مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام.

سمع عمرو من يونس بن عبد الأعلى ، والربيع بن سليمان بن سيف الحرانى وغيرهم . وكان يقول : ما صحبت أحدا كان أنفع لى صحبته ورؤيته من أبى عبد الله الساجى . وتوفى ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين. وقيل : سبع وتسعين وقيل إحدى وتسعين ، ويقال مات بمكة . والأول أصح - رحمه الله -.

(١٠٣) رويم بن أحمد

ويقال : ابن محمد بن رويم بن يزيد : أبو الحسن ، ويقال : أبو الحسين ، من بنى شيبان، وكان يتفقه لداود الأصبهانى . ابن الهيكل الهاشمى قال : سمعت رويما يقول : الفقر له حرمة، حرمته ستره وإخفاؤه، والغيرة عليه، والضن به، فمن كشفه وأظهره وبذله فليس هو من أهله، ولا كرامة.

وعن محمد بن إبراهيم قال : سمعت رويم بن أحمد يقول : منذ عشرين سنة لا يخطر بقلبى ذكر الطعام حتى يحضر.

وقال عبد الله بن محمد الدينورى : سمعت رويم بن أحمد يقول : مكثت عشرين سنة لا يعرض فى سرى ذكر الأكل حتى يحضر.

وعن جعفر الخلدى فى كتابه قال : سمعت رويم بن أحدم يقول : الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك، والفتوة أن تعذر إخوانك فى زللهم، ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار إليهم.

وسمعته يقول : الصبر ترك الشكوى ، والرضا استلذاذ البلوى، والتوكل إسقاط رؤية الوسائط. وقال أحمد بن فارس : قال رويم : ليس إلا بذل الروح، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية . وعن الحسين بن هارون قال : سمعت رويما الصوفى يقول : إذا وهب الله لك مقالا وفعالا ، فأخذ منك المقال وترك عليك الفعال فلا تبال، فإنها نعمة، وأن أخذ منك الفعال وترك عليك المقال فُتِحَ على

نفسك ، فإنها مصيبة، وإن أخذ منك المقال والفعال فاعلم أنها نقمة. أسند رويم عن يزيد بن سنان البصرى. وتوفى ببغداد فى سنة ثلاث وثلاثمائة . رحمه الله.

(١٠٤) أبو عبد الله بن الجلاء

واسمه أحمد بن يحيى . من أهل بغداد، لكنه انتقل فسكن الشام.

قال أبو عمر الدمشقى : سمعت ابن الجلاء يقول : قلت لأبي وأمى أحب أن تهبانى لله. فقالا : قد وهبناك لله. فغبت عنهما مدة ثم رجعت من غيبتى . وكانت ليلة مطيرة، فدققت عليهما الباب، فقالا : من ؟ قلت : ولدك. قال : كان لنا ولد فوهبناه لله، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبناه. وما فتح لى الباب.

وعنه قال : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول : من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها، ومن بُلغ به ثبت عليها . وكان إذا سئل عن المحبة قال : مالى وللمحبة ؟ أنا أريد أن أتعلم التوبة. وعن أبي عبد الرحمن السلمى قال : قال أبو عبد الله بن الجلاء من علت همته عن الأكوان وصل إلى مكونها، ومن وقف بهمته على شيء سوى الحق فاته الحق، لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك.

لا نعلم أن ابن الجلاء أسند شيئا. وقد صحب أبا تراب النخشبى، وذا النون، وغيرهما. وتوفى يوم السبت لاثنتى عشرة خلت من رجب سنة ست وثلاث مائة.

(١٠٥) أبو العباس بن عطاء

واسمه أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمى . عن الحسن بن محمد بن عيسى بن خاقان قال : كان أبو العباس بن عطاء ينام من الليل والنهار ساعتين.

وعن أبى الحسين بن حبيش، وذكر أبا العباس بن عطاء ، فقال كان له فى

كل يوم ختمة، وفى شهر رمضان فى كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وبقى فى ختمة يستنبط مودع القرآن بضع عشرة سنة فمات قبل أن يختمها.

وقال أبو جعفر محمد بن عبد الله الفرغانى : قال أبو العباس بن عطاء : يا أبا جعفر، لى من سنين كثيرة ، ذكرها، كل يوم ختمة لا تفوتنى، ولى فى شهر رمضان كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، ولى ختمة منذ أربع عشرة سنة ما بلغت النصف منها - يريد الفهم منها-.

وعن أبى العباس بن عطاء قال : من ألزم نفسه بآداب السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب فى أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه.

وعن محمد بن على بن حبيش قال : سئل أبو العباس بن عطاء وأنا حاضر عن أقرب شىء إلى مقت الله تعالى ، قال : رؤية النفس وأفعالها وأشد من ذلك مطالعة الأغراض عن أفعالها.

وسمعته يقول : علامات الولى أربعة : صيانة سره فيما بينه وبين الله وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله، واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله ومدارته للخلق على تفاوت عقولهم.

أسند أبو العباس بن عطاء ، عن يوسف بن موسى القطان، والفضل بن زياد صاحب أحمد بن حنبل ومن فى طبقتهما.

وتوفى فى ذى القعدة سنة تسع وثلاث مائة. رحمه الله.

(١٠٦) أبو الحسن على بن محمد بن الزاهد

عن أبى الحسن أحمد بن مقسم قال : سمعت أبا الحسن بن بشار يقول : وكان إذا أراد أن يخبر عن نفسه بشئ قال : أعرف رجلا كان حاله كذا وكذا

– فقال ذات يوم : أعرف رجلا يشتهى ، منذ ثلاثين سنة أن يشتهى ليترك ما يشتهى ، فما يجد شيئا يشتهى. ودخل أبو محمد ابن أخى معروف الكرخى إلى أبى الحسن ابن بشار، وعليه جبة صوف، فقال له أبو الحسن : يا أبا محمد صرفت قلبك أو جسمك صوف قلبك والبس القوهى على القوهى. وقال رجل لأبى الحسن بن بشار : كيف الطريق إلى الله تعالى ؟ فقال له : كما عصيت الله تعالى سرا تطيعه سرا، حتى يدخل إلى قلبك لطائف البر. وقال : منذ ثلاثين سنة ما تكلمت بكلمة أحتاج أن أعتذر منها.

وكان ابن بشار يذكر الناس، وكان يفتتح مجلسه فيقول : ﴿ وإنك لتعلم ما نريد ﴾ فسأله رجل : ما الذى تريد ؟ فقال : هو يعلم أننى ما أريد من الدنيا ولا الآخرة سواه.

وحدث ابن بشار عن : صالح بن أحمد بن حنبل، وأبى بكر المروزى وكانت له كرامات ظاهرة . توفى فى ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة. وقبره ظاهر بالجانب الغربى – رحمه الله –.

(١٠٧) أبو محمد الحريرى

واسمه أحمد بن محمد بن الحسين

عن عبد الله الرازى قال : سمعت الحريرى يقول : منذ عشرين سنة ما مددت رجلى فى الخلوة، فإن حسن الأدب مع الله أولى.

وقال على بن عبد الله : اعتكف أبو محمد الحريرى بمكة في سنة اثنتين وتسعين ومائتين، فلم يأكل، ولم ينم، ولم يمد رجليه. فقال له أبو بكر الكنانى : يا أبا محمد بماذا قدرت على اعتكافك ؟ فقال : علم صدق باطنى فأعاننى على ظاهرى.

وقال أبو الحسن الفارسى ، قال أبو محمد الحريرى : من توهم أن عملا من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى فقد ضل عن طريقه، لأن النبى ﷺ قال : «لن ينجى أحكم عمله » فما لا ينجى من المخوف كيف يبلغ إلى المأمول ؟ ومن صح اعتماده على فضل الله تعالى فذاك الذى يرجى له الوصول.

وقال محمد بن داود الدينورى : سمعت أبا محمد الحريرى يقول : أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد ، وهو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائما.

وعنه قال : سمعت أبا محمد الحريرى يقول : وكان عنده جماعة فقال : هل فيكم من إذا أراد الله أن يحدث فى المملكة حدثا أبدى علمه إلى وليه قبل إبدائه فى كونه ؟ فقالوا : لا . قال : مروا وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئا من هذا.

أخبر ابن ناصر بالإسناد عن أبي محمد الحريرى قال : من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حكم الشهوات، محصورا فى سجن الهوى، فحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلامه ولا يستحليه وإن كثر تردده على لسانه.

أسند الحريرى الحديث، وهو من كبار أصحاب الجنيد وصحب سهل بن عبد الله . وتوفى رحمه الله فى سنة إحدى عشرة وثلاث مائة – رحمه الله –.

(١٠٨) بنان بن محمد بن حمدان الحمال

يكنى أبا الحسن أصله من واسط، لكنه ببغداد نشأ وأقام وسمع الحديث إلا أنه انتقل إلى مصر فمات بها.

وقال بنان الحمال : البرىء جرىء ، والخائن خائف، ومن أساء استوحش.

وعن أبى على الروذبارى قال : سمعت بنان الحمال يقول : دخلت البرية

على طريق تبوك وحدى فاستوحشت ، فإذا هاتف يهتف : يا بنان نقضت العهد، لم تستوحش ؟ أليس حبيبك معك ؟

وقال أبو على الروذبارى : كان سبب دخولى مصر حكاية بنان، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف، فأمر أن يلقى بين يدى السبع، فجعل السبع يشمه ولا يضره. فلما أخرج من بين يدي السبع قيل له : ما الذى كان فى قلبك حين شمك السبع ؟ قال : كنت اتفكر ف سؤر السباع ولعابها.

وعن عمرو بن محمد بن عراك أن رجلا كان له على رجل مائة دينار بوثيقة إلى أجل. فلما جاء الأجل طلب الوثيقة فلم يجدها . فجاء إلي بنان فسأله الدعاء . فقال له : أنا رجل قد كبرت وأنا أحب الحلواء اذهب فاشتر لي رطل معقود، وجئنى به حتى أدعو لك. فذهب فاشترى له ما قال ، ثم جاء به فقال بنان : افتح القرطاس ففتح الرجل القرطاس فإذا هو بالوثيقة. فقال لبنان : هذه وثيقتى . فقال : خذ وثيقتك وخذ المعقود أطعمه صبيانك، فأخذه ومضى.

وعن الحسين بن عبد الله القرشى قال : سمعت بنان يقول : من كان يسره ما يضره متى يفلح ؟

سمع بنان من الحسن بن عرفة ، وحميد بن الربيع، والحسن بن محمد الزعفرانى ، وبكار بن قتيبة وغيرهم ، وأسند الحديث.

وتوفى فى رمضان سنة ست عشرة وثلاث مائة بمصر.

(١٠٩) أبو على الحسين بن صالح ابن خيران الفقيه الشافعى

جمع بين الفقه والورع. وأريد على القضاء فأبى.

قال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبيد العسكرى : أريد أبو على بن

خيران للقضاء فامتنع فوكل على بن عيسى الوزير ببابه. فشاهدت الموكلين ببابه وختم الباب بضعة عشر يوما. فقال لى أبى : يا بنى انظر حتى تحدث بهذا إن عشت ، إن إنسانا فعل هذا به ليلى فامتنع، وكلم الوزير فأعفاه.

وعن أبى عبد الله الحسين بن محمد الفقيه الكشفلي أن على بن عيسى وزير المقتدر بالله أمر نازوك صاحب البلد بطلب الشيخ أبا على بن خيران الفقيه الشافعى حتى يعرض عليه قضاء القضاة. فاستتر فوكل بباب داره رجاله بضعة عشر يوما حتى احتاج إلى الماء فلم يقدر عليه إلا من عند الجيران.

فبلغ الوزير ذلك فأمر بإزالة التوكل عنه، وقال فى مجلسه ، والناس حضور : ما أردنا بالشيخ أبى على بن خيران إلا خيرا، أردنا أن يعلم أن فى مملكتنا رجلا نعرض عليه قضاء القضاة شرقا وغربا وهو لا يقبل.

توفى أبو على بن خيران فى حدود العشرين وثلاثة مائة.

(١١٠) خير بن عبد الله أبو الحسين النساج

أصله من سر من رأى، لكنه نزل بغداد.

وحكى السلمى عن فارس البغدادى قال: كان اسم خير محمد بن إبراهيم السامرى. قال السلمى: وتاب فى مجلسه :إبراهيم الخواص والشبلى.

عن جعفر الخلدى ، قال : سألت خيراً النساج : أكان النسج حرفتك ؟ قال: لا قلت : فمن أين سميت به ؟ قال : كنت عاهدت الله ألا آكل الرطب يوما. فغلبتنى نفسى يوما، فأخذت نصف رطل ، فلما أكلت واحدة إذا رجل قد نظر إلى وقال : يا خير، يا آبق، هربت منى ؟ وكان له غلام اسمه خير قد هرب منه فوقع على شبهه. فاجتمع الناس فقالوا : هذا والله غلامك خير. فبقيت متحيرا وعلمت بم أخذت ؟ وعرفت جنايتى.

فحملنى إلى حانوته الذى كان يسجن فيه غلمانه فقالوا : يا عبد السوء تهرب من مولاك ؟ أدخل فاعمل عملك الذي كنت تعمل. فأمرنى بنسج الكرباس. فدليت رجلى على أن أعمل، فكأنى كنت أعمل من سنين. فبقيت معه أربع أشهر أنسج له.

فقمت ليلة فتمسحت وقمت إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت فى سجودى : إلهى لا أعود إلى ما فعلت : فأصبحت فإذا الشبه قد ذهب عنى وعدت إلى صورتى التى كنت عليها فأطلقت. فثبت على هذا الاسم فكان سبب النسج إتيانى شهوة عاهدت الله تعالى ألا آكلها فعاقبنى الله بما سمعت.

وكان يقول : لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله بيده فلم يعصمه، ولا علم أرفع من علم من علمه الله الأسماء كلها فلم ينفعه فى وقت جريان القضاء عليه.

قال الخطيب : هذه الحكاية طريفة جدا يسبق إلى القلب استحالتها. وقد كان الخلدى كتب إلى أبى نعيم يجيز له رواية جميع علومه عنه، وكتب أبو نعيم هذه الحكاية عن أبى الحسن بن مقسم عن الخلدى ، ورواها عن الخلدى نفسه إجازة، والخلدى ثقة، وكان ابن مقسم غير ثقة. والله أعلم.

وعن عيسى بن محمد قال سمعت أبا الحسن خير النساج يقول : تقدم إلىّ شاب من البغداديين وقد انطبقت يده فقلت له : مالك ؟ فقال : جلست إليك فحللت عقدة من طرف إزارك فجفت يدى. فقلت : كنت قد بعت به لأهلى غزلا. ثم مسحت يده بيدى فرد الله عليه يده وناولته الدرهم وقلت : اشتر به شيئا ولا تعد.

قال أبو بكر الرازى : قال خير النساج : الخوف سوط الله يقوم به أنفسنا، وقد تعودت سوء الأدب، ومتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السر.

وقال : العمل الذى يبلغ إلى الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف.

على بن هرون الحربى يحكى عن غير واحد ممن حضر موت خير من أصحابه أنه غشى عليه عند صلاة المغرب، ثم أفاق ونظر إلي ناحية من باب البيت فقال : قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور ما أمر به لا يفوتك، وما أمرت به يفوتنى ، فدعنى أمضى لما أمرت به. ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلي ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد فمات. فرآه بعض أصحابه فى المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : لا تسألنى عن هذا، ولكن استرحت من دنياكم الوضرة. صحب خير النساج أبا حمزة البغدادى ، وسريا السقطى، وكان يذكر أن إبراهيم الخواص صحبه.

وبلغ مائة وعشرين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة.

(١١١) أبو على الروذبارى

واسمه أحمد بن القاسم. هكذا ذكر السلمي، وصححه. وقال أبو بكر الخطيب : اسمه محمد بن أحمد وصحح ذلك.

أصله من بغداد لكنه سكن مصر وتقدم بها وكانت له معرفة بالحديث. كان يقول : أستاذى فى الحديث : إبراهيم الحربى ، وفى الفقه : أبو العباس بن سريج، وفى النحو : ثعلب، وفى التصوف : الجنيد.

قال محمد بن على بن المأمون : سمعت أبا على الروذبارى يقول : من الاغترار أن تسىء فيحسن إليك فتترك الإنابة والتوبة توهما أنك تسامح فى الهفوات وترى أن ذلك من بسط الحق لك.

وعن أبى منصور بن أحمد الأصبهانى قال : بلغنى عن أبى على الروذبارى أنه قال : أنفقت على الفقراء كذا وكذا ألفا فما وضعت شيئا فى يد

فقير. كنت أضع ما أدفع إلى الفقراء فى يدى فيأخذونه من يدى حتى تكون يدى تحت أيديهم ولا تكون يدي فوق يد فقير.

صحب أبو على الجنيد، والنورى، وابن الجلاء، المسوحى ، وغيرهم وأسند الحديث. وتوفى بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة وقيل ثلاث وعشرين رحمه الله.

(١١٢) أبو بكر محمد بن على بن جعفر الكنانى

أصله بغدادى ، لكنه أقام بمكة ومات بها وكان المرتعش يقول : الكنانى سراج الحرم. وقال محمد بن عبد الله بن شاذان، كان يقال : إن الكنانى ختم فى الطواف اثنتى عشرة ألف ختمة.

وقال أبو جعفر الأصفهانى : صحبت الكنانى سنين فكان يزداد على الأيام ارتفاعا وفى نفسه اتضاعا، وسمعته يقول : روعة عبد عند انتباه من غفلة وارتعاد من خوف خطيئة أعود على المريد من عبادة الثقلين.

وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال : قال الكنانى : إن الله تعالى نظر إلى عبيد من عبيده فلم يرهم أهلا لمعرفته، فشغلهم بخدمته.

صحب الكنانى الجنيد والخراز والنورى . وليس له مسند.

وتوفى بمكة سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة. وقيل اثنتين وعشرين (رحمه الله).

(١١٣) أبو بكر الشبلى

واختلفوا فى اسمه فقيل : دلف بن جعفر . وقيل : دلف بن جحدر. وقيل : جحدر بن دلف. وقيل : دلف بن جعبرة. وقيل : دلف بن جعبويه وقيل : اسمه جعفر ابن يونس.

أصله خراسانى من أهل سروسة من قرية يقال لها شبلية، ومولده بسر من رأى.

وكان حاجب الموفق، وكان أبوه حاجب الحجاب. فحضر الشبلى يوما مجلس خير النساج فتاب فيه. وكان يقول : خلف أبى ستين ألف دينار سوى الضياع فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء.

قال الحسين بن أحمد الصفار: سئل الشبلى وأنا حاضر: أى شىء أعجب؟ قال : قلب عرف ربه ثم عصاه. وعن أبى الحسن على بن المثنى التميمى قال : دخلت على أبى بكر الشبلى داره وهو يهيج ويقول :

على بعـدك لا يصبر مـن عادتـه القـرب
ولا يقوى على هجـر مـن تيمـه الحـب
فإن لم ترك العـين فقد أبصـرك القلـب

وقال أحمد بن محمد الآملى : سمعت الشبلى يقول : مجاهدة النفس بالنفس أفضل من مجاهدة الغير بالنفس.

وقال الحسين بن أحمد الصفار : كنت يوما عند الشبلى، وكان يذم الدنيا وأهلها، فقال : يا من باع كل شىء . واشترى لا شىء بكل شىء. وسمعته يقول : ليس من استأنس بالذكر كمن أستأنس بالمذكور. وسئل : ما الزهد ؟ فقال : نسيان الزهد.

ودخل بعض أصحابنا يوما على الشبلى وهو يقول : أفلا شجا بحنين ؟ أفلا رنة بأنين من قلب قريح حزين ؟ أفلا شارب بكأس العارفين ؟ أفلا مستيقظ عن رقدة الغافلين ؟ يا مسكين ستقدم فتعلم وينكشف الغطاء فتندم.

وقال الشبلى : العارف سيار إلى الله عز وجل تعالى غير واقف.

وكان الشبلى ينوح يوما ويقول : مكر بك فى إحسانه فتناسيت وأمهلك فى غيك فتماديت، وأسقطك من عينه فما دريت ولا باليت.

وقال : ليت شعرى ما اسمى عندك غدا يا علام الغيوب ؟ وما أنت صانع فى ذنوبى يا غفار الذنوب ؟ وبم تختم عملى يا مقلب القلوب ؟

قال : وكان الشبلى يقول فى جوف الليل قرة عينى وسرور قلبى . ما الذى أسقطنى من عينك ؟ ثم يصرخ ويبكى.

قال : وقال الشبلى : لا تأمن على نفسك وإن مشيت على الماء حتى تخرج من دار الغرة إلى دار الأمل.

وقال الشبلى : إذا وجدت قلبك مع الله فاحذر من نفسك، وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله.

وقال أحمد الحلقانى : سمعت الشبلى يقول : من عرف الله عز وجل لا يكون له غم وسمعته يقول : أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك.

وعن أبى حاتم الطبرى قال : سمعت أبا بكر الشبلى يقول : إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهى الدنيا وإذا أردت أن تنظر إلي نفسك فخذ كفا من تراب، فإنك منه خلقت وفيه تعود ومنه تخرج. وإذا أردت أن تنظر ما أنت ؟ فانظر ماذا يخرج منك فى دخولك الخلاء ؟ فمن كان حاله كذلك فلا يجوز أن يتطاول أو يتكبر على من هو مثله.

وعن الحسين بن أحمد الهروى قال : سمعت أبا بكر الشبلى يقول : ليس للأعمى من رؤية الجوهرة إلا مسها ، وليس للجاهل من الله إلا ذكره باللسان.

وسأل جعفر بن نصير بكران الدينورى ، وكان يخدم الشبلى ما الذى رأيت منه ؟ يعنى عند وفاته . فقال : قال لى : على درهم ، مظلمة تصدقت عن صاحبه بألوف ، فما على قلبى شغل أعظم منه ثم قال : وضئنى للصلاة، ففعلت

فنسيت تخليل لحيته، وقد أمسك عليّ لسانه ، فقبض على يدى وأدخلها فى لحيته ثم مات. فبكى جعفر وقال : ما تقولون فى رجل لم يفته فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة ؟

وعن بكير صاحب الشبلى قال : وجد الشبلى في يوم جمعة خفة من وجع كان به فقال : تنشط تمضى إلى الجامع ؟ قلت : نعم ، فاتكأ على يدى حتى انتهينا إلى الوراقين من الجانب الشرقى. قال : فتلقانا رجل جاءى من الرصافة، فقال : بكير ! قلت : لبيك قال : غدا يكون لنا مع هذا الشيخ شأن.

ثم مضينا فصلينا ثم عدنا فتناول شيئا من الغداء . فلما كان الليل مات رحمه الله فقيل لى : فى درب السقائين رجل شيخ صالح يغسل الموتى . فدلونى عليه فى سحر ذلك اليوم، فنقرت البابْ خفيا فقلت : سلام عليكم . فقال : مات الشبلى ؟ قلت : نعم . فخرج إلى فإذا به الشيخ . فقلت : لا إله إلا الله فقال : لا إله إلا الله، تعجبا . ثم قلت : قال لي الشبلى أمس لما التقينا بك فى الوراقين، غدا يكون لى مع هذا الشيخ شأن. بحق معبودك من أين لك أن الشبلى قد مات؟ قال : يا أبله فمن أين للشبلى أنه يكون له معى شأن من الشأن اليوم ؟

عمر بن عبيد قال : حدثنى بكير ، فذكر معنى الحكاية.

صحب الشبلى الجنيد وطبقته، وتفقه على مذهب مالك، وكتب الحديث الكثير ولا نعلم له مسندا سوى حديث واحد.

أنبأ محمد بن على الحمال قال : سمعت أبا بكر الشبلى يقول : ثنا محمد مهدى المصرى ، أنبأ عمر بن أبى سلمة ، أنبأ صدقة بن عبد الله عن صلحة بن زيد عن أبي فروة الرهاوى عن عطاء عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله ﷺ لبلال : «لق الله فقيرا ولا تلقه غنيا» قال : يا رسول الله كيف لى بذلك ؟ قال : «ما سئلت فلا تمنع وما رزقت فلا تخبأ» قال : يا

رسول الله ، كيف لى بذلك ؟ قال : هو ذاك وإلا فالنار. توفى الشبلى فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة وهو ابن سبع وثمانين سنة – رحمه الله –.

(١١٤) أبو أحمد المغازلى

جعفر الخلدى قال : سمعت أبا أحمد المغازلى يقول : كنت يوما من الأيام قاعدا فخطر على قلبى ذكر من الأذكار فقلت : إن كان ذكر يمشى به على الماء فهو هذا. فقدمت إلى الماء فوضعت قدمى على الماء فثبتت، ثم رفعت قدمى الأخرى لأضعها على الماء فخطر بقلبى كيفية ثبوت الأقدام على الماء فغاصا جميعا– رحمه الله .

(١١٥) عيسى بن إسحاق بن موسى أبو العباس الأنصارى

روى عن أبي الربيع الزهرانى وغيره، وروى عنه أحمد بن كامل القاضى ، قال : وكان يمشى حافيا ويلبس قميصا ناتناف تزهدا وكان صادقا زاهدا عابدا. ومات قبل سنة ثمانين ومائتين. قال أبو عمر الزاهد : أنبأ أبو العباس الأنصارى ، وكان يقال إنه من الأبدال فى زمانه.

(١١٦) أبو محمد عبد الله محمد النيسابورى

ويقال له المرتعش . صحب الجنيد ، وأقام ببغداد فى مسجد الشونيزى ، وكانوا يقولون : عجائب ببغداد ثلاثة : إشارات الشبلى ، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخواص.

وقال أبو الفرج الصائغ : قال المرتعش : من ظن أن أفعاله تنجيه من النار أو تبلغه درجة الرضوان فقد جعل لنفسه ولفعله خطرا، ومن اعتمد على فضل

الله بلغه الله أقصى منازل الرضوان. وقيل له : إن فلانا يمشى على الماء . فقال: إن مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى على الهواء والماء.

وعن أحمد بن على بن جعفر قال : كنت عند المرتعش قاعدا فقال لرجل : قد طال الليل وطاب الهواء . فنظر إليه المرتعش وسكت ساعة ثم قال : لا أدرى ما يقول ، غير أنى أقول ما سمعت من بعضهم ، يقول :

لست أدرى أطال ليلى أم لا كيف يدرى بذلك من يتقلى ؟

لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعى النجوم كنت مخلا

قال : فبكى من حضره، واستدلوا بذلك على عمارة أوقاته.

قال السلمى : وتوفى ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة رحمه الله.

(١١٧) أبو جعفر المجذوم

قال أبو الحسن الدراج : كنت أحج فتصحبنى جماعة، فكنت أحتاج إلي القيام معهم والاشتغال بهم. فذهبت سنة من السنين ، يعنى على الوحدة، وخرجت إلى القادسية، فدخلت المسجد فإذا رجل فى المحراب مجذوم، وعليه من البلاء شىء عظيم. فلما رآنى سلم على وقال : يا أبا الحسين عزمت على الحج؟ قلت : نعم على غيظ منى وكراهية له . قال : فقال لى : فالصحبة. فقلت فى نفسى : أنا هربت من الأصحاء أقع فى يدى مجذوم ؟ قلت : لا . قال لى : افعل. قلت : لا والله لا أفعل. فقال لى : يا أبا الحسين ، يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوى. فقلت : نعم، على الإنكار عليه.

قال : فتركته . فلما صليت العصر مشيت إلى ناحية المغيثة فبلغت كالغد ضحوة. فلما دخلت إذا بالشيخ. فسلم على وقال لى : يا أبا الحسين يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوى. قال : فأخذنى شبيه الوسواس فى أمره.

قال : فلم أحس حتى بلغت القرعاء على الغد، فبلغت مع الصبح فدخلت المسجد فإذا أنا بالشيخ قاعدا فقال لى : يا أبا الحسين، يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوى.

قال : فبادرت إليه فوقعت بين يديه على وجهى فقلت : المعذرة إلى الله وإليك. قال لى : مالك ؟ قلت : أخطأت . قال : وما هو ؟ قلت الصحبة . قال : أليس حلفت ؟ وإنا نكره أن نحنثك، قال : قلت : فأراك فى كل منزل . قال : ذاك لك.

قال : فذهب عنى الجوع والعطش والتعب فى كل منزل ليس لى هم إلا الدخول إلى المنزل فأراه، إلى أن بلغت المدينة فغاب عنى فلم أره.

فلما قدمت مكة حضرت أبا بكر الكنانى وأبا الحسين المزين فذكرت ذلك لهم فقالوا : يا أحمق ذلك أبو جعفر المجذوم، ونحن نسأل الله أن نراه. فقالوا : إن لقيته فتعلق به لعلنا نراه. قلت : نعم.

فلما خرجنا إلى منى وعرفات لم ألقه : فلما كان يوم الجمرة رميت الجمار، فحدثنى إنسان وقال : يا أبا الحسين السلام عليك. فلما رأيته لحقنى من رؤيته فصحت وغشى على ، وذهب عنى ، وجئت إلى مسجد الخيف وأخبرت أصحابنا.

فلما كان يوم الوداع صليت خلف المقام ركعتين ورفعت يدى فإذا إنسان خلفى جذبنى فقال : يا أبا الحسين عزمت عليك أن تصبح قلت : لا ، أسألك أن تدعو لى. فقال : سل ما شئت. فسألت الله تعالى ثلاث دعوات فأمن على دعائى فغاب عنى فلم أره. فسألته عن الأدعية فقال : فأما أحدها فقلت : يا رب حبب إلى الفقر ، فليس فى الدنيا شىء أحب إلى منه. والثانى : قلت : اللهم لا تجعلنى أبيت ليلة ولى شىء أدخره لغد، وأنا منذ كذا وكذا سنة مالى شىء أدخره، والثالث : قلت : اللهم إذا أذنت لأوليائك أن ينظروا إليك فاجعلنى منهم وأنا أرجو.

قال السلمى : أبو جعفر المجذوم بغدادى ، من أقران أبى العباس بن عطاء.

(١١٨) عباس بن المهتدى أبو الفضل

قال أبو عبد الرحمن السلمى : عباس بن المهتدى من بغداد. كنيته أبو الفضل. يرجع إلى فتوة ظاهرة وفراسة حادة، وحب للفقراء وميل إليهم. دخل مصر وصحبه بها أبا سعيد الخراز.

وعن محمد بن عبد الله الفرغانى قال : تزوج عباس بن المهتدى امرأة فلما كانت الليلة التى أراد أن يدخل بها وقعت عليه ندامة فدخل عليها وهو كاره . فلما أراد أن يدنو منها زجر عنها فامتنع من وطئها وقام وخرج من عندها.

فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهر للمرأة زوج.

(١١٩) خزرج بن على بن العباس

أبو طالب الصوفى

قال أبو عبد الله بن خفيف : دخل أبو طالب خزرج بن على شيزار فاعتل علة، فكنت أخدمه وأقدم إليه الطست فى الليل مرارا كثيرة، وكنت فى ذلك الوقت فى حال الرياضة فكنت لا أفطر إلا على الباقلى (الفول) اليابس.

فسمع أبو طالب ليلة كسرى للباقلى بأسنانى فقال لى : ما هذا ؟ فعرفته حالى. فبكى وقال : يا أبا عبد الله، فإنى كنت كذلك حتى حضرت ليلة مع أصحابنا فى دعوة ببغداد فقدم إلينا حمل مشوى، فأمسكت يدى ، فقال لى بعض أصحابنا : كل. فأكلت لقمة وأنا منذ أربعين سنة إلى خلف.

قال ابن خفيف : ثم تماثل وخرج إلى بعض البلدان وجلس فى رباط،

وسود داخل الرباط وخارجه، وقال هكذا جلوس أهل المصائب. فما خرج منه حتى مات.

أسند أبو طالب الحديث عن أحمد بن عبد الله النرمسى، وكان من أصحاب الجنيد.

(١٢٠) أبو إسحاق إبراهيم بن حماد الأزدى

مولى آل جرير بن حازم . قال القاضى أبو الحسين الجراحى : ما جئت إلى إبراهيم ابن حماد قط إلا وجدته قائما يصلي أو جالسا يقرأ.

وقال أبو بكر النيسابورى : ما رأيت أعبد منه. أسند إبراهيم عن الحسن بن عرفة وخلق وتوفى فى صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة.

(١٢١) أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النجاد

عن أبى إسحاق الطبرى قال : كان أحمد بن سليمان يصوم الدهر، ويفطر كل ليلة على رغيف، ويترك منه لقمة فإذا كان ليلة الجمعة تصدق بذلك الرغيف وأكل تلك اللقم التى استفضلها.

وقال أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الحربى : سمعت أبا بكر أحمد بن سليمان النجاد يقول : من نقر على الناس قل أصدقاؤه، ومن نقر على ذنوبه طال بكاؤه، ومن نقر على مطعمه طال جوعه.

أسند النجاد عن أبي داود السجستانى فى خلق لا يحصون، وكان يمشى فى طلب الحديث حافيا. وتوفى فى سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة وقد بلغ خمسا وتسعين سنة ودفن عند قبر بشر بن الحارث.

(١٢٢) جعفر بن محمد بن نصير الخلدى

يكنى أبا محمد حج ستين حجة. قال على بن المثنى التميمى : سمعت جعفرا الخلدى يقول لرجل: كن شريف الهمة، فإن الهمم تبلغ بالرجال لا المجاهدات.

أسند جعفر الخلدى عن الحارث بن أبى أسامة وغيره، وسمع الكثير من الحديث، ولقى جماعة من المشايخ كالجنيد وغيره . وتوفى فى يوم الأحد لتسع خلون من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة.

(١٢٣) جعفر بن حرب

عن على بن المحسن المسوحى، عن أبيه : أن جعفر بن حرب كان يتقلد كبار الأعمال للسلطان، وكانت نعمته تقارب نعمة الوزارة. فاجتاز يوما راكبا فى موكب له عظيم، ونعمته على غاية الوفور، ومنزلته بحالها فى الجلالة فسمع رجلا يقـرأ:

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾

فصاح : اللهم بلى يكررها دفعات ، وبكى ، ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه ودخل إلى دجلة واستتر بالماء ، ولم يخرج منه حتى فرق جميع ماله فى المظالم التى كانت عليه وردها وتصدق بالباقى.

فاجتاز رجل فرآه فى الماء قائما وسمع بخبره فوهب له قميصا ومئزرا فاستتر بهما وخرج، فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات.

(١٢٤) أبو بكر محمد بن سعيد الحربى

ويعرف بابن الضرير الزاهد.

عن عبد الواحد بن أبى الحسين الفقيه قال : سمعت أبى يقول سمعت أبا بكر ابن الضرير الزاهد يقول : دافعت الشهوات حتى صارت شهوتى المدافعة فحسب.

قال المصنف : كان أبو بكر ينزل الحربية من بغداد وروى عن إبراهيم بن نصر المنصورى وغيره. وتوفى فى ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة.

(١ ٢ ٥) أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى

كان ثقة دينا عالما مصنفا، وقد سمع عن أبى مسلم الكجى، وأبى شعيب الحرانى وجعفر الفريابى، فى خلق يطول ذكرهم.

وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاث مائة، ثم انتقل إلى مكة فأقام بها حتى مات فى محرم سنة ستين وثلاث مائة.

قال أبو سهل محمود بن عمرو العكبرى : لما وصل أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى إلى مكة استحسنها واستطابها فهجس فى نفسه أن « اللهم أحينى فى هذه البلدة ولو سنة ». فسمع هاتفا يهتف ويقول : يا أبا بكر لم سنة؟ ثلاثين سنة. فلما كان في سنة ثلاثين سمع هاتفا يقول : يا أبا بكر قد وفينا بالوعد. فمات فى تلك السنة.

(١ ٢ ٦) يوسف بن عمر بن مسرور

أبو الفتح القواس . قال الأزهرى :كان أبو الفتح من الأبدال. وكان مجاب الدعوة. وقال أبو الحسن الدارقطنى :كنا نتبرك بأبى الفتح القواس وهو صبى.

وقال أبو ذر الهروى : كنت عند أبي الفتح القواس وقد أخرج جزءا من كتبه فوجد فيه قرض الفار، فدعا الله علي الفأرة التى قرضته فسقطت من سقف البيت فارة ولم تزل تضطرب حتى ماتت. سمع يوسف بن عمر القواس

من البغوى ، وأبى بكر بن أبى داود، ويحيي بن صاعد، فى خلق كثير.

وتوفى يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وثمانين وثلاث مائة ودفن بمقبرة أحمد - رضى الله عنهما-.

(١٢٧) أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل

ابن عبيس بن سمعون وكان يلقب الناطق بالحكمة. عن أبى بكر الأصبهانى ، وكان خادم الشبلى، قال : كنت بين يدى الشبلى فى الجامع يوم جمعة فدخل أبو الحسين بن سمعون وهو صبي على رأسه قلنسوة بشفاشك مطيلس بفوطة، فجاز علينا وما سلم. فنظر الشبلى إلى ظهره وقال : يا أبا بكر أتدرى أى شىء لله من الذخائر في هذا الصبى ؟

وقال الحسن بن محمد الخلال : قال لى أبو الحسين بن سمعون : ما اسمك ؟ فقلت : حسن فقال : قد أعطاك الله الاسم فسله أن يعطيك المعنى.

وقال أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن المظفر: سمعت ابن سمعون يقول: رأيت المعاصى نذالة، فتركتها مروءة، فاستحالت ديانة.

وقال أبو الفتح القولس لحقتنى إضافة فى وقت من الأوقات، فنظرت فلم أجد فى البيت غير قوس لى وخفين كنت ألبسهما، فأصبحت وقد عزمت على بيعهما. وكان يوم مجلس أبى الحسين بن سمعون. فقلت فى نفسى : أحضر المجلس ثم انصرف فأبيع الخفين والقوس. فحضرت فلما أردت الانصراف نادانى أبو الحسين : يا أبا الفتح لا تبع الخفين، ولا تبع القوس، فإن الله سيأتيك برزق من عنده : أو كما قال .

وعن على بن طلحة المقرى قال : سمعت أبا الحسين بن سمعون يقول : كل من لم ينظر بالعلم فيما لله عليه ، فالعلم حجة عليه ووبال.

وسمعته يقول : الصادقون الحذاق هم الذين نظروا إلى ما بذلوا فى جنب ما وجدوا ، فصغر ذلك عندهم فاعتذروا .

وسمعته يقول: قللوا اهتمامكم لكم، ووفروا اهتمامكم بكم وتوسدوا أوسادا من الشكر، والبسوا لباسا من الذكر، والتحفوا لحافا من الخوف، تفوزوا بمدحة الرب الله أن تستهينوا بشيء يوجب الذم دون أن تستهينوا بما يوجب العقوبة.

وسمعته يقول : يا هذا تظلم إلى ربك منك، واستنصره عليك ينصرك.

وسمعته يقول : احزنوا على مافاتكم ، وأسفوا على تقصيركم واحرزوا بضائعكم من التلف لا تخرج القطا ع عليها.

وسمعته يقول : كل داء عرف دواؤه فهو صغير، والذى لم يعرف له دواء كبير. وسمعته يقول : اجهد يا هذا أن يسرق منك ولا يسرق لك.

وسمعته يقول : احذروا الصغائر فإن النقط الصغار آثار فى الثوب النقى.

وسمعته يقول : احذر أن ترى عملك لك، فإن رأيته لك كنت ناظر إلي ما ليس لك. وسمعته يقول : من الوقاحة تمنيك مع توانيك . استوف من نفسك الحقوق ثم وفها الحظوظ حسب ما يكفيها لا ما يطغيها، قفها بين الجنة والنار تأباك الجنة بكل معنى وتقبلك النار بجملتك.

وسمعته يقول : معنى قوله « لا يزال عبدى يتحبب إلى حتى أحبه» قال : حتى أظهر له حبى لأنه لم يزل محبا .

وسمعته يقول : الخير كله فى هذا الزمان ترك ما الناس عليه، ومص النوى، وسف الرمل – وأنشدنا :

لو كل جارحـــة منى لهـــا لغـــة ... تثنى عليك بما أوليت من حســن

لكان مازان شكرى إذ أشرت به ... إليك أزيد فى الإحســـان والمـــنن

وأنشدنا أيضا :

حاشاك من أن ترابى   محمـد يحبك خوفـا

لـ يبـق مـنى وفـــاء   إلا ومـا منـــك أوفـى

قال محفوظ بن أحمد الكلودانى ، قال لنا الشيخ الصالح أبو على الحسن بن غالب الحربى سمعت أبا الحسين بن سمعون يقول : يا هذا أكرمتك لما عاملتك وصنتك لما نهيتك فمعاملتى لك كرامة ونهيى لك صيانة كلفتك الصلاة ولعلمى بتوانيك لم أجعل لها وقتا واحدا، جعلت لها أولا وآخرا وأنت تقول : الوقت واسع متى اتسع الوقت على عاقل ؟ أما علمت أن الأوقات على العقلاء أدق من ثقب الإبر تهتم لك كأنى لست مولاك، وتدع الاهتمام بك كأنى لست مطالبك. أما علمت أنه إذا بدا النهار اطالبك بحق ملكى، وإذا بدا الليل أطالبك بحق حبى.

قال أبو على وكنا جلوساً عند أبى الحسين بن سمعون فى مجلسه فجاز قوم معهم كلاب الصيد فنبحت عليها كلاب الدرب فقال : سبحان الله كأن هذه حادثت هذه. فقالت هذه الأهلية لكلاب الصيد : يا مساكين رغبتم فى نعيم الملوك فسوجروكم ولو قنعتم بالمنبوذ مثلنا كنتم مخلين. فقالت لها كلاب الصيد : خفى عليكم حالنا نحن رأوا فينا آلة الخدمة فحبسونا على الخدمة وقاموا لنا بالكفاية. قالت الأهلية : فالواحد منكم إذا كبر خلى وصار معنا قالت كلاب الصيد : لأنه قصر عما يجب عليه وكل من قصر فيما يجب عليه طرد.

قال أبو على وسمعت أبا سعيد أحمد بن المسك بن أحمد البزاز يقول : سمعت عمى محمد بن أحمد يقول : رأيت فى المنام رسول الله ﷺ فى جامع وإلى جانبه رجل مكتهل. فسألت عنه فقيل : هو عيسى بن مريم روح الله وكلمته، وهو يقول للنبى ﷺ أليس فى أمتى الأحبار؟ أليس فى أمتى الرهبان ؟

أليس من أمتى أصحاب الصوامع ؟ قال : فدخل أبو الحسين بن سمعون فقال له رسول الله ﷺ : فى أمتك مثل هذا ؟ فسكت وانتبهت.

وعن أبى طاهر محمد بن على العلاف قال : حضرت أبا الحسين بن سمعون يوما فى مجلس الوعظ، وهو جالس على كرسيه يتكلم. وكان أبو الفتح بن القواس جالسا إلى جنب الكرسى فغلبه النعاس فنام فأمسك أبو الحسين عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه. فقال له أبو الحسين : رأيت رسول الله ﷺ فى نومك ؟ قال : نعم . فقال أبو الحسين : لذلك أمسكت عن الكلام خوفا أن تنزعج وتنقطع عما كنت فيه . أو كما قال .

وعن أبى بكر البرقانى قال لأبى الحسين بن سمعون : أيها الشيخ ، أنت تدعو الناس إلى الزهد فى الدنيا، والترك لها ، وتلبس أحسن الثياب وتأكل أطيب الطعام، فكيف هذا ؟ فقال : كل ما يصلحك فافعله إذا صلح حالك مع الله : بلبس لين الثياب ، وأكل طيب الطعام ، فلا يضرك.

أسند بن سمعون عن خلق كثير، منهم: عبد الله بن أبى داود السجستانى وأملى الحديث.

وتوفى يوم النصف من ذى القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان مولده سنة ثلثمائة ودفن فى داره، ثم نقل بعد تسع وثلاثين سنة إلى باب حرب وكفنه لم يبل.

قال عبد القادر بن محمد بن يوسف : أخبرنى أبى قال : كنت مع الذين أخرجوا أبا الحسين من داره وقد دفن فيها أربعين سنة، فأخرج إلى قبر أحمد وأكفانه تتقعقع كما دفن. رحمه الله.

(١٢٨) عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق أبو القاسم الواعظ

كان من أهل الزهد والصلاح، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

عن أحمد بن على بن ثابت قال : حدثنى الضمرى قال : كان عند عبد الصمد جزء عن النجاد، فأخذت من أبى بكر البقال نسخته، ومضيت أنا وأبو يعلى بن المأمون إليه فسلمنا عليه وسألناه أن يحضرنا فى المسجد لنسمع الجزء منه وسبقناه إلى المسجد.

فدخل، وسلم ، وصلى ركعتين، ثم جاء فجلس بين أيدينا. فقلت له : إنما حضرنا لنسمع منك فإن رأيت أن ترتفع إلى صدر المجلس ؟ فقال : هذا ابن عم رسول الله ﷺ – وأشار إلى ابن المأمون – وأنت رجل من أهل العلم، وما كنت لأرتفع عليكما فى المجلس.

وعن على بن محمد الحسن المالكى قال : جاء رجل إلي عبد الصد بمائة دينار ليدفعها إليه فقال له : أنا غنى عنها. فقال : فرقها على أصحابك هؤلاء فقال : ضعها على الأرض ففعل. فقال عبد الصمد للجماعة : من احتاج منكم إلى شىء فليأخذ على قدر حاجته فتوزعها الجماعة على صفات مختلفة من القلة والكثرة ولم يمسها هو بيده ثم جاء ابنه بعد ساعة فطلب منه شيئا فقال له : اذهب إلى البقال فخذ منه ربع رطل تمرا.

وقال التنوخى : كنت يوم الجمعة فى جامع المنصور والخطيب على المنبر وعلى يسارى على بن طلحة المقرى البصرى فمددت عيني فرأيت عبد الصمد بالقرب منى فهممت بالنهوض إليه، وكان صديقا لى ، فاحتشمت من القيام فى مثل ذلك الوقت مع قرب قيام الصلاة . فقام ومشى نحوى فقمت إليه فقال لى : اجلس أيها القاضى فليس إليك قصدت ولا لك أردت بمجيئى. إنما هذا أردت

وإليه قصدت يعنى ابن طلحة وذلك أن نفسى تأباه وتكرهه فأردت أن أذلها بقصده وأخالف إرادتها، فقصدته. فقام ابن طلحة إليه وقبل رأسه، وعاد عبد الصمد إلى موضعه.

وعن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله السكرى قال : اجتاز عبد الصمد يوما بسوق الطعام فرأى غلاما يقال له عزيز وقد خرج مع العيارين، وكانت أيامهم، والناس مجتمعون عليه ، وأبواه يبكيان ويعذلانه ويأبى عليهم.

فلما أكثرا عليه قال لهما مثلى يقول شيئا يرجع عنه ؟ قد قلت لأصحابى إنى منكم، امضيا اطلبا عزيزا غيرى، شاروفتى فى جيبى.

قال عبد الصمد : رأيته قد تابع الهوى على الوفاء ، مع علمه بأنه إذا وقع فى الشدائد لا يجيره فبايعت ربى على الوفاء مع علمى بأنى إذا وقعت فى الشدائد يجيرنى فاجتزت يوما بباب درب الديزج فشممت روائح طيبة فطالبتنى نفسي بشىء منها فقلت : اطلبى عبد الصمد غيرى شاروفتى فى جيبى.

قال : وسمعت عبد الصمد يقول : كنت يوما امشى فى بعض الطرق وإذا بساع قد أقبل من عدوه وقد بقى عليه من الطريق بقية، والناس يستقبلونه بالتحف. فقال له رجل : أى فلان مت اليوم حتى تعيش أبدا . فقلت لنفسى : هذا لك موتى اليوم حتى تعيشى أبدا .

وعن أبى على الحسن بن على بن فهر القلاف . قال : قال عبد الصمد : يا أبا على رأيت اليوم عجبا :اجتزت ببعض الخرابات فسمعت منها أنينا فدخلت وإذا برجل قد شد حبلا يريد أن يخنق نفسه فزعقت عليه وقلت له : لا يحل لك أن تفعل هذا . فقال لى :فأغدر ؟ فقلت : وما شأنك والغدر؟ قال : قد قامرت في قتل نفسى فقمرتها وما أرى الغدر. فنحيت الحبل من عنقه وعجبت كيف لم يستجز الغدر فى هوى الشيطان فكيف يجوز الغدر فى رضا الرحمن؟.

وحكى أبو الوفاء بن عقيل قال : هجم عبد على عبد الصمد والبيت فارغ من القوت ، فجاءه رجل بدراهم فقال : خذ هذه . فقال : يا هذا بالله دعنى اليوم أتلذذ بفقرى كما يتلذذ الأغنياء بغناهم. وكان يقول : أبدا أوجدهم فى تعذيبه عذوبة.

وكان فى دعوة فقيل له : انبسط وتمكن فقال : وما يمكنى ؟ من يحتشم ربه فى الخلوة لا ينبسط . وكان يحرض أصحابه على الجد ويقول : هيه قد فاتتكم الدنيا فلا تفوتكم الآخرة.

وقال التنوخى : حدثنى من حضر عبد الصمد وقد احتضر، فدخلت عليه أم الحسن بنت القاضى أبى أحمد بن الأكفانى ، وكانت أحد من يقوم بأمره ويراعيه. فقالت له : أسألك وأقسم عليك إلا سألتنى حاجة: فقال لها : نعم كونى لهنية، يعنى ابنته ، بعد موتى كما أنت لها فى حياتى . فقالت : أفعل . ثم أمسك ساعة وقال : أستغفر الله وكررها ، الله لها خير منك.

وحكى ابن عقيل عن بعض من حضر عبد الصمد عند الموت قال : حضرته وهو يقول : يا سيدى لليوم خبأتك، ولهذه الساعة اقتنيتك، حقق حسن ظنى بك.

أسند عبد الصمد عن أحمد بن سلمان النجاد.

وتوفى يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى الحجة . وقيل : فى آخر يوم من ذى الحجة سنة سبع وتسعين وثلاث مائة. وقيل : توفي ليلا وكانت وفاته بدرب شماس، من نهر الغلايين . وقبره ظاهر بمقبرة الإمام أحمد.

(١٢٩) عثمان بن عيسى أبو عمر الباقلاوى

كان يقال له : العابد الصموت، لإمساكه عن الكلام فيما لا يعنيه.

قال أحمد بن على الحافظ : كان عثمان الباقلاوى أحد الزهاد المتعبدين،

منقطعا عن الخلق، ملازما للخلوة.

قال : وسمعت بعض الشيوخ الصالحين يقول : سمعت عثمان الباقلاوى يقول : إذا كان وقت غروب الشمس أحسست بروحى كأنها تخرج . يعنى لاشتغاله في تلك الساعة بالإفطار، عن الذكر . قال : وسمعته يقول : أحب الناس إلي من ترك السلام على، لأنه يشغلنى بسلامه عن الذكر.

وقال محمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي : حدثنى أبى قال : مضيت يوما فى صحبة خالى إلى عثمان بن عيسى الباقلاوى ، فتلقيناه خارجا من المسجد إلى داره وهو يسبح : فقال له خالى : ادع لى فقال : يا أبا عبد الله شغلتنى انظر ما تظنه فى فافلعه وادع أنت لى فقلت له أنا : بالله ادع لى . فقال لى : رفق الله بك. فاستزدته . فقال : الزمان يذهب والصحائف تختم.

وعن أبى الحسين محمد بن محمد بن المهتدى أنه قال : هذا الذي أنا فيه من بركة عثمان الباقلاوى ، وذلك أننى كنت أصلى به فكان إذا خلا بى مسح يده على صدرى ودعا لى ، فأنا أعتقد أن الذي أنا فيه أنه من بركة دعائه.

قال : وكان له مغتسل وحارة فى المسجد : فكان يصلى بينهما وكنت أصلى به شهر رمضان . فقرأت ليلة سورة الحاقة حتى أتيت هذه الآية : ﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ فصاح وسقط مغشيا عليه، فما بقى أحد فى المسجد إلا انتحب.

وكان عثمان يتعمم بشاروفة ، وكان يأكل من كسب البوازى وكان قد سأله السعيد التركى أن يصل إليه منه شيء ، فأبى فقال له : إذ أبيت فتأذن لى أن نشترى دهنا نشعله فى المسجد ؟ وكان مأواه المسجد ، ما كان يخرج منه إلا إلى الجمعة. فأجاب إلى ذلك. فلما عاد الرسول على أنه يحمل إليه دهنا قال له : لا تجئنى بشىء آخر فقد أظلم على البيت .

أسند عثمان الباقلاوى عن إبراهيم بن محمد المطوعى ، والحسن بن أبى النجم مؤدب الطائع لله، وغيرهما . وتوفى فى يوم الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة اثنتين وأربع مائة ودفن فى مقبرة جامع المنصور.

عن عرس الخباز قال : لما دفن عثمان الباقلاوى رأيت فى المنام بعض من هو مدفون في جوار قبره، فقلت له : كيف فرحكم بجوار عثمان ؟ فقال : وأين عثمان ؟ لما جيء به سمعنا قائلا يقول : الفردوس الفردوس. - رحمه الله -.

(١٣٠) بكر بن شاذان بن بكر . أبو القاسم

قرأ القرآن على جماعة . وسمع الحديث من جعفر الخلدى ، وأبى بكر الشافعى ، وغيرهما . وكان يقرأ القرآن ويروى الحديث ويعظ الناس، وكان من قوام الليل وأهل التقوى.

عن الحسن بن غالب المقرئ أن بكر بن شاذان وأبا الفضل التميمى جرى بينهما كلام، فبدر من أبى الفضل كلمة ثقلت على بكر وانصرفا. ثم ندم التميمى فقصد أبا بكر بن يوسف وقال له : قد كلمت بكرا بشىء قد خفى عليه وندمت على ذلك، فأريد أن تجمع بينى وبينه. فقال له ابن يوسف سيخرج لصلاة العصر، فخرج بكر وجاء إلى ابن يوسف والتميمى عنده ، فقال له التميمى : أسألك أن تجعلنى فى حل. فقال بكر : سبحان الله ما فارقتك حتى أحللتك وانصرف.

قال التميمى : قال لي والدى : يا عبد الواحد احذر أن تخاصم من إذا نمت كان منتهيا . قال ابن غالب : وكان لبكر ورد من الليل لا يخل به .

توفى فى يوم السبت التاسع من شوال سنة خمس وأربع مائة، ودفن بمقبرة باب حرب.

(١٣١) أبو أحمد عبد الله بن أحمد بن محمد الفرضى

قال على بن عبد الواحد بن مهدى : اختلفت إلى أبى أحمد الفرضى ثلاث عشرة سنة لم أره ضحك فيها، غير أنه قرأ علينا يوما كتاب الانبساط فأراد أن يضحك فغطى فمه. وقال عيسى كان أبو أحمد إذا جاء إلى أبى حامد الإسفرائينى قام أبو حامد من مجلسه ومشى إلى باب مسجده حافيا مستقبلا له.

قال : وكتب أبو حامد مع رجل خراسانى كتابا إلى أبى أحمد يشفع له أن يأخذ عليه القرآن . فظن أبو أحمد أنها مسألة قد استفتى فيها، فلما قرأ الكتاب غضب ورماه عن يده وقال : أنا لا أقرئ القرآن بشفاعة أو كما قال .

وقال أبو القاسم منصور بن عمرو الفقيه : لم أر فى الشيوخ من يعلم العلم خالصا لله لا يشوبه شىء من الدنيا غير أبى أحمد الفرضى ، فإنه يكره أدنى سبب حتى المدح لأجل العلم.

قال : وكان قد اجتمعت فيه أدوات الرياسة : من علم وقرآن وإسناد وحالة متسعة فى الدنيا وغير ذلك، وكان أورع الخلق، وكان يبتدئ كل يوم بتدريس القرآن ، ويحضر عند الشيخ الكبير ذو الهيئة فيقدم عليه الحدث لأجل سبقه، فإذا فرغ من إقراء القرآن ولى قراءة الحديث علينا بنفسه . فلا يزال كذلك حتى يتسنفد قوته، ثم يضع الكتاب من يده وينصرف.

قال : وكنت أطيل القعود معه وهو على حالة واحدة لا يتحرك ولا يعبث بشىء من أعضائه ولا يغير شيئا من هيئته حتى أفارقه.

وقد بلغنى أنه كان يجلس مع أهله على هذا الوصف ولم أر فى الشيوخ مثله.

سمع أبو أحمد من القاضي المحاملي، ويوسف بن يعقوب بن البهلول، وحضر مجلس أبى بكر بن الأنبارى . وتوفى فى يوم الثلاثاء للنصف من شوال سنة ست وأربعمائة وقد بلغ اثنتين وثمانين سنة. ودفن فى مقبرة جامع المدينة . رحمه الله.

(١٣٢) أبو العباس أحمد بن محمد
ابن عبد الرحمن بن سعد الأبيوردى

كان فقيها، فصيحا، من أصحاب أبى حامد الإسفرائينى توطن بغداد، ولى القضاء بها على الجانب الشرقى ومدينة المنصور، وكان مدرسا مفتيا مناظرا، وكانت له حلقة بجامع المنصور. ذكر عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفى عمن حدثه : أن القاضى أبا العباس الأبيوردى كان يصوم الدهر، وأن غالب إفطاره كان على الخبز والملح. وكان فقيرا يظهر المروءة . قال : ومكث شتوة لا يملك جبة يلبسها.

وكان يقول لأصحابه : فى علة تمنعنى عن لبس الحشو. فكانوا يظنونه يعنى المرض، وإنما كان يعنى بذلك الفقر ولا يظهره تصونا ومروءة.

وقال ابن ثابت : حدثنى الصورى أنه سأل الأبيوردى عن مولده فقال : سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. ومات يوم السبت السادس من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة ودفن فى مقبرة باب حرب ، والله أعلم.

(١٣٣) أبو الحسن على بن عمر بن محمد
ابن الحسن الحربى المعروف بالقزوينى

وكان من كبار الصالحين ومولده فى محرم سنة ستين وثلاث مائة ببغداد.

وأصل أبيه من قزوين وقرأ القرآن بالقراءات على أبى حفص الكنانى وغيره.

وسمع الحديث من ابن كيسان النحوى، والقاضى الجراحى ، وأبى حفص بن الزيات، وأبى عمر بن حيوه، وأبى الحسين مظفر، وأبى الحسين بن سمعون، في جماعة أخرى ، وتفقه على أبى القاسم الداركى، وعلق النحو على أبى الفتح بن جنى.

وكان منذ كان صبيا حسن الطريقة ، ملازما للصمت عما لا يعنيه، وافر العقل، ثم كان يقرأ القرآن ويروى الحديث ولا يخرج من بيته إلا إلى الصلاة، وله كرامات كثيرة. ولما توفى غسله أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى.

قال أحمد بن على بن ثابت : كان أبو الحسن القزوينى أحد الزهاد المذكورين ومن عباد الله الصالحين. توفى فى شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة. وصلى عليه فى الصحراء بين الحربية والعتابين، وحضرت الصلاة عليه، وكان الجمع متوفرا جدا يفوت الإحصاء لم أر جمعا على جنازة أعظم منه وغلق جميع البلد فى ذلك اليوم .

وقال أبو الفتح بن علوس الدينورى : صلى الناس على القزوينى حيث توجهوا، ولم يحط إلى الأرض لكثرة الخلق، إنما كان على أيدى الرجال حيث إتجه صلوا عليه.

وقال أبو الوفاء بن عقيل : شهدت جنازته وكان يوما لم ير فى الإسلام بعد جنازة أحمد بن حنبل مثله، غلقت له المكاتب والحمامات، وبلغت المعبرة بباب الطاق مع كون الجسر ممدودا،ربع دينار، ولم يسع الناس جامع، ولا أمكن أن يصلي عليه إمام معين، فجعل كل قبيل فيه ألوف من الناس يصلى بهم رجل يصلح للتقدم، وكانت الضجة تمنع التبليغ للتكبير فصلى أكثر الناس وحدانا، ورأيت عدة بناتيك، فيها من المداسات الكثيرة، ينادى عليها ليأخذها أربابها.

عبد الله بن محمد البرداني قال : انتبه أخي أبو غالب يوسف بن محمد في الليلة التي مات فيها القزويني، وهو يبكي ، وقد أخذته الرعدة فسكنه والدنا وأمسكه وقرأ عليه، وقال له : مالك يا بني ؟ قال : رأيت في المنام كأن أبواب السماء قد فتحت وابن القزويني يصعد إليها. فلما كان في صبيحة تلك الليلة سمعنا المنادي ينادي بموته.

وقال أبو الفرج عبد العزيز بن عبد الله الصائغ : صليت على أبي الحسين القزويني فهالني كثرة الخلق الذين حضروا جنازته واستعظمتهم، فرأيته تلك الليلة في المنام وهو يقول لي : استعظمت الخلق الذين صلوا علي ؟ قد صلى علي من الملائكة في السماء أكثر من ذلك.

(١٣٤) أبو بكر محمد بن عبد الله الدينوري

وكان يسكن الرصافة ببغداد، وكان زاهدا حسن العيش.

وكان أبو الحسن القزويني يقول : عبر الدينوري قنطرة خلف من بعده وراءه.

قال أبو الوفاء بن عقيل الواعظ : كنت شابا حديث السن أتردد إلي مجلس ابن بشران الواعظ، وكان يعتاد عيني الرمد كثيرا . فرآني ذات يوم في المجلس رجل كان يبسط لابن بشران بساط المنبر يقال له : بكار، فقال لي : أراك تدوم على حضور هذا المجلس ؟ فقلت : لعلي استفيد شيئا ينفعني في ديني. فقال لي اجلس حتى ينقضي المجلس. فجلست . فلما انقضى المجلس أخذ بيدي وحملني إلى الرصافة وجاء بي إلى باب فطرقه فقال قائل من داخل الدار : من ؟ فقال : أنا بكار . فقال : يا بكار ألست قد كنت هاهنا اليوم ؟ فقال : جئت في حاجة مهمة، ففتح الباب وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم دخلنا وإذا بشيخ جالس مستقبل القبلة، على رأسه سطح كالطرحة

فسلمنا عليه فرد علينا السلام . فقال بكار يا سيدى هذا صبى يداوم حضور المجلس ويحب الخير وقد دام مرض عينه فادع له. فدعانى ، فأتيته، فأدخل خنصره فى فيه ثم مسح عينى به. فبقيت بعد ذلك نحو ستين سنة لم ترمد عيني: فلما خرجت سألت عنه فقيل لى : هذا أبو بكر الدينورى صاحب ابن سمعون. توفى الدينورى فى شعبان سنة ثلاثين وأربعمائة.

(١٣٥) أبو الطيب طاهر بن عبد الله ابن طاهر الطبرى

ولد بآمل فى سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة . وسافر فى طلب العلم . سمع من أبى أحمد الغطريفى، والدارقطنى، والمعافى بن زكريا، وغيرهم . وتفقه على أبى الحسن الماسرجسى وبرع فى الفقه، وجمع التقوى إلى العلم. وولى القضاء بربع الكرخ بعد أبى عبد الله الصيمرى، وقد كان رأى النبى ﷺ فى المنام، فقال له يا فقيه. فكان يفرح ويقول : سمانى رسول الله ﷺ فقيها :

قال أحمد بن على بن ثابت : أنشدنى أبو الطيب الطبرى لنفسه :

مازلت أطلب علم الفقه مصطبرا   على الشدائد حتى أعقب الخيرا

وكان ما كر من درس ومن سهر   فى عظم ما نلت من عقباه مغتفرا

حفظت مأثوره حفظا وثقت به   وما يقاس على المأثور معتبرا

صنفت فى كل نوع من مسائله   غرائب الكتب مبسوطا ومختصرا

أقول بالأثر المروى متبعا   وبالقياس إذا لم أعرف الأثرا

إذا انتضيت بيانى عن غوامضه   حسرت عنها قناع اللبس فانحسرا

وإن تحريت طوق الحق مجتهدا   وصلت منها إلى ما أعجز الفكرا

وكنـــت ذا ثـروة لمـا عنيـت بـــه فلـم أدع ظاهـرا منهـا ومدخـرا

وما أبالى إذا ما العــلم صاحبنى ثم التقى فيه أن لا أصحـب البشرا

ثنت عنـــانى عنــه همـــة طمحـت إلى الهوى فاستطابت عنده الصبرا

أصـــدى فلا أتصـدى للشـيم ولا أبيت دون الغنـى حزنـان منكسـرا

إذا أضقـت سـألت اللـه، معتــذرا كفايــتى فأطــاب الورد والصـــدرا

وقرأت بخط الشيخ أبى الوفا بن عقيل قال : حكى لى بعض أهل العلم أن القاضى أبا الطبيب صعد من سميرية وقد تم له عشر المائة فقفز منها إلى الشط، فقال له بعض من حضر ياسيدنا لا تفعل هذا فإن أعضاءك تضعف وربما أورث مثل هذه الطفرة فتقا فى المعى. فقال يا هذا إن هذه أعضاءنا حفظناها من معاصى الله فحفظها الله علينا. وقال أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الله الفامى : ابتدأ القاضى أبو الطيب الطبرى يدرس الفقه ويتعلم العلم وله أربع عشرة سنة، فلم يخل به يوما واحدا إلي أن مات.

قال الخطيب : توفى فى يوم السبت لعشر بقين من ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة، ودفن من الغد فى مقبرة باب حرب، وحضرت الصلاة عليه فى المنصور، وكان إمامنا فى الصلاة عليه أبو الحسين بن المهتدى ، وبلغ من السن مائة سنة وسنتين وكان صحيح العقل، ثابت الفهم، يقضى ويفتى إلى حين وفاته، رحمه الله.

(١٣٦) أبو الحسن البردانى

كان من الزهاد المنقطعين بجامع المنصور. حدث أبو محمد عبد الله بن على المقرئ قال : كان أبو الحسن البردانى صالحا مقيما بدار القطان، وكان الناس يزورونه فيقول : ترى أى شىء زاد فى حتى أزار ؟ أنا كنت أكارا

ولباسي اليوم لباسى الذى كان ، وأكلى أكلى الذى كان ، وما تركت شيئا من الدنيا أحمد على تركه فلماذا أزار؟

قال أبو محمد : وكان بجامع المنصور رجل يقال له ابن عبد العزيز ، من القراء ، فسمعه البردانى يقول يوما : هؤلاء الحشوية يقولون فى القرآن كذا. فبقى مدة لا يصلى خلفه. فلما شاع هذا تعصب له جماعة وجاؤوا بتوقيع من السلطان بتقديمه وتمكينه. فجاء ابن عبد العزيز والناس معه فباتوا بباب البصرة. فقال خادم البردانى له : يا سيدى قد جاء القوم وقد عزموا على تقديمه وتمكينه. فقال : ما يجيئون وكيف يجيئون.

فقال ابن عبد العزيز فى بعض الليلة : فؤادى يوجعنى ومات من ليلته.

(١٣٧) أبو بكر أحمد بن على العلبى

كان يقرئ القرآن ويؤم الناس ويعمل بيده ولا يقبل من أحد شيئا، ويذهب بنفسه فى كل ليلة إلى دجلة فيأخذ فى كوز له ماء يفرط عليه ويمشى فى حوائج نفسه ولا يستعين بأحد. وكان إذا حج يزور القبور بمكة ويجيء إلى قبر الفضيل بن عياض ويخط بعصاه ويقول : يارب هاهنا، يارب هاهنا.

فاتفق أنه خرج للحج فى سنة ثلاث وخمس مائة، فشهد عرفة محرما، وتوفى عشية ذلك اليوم فى أرض عرفات فحمل إلى مكة وطيف به حول البيت، ودفن يوم منحر إلى جانب الفضيل بن عياض.

(١٣٨) أبو المعالى الرجل الصالح

ساكن باب الطاق . قال أبو الحسن بن ملان : وكان ثقة حدثنى أبو المعالى الصالح قال : ضاق بى الأمر فى رمضان حتى أكلت فيه ربعين باقلى . فعزمت على المضى إلى رجل من ذوى قرابتى أطلب منه شيئا. فنزل طائر

فجلس على منكبى وقال : يا أبا المعالى أنا الملك الفلانى، لا تمض إليه، نحن نأتيك به فبكر الرجل إلىّ.

وحدثنى أبو محمد عبد الله بن على المقرئ قال : كنت عند أبى المعالى الصالح فقيل له : قد جاء سعد الدولة شحنة بغداد فقال : أغلقوا الباب فجاء فطرق الباب وقال : ها أنا قد نزلت عن دابتى وما أبرح حتى تفتح لى. ففتح له فدخل ، فجعل يوبخه على ما هو فيه وسعد الدولة يبكى بكاء كثيرا . فانفرد بعض أصحابه وتاب على يده. وقال أبو محمد : كان أبو المعالى لا ينام إلا جالسا ولا يلبس إلا ثوبا واحدا وشتاء كان أو صيفا، وكان إذا اشتد البرد عليه يشد المئزر بين كتفيه.

حدث أبو محمد أن رجلا توفى وسلم إلى ابن عقيل مالا وأمره أن يدفعه إلى أبى المعالى الصالح ليقسمه بعد موته. فلما مات الرجل بعث ابن عقيل إلى أبى المعالى بالمال، وأخبره بالقصة . فقال : ما أقبل هذه الوصية فعاوده فأبى . فبينما هم على ذلك جاء ولد الميت فقال : إن أبى أوصى بما لا يخرج من الثلث فقال ابن عقيل : والله لقد كوشف ذاك الرجل ، فهو يقبل خمسة أرسال من الخبز، ولولا أنه كوشف بهذا مارده - رحمه الله -.

(١٣٩) آخو جمادى

كان منقطعا بباب الطاق، والناس يزورونه ويتبركون به.

حدثنى أبو محمد عبد الله بن على المقرئ عن أخى جمادى قال : خرجت فى يدي عيون وانتفخت فأجمع الأطباء على قطعها. فبت ليلة على سطح قد رقيت إليه فقلت فى الليل : يا صاحب هذا الملك الذى لا ينبغى لغيره، هب لى شيئا بلا شىء فنمت فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقلت : يا رسول الله يدى، انظر إليها . فقال : مدها، فمددتها فأمر يده عليها وأعادها وقال : قم . فقمت .

وانتبهت والخرق التى شدا بها مخانق. فقمت فى الليل وذهبت إلى باب الأزج إلى قرابة لى، فطرقت الباب فقالت المرأة لزوجها : قد مات فلان ، تعنينى، وظنت أن مخبرا قد جاء يخبرها بذلك، فلما فتحت الباب ورأتنى تعجبت.

ورجعت إلى باب الطاق فرأيت الناس من عند دار السلطان إلى منزلى خلقا لا يحصى، معهم الجرار والأباريق، فقلت : ما لكم ؟ فقالوا : قيل لنا إن رجلا قد رأى النبى ﷺ هاهنا يتوضأ فى بئر. فقلت فى نفسي إن مضيت لم يكن لى معهم عيش. فاختفيت فى الخرابات طول النهار.

(١٤٠) عبد الوهاب بن المبارك

ابن أحمد الأنماطى

ويكنى أبا البركات . سمع الكثير وكتب الكثير، وروى عن أبى محمد الصريفينى، وابن النقور، وخلق كثير من القدماء.

وما عُرف من المشايخ أكثر سماعا منه، ولا أكثر كتابة للحديث، ولا أصبر على الإقراء، ولا أحسن بشرا ولقاء، ولا أسرع دمعة ولا أكثر بكاء.

ولقد كنت أقرأ عليه الحديث فى زمان الصبا ولم أذق بعد طعم العلم، فكان يبكى بكاء متصلا، وكان ذلك البكاء يعمل فى قلبى وأقول : ما يبكى هذا هكذا إلا لأمر عظيم، فاستفدت ببكائه ما لم استفد بروايته.

وكان مجلسه منزها عن غيبة الناس، وكان - رضى الله عنه - على طريقة السلف، وكنا ننتظره من يوم الجمعة ليأتى من داره بنهر القلائين إلى جامع المنصور، فلا يأتى على قنطرة باب البصرة، وإنما يمر على القنطرة العتيقة. فسألته عن سبب هذا . فقال : كانت تلك دار ابن معروف القاضى ، فلما قبض عليه بنيت قنطرة.

قال : وحدثنا أبو محمد التميمى عنه أنه أحل من يعبر عليها غير أنى لا أفعل.

وكان مولده فى رجب سنة اثنتين وستين، وتوفى يوم الخميس الحادى والعشرين من المحرم سنة خمس وثلاثين وخمس مائة. وعادوه فى مرضه وقد بلي وذهب لحمه، فقال : إن الله عز وجل لا يتهم فى قضائه.

(١٤١) استوت قائمة

عن أبى عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء قال : سمعت أبى يقول : كنت عند معروف فى مجلسه فدخل عليه رجل فقال : يا أبا محفوظ رأيت فى هذه الليلة عجبا. قال : وما رأيت رحمك الله ؟ قال : أشتهى عليَّ أهلى سمكا فذهبت إلى السوق، فاشتريت لهم سمكة وحملتها مع حمال، فمشى معى، فلما سمعنا أذان الظهر قال الحمال : ياعم هل لك أن نصلى ؟ فكأنه أيقظنى من غفلة. فقلت له : نعم نصلى.

فوضع الطبق والسمكة عليه على مستراح، ودخل المسجد. فقلت فى نفسى، الغلام قد جاد بالطبق، أجود أنا أيضا بالسمكة. فلم يزل يركع حتى أقيمت الصلاة، فصلينا جماعة، وركع بعد الصلاة وخرجنا ، فإذا الطبق على حاله موضوع فجئت إلى البيت وحدثت أهلى بهذا فقالوا لى : قل له يأكل معنا من هذا السمك. فقلت له : تأكل معنا من هذا السمك ؟ فقال : أنا صائم . فقلت له : فأفطر عندنا قال : نعم أرونى طريق المسجد : فأريته فدخل المسجد وجلس إلى أن صلينا المغرب فجئت إليه وقلت له : تقوم رحمك الله ؟ فقال : أو نصلى عشاء الآخرة. فقلت فى نفسى هذه ثانية. يريد أن فيه خيراً.

فلما صلينا جئت به إلى منزلى ولنا ثلاثة أبيات: بيت فيه أنا وأهلى ، وبيت فيه صبية مقعدة ولدت كذلك لها فوق العشرين سنة، وبيت كان فيه ضيفنا.

فبينا أنا مع أهلي إذ دق داق الباب في آخر الليل، فقلت : من يدق الباب ؟ فقالت : أنا فلانه . فقلت : فلانه قطعة لحم مطروحة في البيت كيف يستوى لها أن تمشى ؟ فقالت : أنا هى ، افتحوا لى . ففتحنا لها فإذا هى . فقلت : أى شىء الخبر ؟ فقالت : سمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخير فوقع فى نفسى أن أتوسل إلى الله عز وجل به فقلت : اللهم بحق ضيفنا هذا وبجاهه عندك[1] إلا أطلقت أسرى : فاستويت وقمت وأنا فى عافية كما ترونى.

فقمت إليه أطلبه فإذا البيت خال ليس فيه أحد فجئت إلى الباب فوجدته مغلقا بحاله فقال معروف : نعم، فيهم صغار وكبار. يعنى الأولياء.

(١٤٢) لا يغفل عنى

أبو عبد الله البرائى قال : قال خلف البرزالى: أتيت برجل مجذوم ذاهب اليدين والرجلين أعمى، فجعلته مع المجذومين. فغفلت عنه أياما ثم ذكرته فقلت : يا هذا إنى غفلت عنك فكيف حالك ؟ فقال لى : حبيبي ومن أنا أحبه فقد أحاطت محبته بأحشائى فلا أجد لما أنا فيه من ألم مع محبته لا يغفل عنى .

فقلت له : إنى نسيت . فقال : إن لى من يذكرنى، وكيف لا يذكر الحبيب حبيبه وهو نصب عينيه تائه العقل واللب ؟ قلت له : ألا أزوجك امرأة تنظفك من هذه الأقذار؟ قال : فبكى، ثم تنفس ورمى ببصره نحو السماء وقال : يا حبيب قلبى. ثم أغمى عليه. فأفاق . فقلت : ما تقول ؟ فقال : كيف تزوجنى وأنا مالك الدنيا وعروسها ؟ قلت : أى شىء الذى عندك من ملك الدنيا وأنت ذاهب اليدين والرجلين، أعمى، تأكل كما تأكل البهائم ؟ قال : رضى عنى سيدى إذ أبلى جوارحى وأطلق لسانى بذكره.

---

(١) لا حق للمخلوق على الخالق إلا ما ألزم الله تعالى به نفسه ولا يجوز سؤال الله تعالى بحاجة أحد ولكن يجوز التوسل بدعاء الصالحين من الأحياء .

قال : فوقع منى بكل موقع فما لبث إلا يسيرا حتى مات. فأخرجت له كفنا فيه طول، فقطعت منه . فأتيت فى منامى فقيل لى : يا خلف بخلت على وليى ومحبى بكفن طويل ؟ قد رددنا عليك كفنك وكفناه عندنا بالسندس والإستبرق. قال : فصرت إلى بيت الأكفان فإذا الكفن ملقى .

(١٤٣) ما اغتبته

قال إبراهيم الآجرى الكبير : كنت يوما قاعدا على باب المسجد فى يوم شات، إذ مر بى رجل عليه خرقتان . فظننت أنه من هؤلاء الذين يسألون . فقلت فى نفسى : لو عمل هذا بيده كان خيرا له . قال : ومضى الرجل.

فلما كان الليل أتانى ملكان فأخذا بضبعى ثم أدخلانى المسجد الذى كنت على بابه قاعدا ، فإذا رجل نائم عليه خرقتان. فكشف لى عن وجهه فإذا هو الذى مر بى. فقالا لى : كل لحمه. فقلت: ما اغتبته. قالا لى : بلى حدثت نفسك بغيبته، ومثلك لا يرضى منه بمثل هذا . قال : فانتبهت فزعا فمكثت ثلاثين يوما أقعد على باب المسجد لا أقوم إلا لفرض انتظر أن يمر بى فأستحله.

فلما كان بعد الثلاثين مر بى على حاله والخرقتان عليه. فوثبت إليه فغمز وغمزت خلفه، فلما خفت أن يفوتنى قلت : يا هذا قف أكلمك. قال : فالتفت إلىّ ثم قال : يا إبراهيم وأنت أيضا ممن يغتاب المؤمنين بقلبه ؟ قال : فسقطت مغشيا علىّ. قال : فأفقت وهو عند رأسى فقال : أتعود ؟ قلت : لا . ثم غاب عن عينى فلم أره بعد ذلك.

(١٤٤) عثرت بإنسان

قال الجنيد : أرقت ليلة فرمت السكون فما وجدته، ثم اجتهدت فى قضاء ورد كان لى فلم أقدر. ثم عرضت على دراسة شىء من القرآن فلم أقدر، فوقع بى انزعاج شديد فأخذت ثوبى على كتافى ثم انصرفت وذاك آخر الليل.

فلما توسطت الدرب عثرت بإنسان ملتف فى عباء فرفع رأسه وقال : إلى الساعة ؟ فقلت : سيدى عن موعد تقدم ؟ فقال : لا ولكن سألت محرك القلوب أن يحرك لى قلبك. فقلت : قد فعل حاجة ؟ قال : نعم . قلت : ما هى ؟ قال أيا أبا القاسم متى يكون الداء دواء ؟ فقلت : إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءا . قال : فتنفس وقال : قد أجبتها بهذا الجواب الليلة سبع مرات. فقالت : لا أو أسمعه من جنيد، ها قد سمعت منه. ثم مضى فما رأيته بعد ذلك.

(١٤٥) علامة الإجابة

عبيد الله بن عبد الله قال : كنت عند الجنيد يوم قدم أبو حفص النيسابورى فوثب إليه الجنيد وعانقه، فقال للجنيد : دعنى من المعانقة، عندك شىء تطعمنى ؟ فقال له : أى شىء تومى ؟ فعين له على شىء يطبخ فالتفت الجنيد إلى ابن زيرى فقال : قد سمعت : فمضى ابن زيرى فغاب ساعة ثم عاد ومعه ما أراد. فقال الجنيد لأبى حفص : قد حضر ما ذكرت . فقال : يا أخى قد أخببت أن أوثر به، أتساعدنى ؟ فقال له : أحب ما تحب. فقال الجنيد لابن زيرى : قد سمعت فأنفذه إلى مستحق فأقبل ابن زيرى إلى الحمال فقال : :

امش بين يدى وحيث أعييت فقف . فمشى الحمال ساعة ووقف بين دارين فدق ابن زيرى أقرب الدارين إلى الحمال فإذا نداء من داخل الدار : ادخل إن كان معك كذا وكذا وإلا فلا، وعين على ما كان مع الحمال. قال : ففتحت الباب فإذا شيخ قاعد، وخيش مرسل على باب، فوضعت ما كان مع الحمال بين يدى الشيخ وصرفت الحمال وقعدت.

فقال لى : وراء هذا الخيش صبيان وبنات يحتاجون إلى هذا الطعام فقلت له : لا أنصرف أو تخبرنى بالحال. فقال : هؤلاء الصبيان يسألونى هذا الطعام منذ مدة ولم تسامح نفسى أن أسأل الله تعالى ، فوجدت البارحة مسامحة أن

أسأل فجعلت علامة إجابة الله إياى وجود المسامحة من السؤال، فلما دققت الباب علمت ما معك.

(١٤٦) أحوال القلب

عن جنيد قال : سمعت السرى بن المغلس يقول : إن في قرى بغداد لأولياء لا يعرفهم الخلق. قال : وكنت أدور فى القرى لعلى أجد منهم واحدا فبينا أنا يوما فى بعض القرى دخلت مسجدا فرأيت فيه شابا ساكتا فتقدم إلىّ وقال لى أتأذن أن أسألك مسألة ؟ فقلت : هات. فقال :مسألة ، فسأل مسألة من أحوال القلب دقيقة فأجبته فقلت له : يقع لك مثل هذه المسألة ؟ فقال : كثير . فقلت : كيف تعمل ؟ قال : أنا إنسان قد لازمت هذا الموضع. فإذا وقع لى مثل هذه المسألة قيض الله لى وليا مثلك فيجيبنى. فعلمت صدق قول السرى.

(١٤٧) ريح المسك

أبو جعفر السقاء قال : خرجت يوما من بيتى فى يوم مطير، فإذا أسود مطروح على المزبلة مريض فجررته فأدخلته إلى بيتى. فلما أمسينا دعانى قال : يا أبا جعفر لا تفسد ما صنعت، اقعد عندى . قال : وفاح البيت بريح المسك، وصار ريح جبتى وكسائى وجرتى وكوزى وكل شىء فى البيت ريح المسك.

قال : فقال : اقعد عندى . قال : ثم قال بيده : هكذا، لا تضيق على جلسائى. قال : فسمعته يقول : « اندك اندك ، يا بار خداه، ارفق بى يا مولاى » قال : ثم خرجت نفسه.

قال : قلت أبيع كسائى، وأبيع جبتى فأشترى له كفنا . قال : فطرق بابى قريب من سبعين إنسانا، كل يقول : يا أبا جعفر مات عندك إنسان يحتاج إلى كفن.

(١٤٨) من أنت ؟

عن أبى الحسين بن خيرون صاحب أبى بكر بن عبد العزيز قال : قال لى أبو بكر عبد العزيز : كنت مع أستاذى، يعنى أبا بكر الخلال، وأنا غلام مشتد، فاجتمع جماعة يتذاكرون بعد عشاء الآخرة. فقال بعضهم لبعض : أليس مقبل يعنى رجلا أسود كان ناطورا بباب حرب لنا مدة ما رأيناه ؟ فقاموا يقصدونه. وقال لى أستاذى، يعنى الخلال : لا تبرح ، احفظ الباب.

فتركتهم حتى مضوا وأغلقت الباب وتبعتهم فلما بلغنا بعض الطريق قال أستاذى : هو ذا أرى وراءنا شخصا آخر، قفوا فقالوا لى : من أنت ؟ فأمسكت فزعا من أستاذى. فقال أحدهم لأستاذى : بالله عليك إلا تركته . فتركنى، ومضيت معه فدخلنا إلى قراح فيها باذنجان مملوء والأسود قائم يصلى فسلموا وجلسوا إلى أن سلم وأخرج كيسا فيه كسر يابسة وملح جريش. قال : كلوا فأكلوا وتحدثوا وأخذوا يذكرون كرامات الأوليات وهو ساكت.

فقال واحد من الجماعة : يا مقبل : قد زرناك فما تحدثنا بشىء؟ فقال : أى شىء أنا ؟ وأى شىء عندى أحدثك ؟ أنا أعرف رجلا لو سأل الله تعالى أن يجعل هذا القراح الباذنجان ذهبا لفعل.

فوالله ما استتم الكلام حتى رأينا القراح يتقد ذهبا. فقال له أستاذى ، يعنى الخلال: يا مقبل ، لاحد سبيل أن يأخذ من هذا القراح أصلا واحدا ؟ فقال له : خذ وكان القراح مسقيا. فأخذ أستاذى الأصل فقلعه بعروقه وجميع ما فيه ذهبا. فوقعت من الأصل باذنجانة صغيرة وشىء من الورق، فأخذته وبقاياه معى إلى يومى.

قال : ثم صلى ركعتين وسأل الله تعالى فعاد القراح كما كان، وعاد مكان ذلك الأصل أصل باذنجان آخر.

(١٤٩) خر ميتا

محمد بن داود الرقى قال : كنت مارا ببغداد وإذا بعض الفقراء يمر فى الطريق وإذا مغن يغنى ويقول :

أمـــد كفى بالخضـوع   إلى الذى جاد بالصنيع

قال فشهق الفقير شهقة خر ميتا.

الحسين بن محمد قال : سمعت الرقى يقول : سمعت العسقلانى يقول : كنت مارا ببغداد فإذا أنا ببعض الفقراء مارا فى الطريق ومغن يغنى ويقول :

أمـــد كفى بالخضـوع   إلى الذى جاد بالصنيع

قال : فشهق الفقير شهقة خر ميتا.

(١٥٠) دفع إلى صرة

عن أبى الصوفى قال : دخلت فى يوم عيد على بعض مشايخنا فرأيت عنده خلا وهندباء فاشتغل قلبى وخرجت فدخلت على بعض أهل الدنيا فأخبرته فدفع إلىّ صرة فيها دراهم وقال : احملها إليه.

فقلت : جئت بها لتستعين بها على وقتك. قال : وما الذى رأيت من حالى ؟ قلت : له : رأيت عندك خلا وهندباً فقال : كأنك افتقدت ذلك لو كان فى بيتى امرأة كنت تفتقدها قم فوالله لا كلمتك شهرا.

فخرجت فضرب الباب فى وجهى فسال الدم. فأتيت الشبلى فقلت له يا أبا بكر : رجل مشى فى طاعة الله فانفتح وجهه ما سبب هذا ؟

فقال : لعله أراد أن يأتى إلى شىء صاف يكدره.

(١٥١) ما جئت إلا معتذرا

عن أبى الحسين بن سمعون قال : اجتزت يوما على الصراة فرأيت امرأة تلتقط ورق البقل الذى يأتى على الماء فقلت : لا شك أن هذه امرأة فقيره. فوقفت حتى رجعت . فتبعتها، فأتت إلى دار فدخلت فرجعت إلى بيتى، فما استقر بى المنزل حتى أتانى خادم معه دنانير ودراهم فقال : أدفع هذا إلى محتاج.

فأخذته وقمت فأتيت بيت المرأة فطرقت الباب فخرج رجل من خواص مجلسى ومن الملازمين لى، فلما رآنى قال : مالك هكذا؟ فقلت : جئتكم بهذه الدنانير تستعينون بها على الوقت. فنظر إلى مغضبا وقال : يا شيخ تحذرنا من الدنيا وتأتينا بها. ثم رد الباب فى وجهى ودخل فرجعت منكسرا إلى بيتى .

ثم قلت فى نفسى : لابد أن أعود إليه فأعتذر، فأتيته فى اليوم الثانى، فطرقت الباب مرارا فلم يجبنى أحد، وإذا امرأة من الجيران تقول : مالك يا رجل ؟

فقلت لها : ما فعل أهل هذه الدار ؟ فقالت : كان فى هذه الدار رجل مع والدته، وكنا نتبرك بهما فجاء بالأمس شيطان فكلمهم بما كرهوا فانتقلوا عنا. قال : فعدت وأنا شديد الحزن على ما فعلت، وجعلت أتفقد مجلسى ولا أرى الرجل.

فلما كان يوم عرفة وأنا أتكلم على الناس رأيته فى أواخرهم فلما انقضى المجلس مضيت إليه وسلمت عليه فرد على وقال : لا تعد ما فات، ولا تقل شيئا، فلولا أنى أعتقد كلامك دواء لقلبى لم أحضر وإنما غبت عنك لأنا انتقلنا إلى مكان آخر حتى لا نعرف.

فقلت : ما أتيت إلا معتذرا وما أعود. ثم فارقته.

(١٥٢) جوهرة العابدة البراثية

(نزلت براثا مع زوجها أبى عبد الله البراثى)

حكيم بن جعفر قال : كانت جوهرة امرأة أبى عبد الله البراثى جارية لبعض الملوك فعتقت فخلعت الدنيا ولزمت أبا عبد الله البراثى، فتزوج بها وتعبدت. أبو عبد الله البراثى قال : قالت لى جوهرة يوما : يا أبا عبد الله، النساء يحلين فى الجنة إذا دخلنها ؟ قلت : نعم . قال : فصاحت صيحة غشى عليها.

فلما أفاقت قلت : ما هذا الذى أصابك ؟ قالت : ذكرت حالى تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة. أبو عبد الله البراثى قال : رأت جوهرة فى منامها خياما مضروبة فقالت : لمن ضربت هذه الخيام ؟ فقيل : للمتهجدين بالقرآن : فكانت بعد ذلك لا تنام بالخيام ؟

فقيل : عن أبى عبد الله البراثى قال : كانت جوهرة تنبهنى من الليل، وتقول : يا أبا عبد الله «كاروان رفت» معناه : قد سارت القافلة . حكيم بن جعفر قال : كنا نأتى أبا عبد الله بن أبى جعفر الزاهد، وكان يسكن براثا، وكانت له امرأة متعبدة يقال لها جوهرة، وكان أبو عبد الله يجلس على جلة خوص بحرانية، وجوهرة جالسة حذاءه على جلة أخرى مستقبلة القبلة فى بيت واحد.

قال : فأتيناه يوما وهو جالس على الأرض ليست الجله تحته. فقلنا : يا أبا عبد الله، ما فعلت بالجلة التى كنت تقعد عليها ؟ قال : إن جوهرة أيقظتنى البارحة فقالت : أليس يقال فى الحديث : إن الأرض تقول لابن آدم : تجعل بينى وبينك سترا وأنت غدا فى بطنى ؟ قال : قلت : نعم . قالت : فأخرج هذه الجلال لا حاجة لنا فيها، فقمت والله فأخرجتها.

(١٥٣) زوجة أبى شعيب البراثى العابد

الجنيد بن محمد قال : كان أبو شعيب البراثى أول من سكن براثا فى كوخ يتعبد فيه، فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا. كانت ربيت فى قصور الملوك فنظرت إلى أبى شعيب فاستحسنت حاله، وما كان عليه، فصارت كالأسيرة له فعزمت على التجرد من الدنيا والاتصال بأبى شعيب.

فجاءت إليه وقالت : أريد أن أكون خادمة . فقال لها: إن أردت ذلك فغيرى هيئتك، وتجردى عما أنت فيه حتى تصلى لما أردت، فتجردت عن كل ما تملكه ولبست لبسة النساك وحضرته ، فتزوجها.

فلما دخلت الكوخ رأت قطعة خصاف كانت مجلس أبى شعيب، تقيه من الندى فقالت : ما أنا مقيمة فيه، حتى تخرج ما تحتك لأنى سمعتك تقول : إن الأرض تقول لابن آدم : تجعل اليوم بينى وبينك حجابا وأنت غدا فى بطنى ؟ فما كنت لأجعل بينى وبينها حجابا.

فأخذ أبو شعيب الخصاف ورمى بها، فمكثت معه سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة، وتوفيا على ذلك متعاونين. قال المؤلف: قد ذكرنا عن جوهرة العابدة مثل هذه الحكاية ، وهذا قد اتفق لهاتين المرأتين، فلا نظن أن الحكايتين واحدة.

(١٥٤) أخوات بشر الحافى

وهن ثلاث مضغة، ومخة، وزبدة بنات الحارث، وأكبرهن مضغة.

قال السلمى :أخوات بشر مخة وزبدة ومضغة. وكانت زبدة تكنى أم علىّ.

وكانت «مضغة» أخت بشر أكبر منه، وماتت قبله، وقيل : لما ماتت مضغة توجع عليها بشر توجعا شديدا وبكى بكاء كثيرا ، فقيل له فى ذلك فقال : قرأت

فى بعض الكتب أن العبد إذا قصر فى خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه كانت أنيستى من الدنيا.

قال الخطيب : وذكر إبراهيم الحربى أن بشرا قال : هذا يوم ماتت أخته مخة، والله أعلم. أبو عبد الله بن يوسف الجوهرى قال : سمعت بشر بن الحارث يوم ماتت أخته يقول : إن العبد إذا قصر فى طاعة الله عز وجل سلبه من يؤنسه.

أبو عبد الله القحطبى قال : كان لبشر أخت صوامة قوامة.

غيلان القصائدى قال : قال بشر بن الحارث تعلمت الورع من أختى ، فإنها كانت تجتهد ألا تأكل ما للمخلوق فيه صنع.

عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كنت مع أبى يوما من الأيام فى المنزل، فدق داق الباب فقال لى : اخرج فانظر من بالباب ؟ فخرجت فإذا امرأة ، فقالت لى : استأذن لى على أبى عبد الله : قال فاستأذنه . قال : أدخلها.

قال : فدخلت فسلمت عليه ، وقالت له : يا أبا عبد الله ، أنا امرأة أغزل بالليل فى السراج فربما طفئ السراج فأغزل فى القمر فعلى أن أبين غزل القمر من غزل السراج ؟ قال : فقال لها : إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبينى ذلك. قال : قالت : يا أبا عبد الله أنين المريض شكوى ؟ قال : أرجو ألا يكون ، ولكنه اشتكاه إلى الله عز وجل.

قال فودعته وخرجت : فقال : يا بنى ما سمعت قط إنسانا يسأل عن مثل هذا. اتبع هذه المرأة فانظر أين تدخل؟ قال : فاتبعتها، فإذا قد دخلت إلى بيت بشر بن الحارث وإذا هى أخته قال : فرجعت فقلت له، فقال : محال أن تكون مثل هذه إلا أخت بشر.

عبد الله بن أحمد بن حنبل ببغداد قال جاءت مخة أخت بشر بن الحارث إلى أبى فقالت : إنى امرأة رأس مالى دانقان، اشترى القطن فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأتقوت بدانق من الجمعة ، فمر ابن طاهر الطائف ومعه مشعل، فوقف يكلم أصحاب المسالح فاستغنمت ضوء المشعل فغزلت طاقات، ثم غاب عنى المشعل، فعلمت أن لله فى مطالبة، فخلصنى خلصك الله فقال لها تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرا منه.

قال عبد الله : قلت لأبى: يا أبة، لو قلت لها لو أخرجت الغزل الذى أدرجت فيه الطاقات ؟ فقال : يا بنى سؤالها لا يحتمل هذا التأويل ثم قال : من هذه ؟ قلت مخة أخت بشر بن الحارث . فقال : من هاهنا أتيت.

أبو على الراذانى قال : كانت مخة من بين أخوات بشر تقصد أحمد ابن حنبل وتسأله عن الورع والتقشف، وكان أحمد يعجب بمسائلها.

السلمى قال : قالت زبدة أخت بشر: اثقل شىء على العبد الذنوب ، وأخفه عليه التوبة، فماله يدفع أثقل شىء بأخف شىء ؟

(١٥٥) امرأة عبد الله بن الفرج العابد

أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى قال : بلغنى أن عبد الله بن الفرج لما مات لم تعلم زوجته إخوانه بموته، وهم جلوس بالباب ينتظرون الدخول عليه فى علته فغسلته وكفنته فى كساء له وأخذت فرد باب من أبواب بيته وجعلته فوقه وشدته بشريط ثم قالت لاخوانه . قد مات وقد فرغت من جهازه.

فدخلوا واحتملوه إلى قبره وأغلقت الباب خلفهم.

(١٥٦) ميمونة أخت إبراهيم
ابن أحمد الخواص لأمه

كانت تسلك مسلك أخيها إبراهيم فى الزهد والتقلل والورع والتوكل.

أحمد بن سالم قال : دق داق باب إبراهيم الخواص ، فقالت له أخته من تطلب ؟ فقال : إبراهيم الخواص . فقالت : قد خرج . فقال : متى يرجع فقالت : من روحه بيد غيره من يعلم متى يرجع ؟

(١٥٧) أم عيسى بنت إبراهيم الحربى

أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ذكر لى أن أم عيسى بنت إبراهيم الحربى كانت فاضلة عالمة تفتى فى الفقه، ودفنت إلى جنب أبيها إبراهيم والسلام.

(١٥٨) أمة الواحد بنت القاضى
أبى عبد الله الحسين ابن إسماعيل المحاملى

أبو بكر البرقانى قال : كانت بنت المحاملى تفتى مع أبى على بن أبى هريرة.

أبو الحسن الدارقطنى قال : أمة الواحدة بنت الحسين بن أسماعيل بن محمد القاضى المحاملى سمعت أباها، وإسماعيل بن العباس الوراق، وعبد الغافر بن سلامة الحمصى، وأبا الحسن المصرى، وحمزة الهاشمى الإمام وغيرهم.

وحفظت القرآن والفقه على مذهب الشافعى، والفرائض وحسابها والنحو ، وغير ذلك من العلوم وكانت فاضلة فى نفسها، كثيرة الصدقة مسارعة فى

الخيرات وحدثت وكتب عنها الحديث. وتوفيت فى رمضان من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.

(١٥٩) قليل الكلام خير من كثيره

نوح الأسود قال : رأيت امرأة تأتى أبا عبد الله البراثى فتجلس تسمع كلامه، ولا تكاد تتكلم ولا تسأل عن شىء، فقلت لها ذات يوم : لا أراك - يرحمك الله - تتكلمين ولا تسألين عن شىء ؟ فقالت : قليل الكلام خير من كثيره، إلا ما كان من ذكر الله، والمنصت أفهم للموعظة، ولن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه، وجملة الأمر يا أخى : إن أردت الله بطاعة أرادك الله برحمة، وإن سلكت سبيل المعرضين فلا تلم إلا نفسك إذا صرت غدا فى زمرة الخاسرين.

قال : ثم استبكت فقامت . وسمعتها تعظ ابنها يوما وتقول :

ويحك يا بنى ، احذر بطالات الليل والنهار، فتنقضى مهلات الأعمار وأنت غير ناظر لنفسك ولا مستعد لسفرك . ويحك يا بنى ، ما من الجنة عوض، ولا فى ركوب المعاصى ثمن من حلول النار. ويحك يا بنى ، مهد لنفسك قبل أن يحال بينك وبين ذلك، وجد قبل أن يجد الأمر بك ، واحذر سطوات الدهر وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن وتقبلها بالعبر، فعند ذلك يهتم التقى كيف ينجو من مصائبها.

ثم قالت : بؤسا لك يا بنى إن عصيت الله وقد عرفته وعرفت إحسانه، وأطعت إبليس وقد عرفته وعرفت طغيانه.

(١٦٠) لبيك يا أماه

غيلان صاحب السرى قال : كان لسرى تلميذة وكان لها ولد عند المعلم فى الكتاب. فبعث به المعلم إلى الرحى فنزل الصبى فى الماء فغرق.

فجاء المعلم إلى سرى فأخبره بذلك فقال سرى : قوموا بنا فمضوا إلى أمه فجلس عندها وتكلم سرى فى علم الصبر إلى حد ما، ثم تكلم عليها فى علم الرضا. فقالت له : يا أستاذى وأى شىء تريد بهذا ؟ فقال لها : إن ابنك قد غرق. فقالت : ابنى ؟ قال لها : نعم . فقالت : إن ربى عز وجل ما فعل هذا . ثم عاد سرى فى كلامه فى الصبر، فقالت : قوموا بنا.

فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر فقالت : أين غرق ؟ فقالوا : ههنا فصاحت : ابنى محمد، فأجابها، لبيك يا أماه. فنزلت فأخذت بيده ومضت به إلى منزلها.

قال غيلان : فالتفت سرى إلى الجنيد وقال : أى شىء هذا ؟ فقال جنيد : أقول بمقال سرى قال : إن المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها وحكم من كان مراعيا لما لله عز وجل عليه : ألا تحدث حادثة حتى يعلم بذلك، فلما لم تكن حادثة تعلمها بذلك فأنكرت وقالت : إن ربى (عز وجل) ما فعل هذا.

(١٦١) عابدتان بغداديتان تريد الزواج

بلغنى أنه كان ببغداد رجل بزاز له ثروة . فبينا هو فى حانوته أقبلت إليه صبية فالتسمت منه شيئا تشتريه. فبينا هى تحادثه كشفت وجهها فى خلال ذلك ، فتحير وقال : قد والله تحيرت مما رأيت. فقالت : ما جئت لأشترى شيئا، إنما لى أيام أتردد إلى السوق ليقع بقلبى رجل أتزوجه، قد وقعت أنت بقلبى، ولى مال، فهل لك فى التزوج بى ؟ فقال لها : لى ابنة عم وهى زوجتى، وقد عاهدتها ألا أغيرها، ولى منها ولد فقالت : قد رضيت أن تجىء إلى فى الأسبوع نوبتين فرضى، وقام معها فعقد العقد ومضى إلى منزلها فدخل بها . ثم ذهب إلى منزله فقال لزوجته : إن بعض أصدقائى قد سألنى أن أكون الليلة عنده. ومضى فبات عندها، وكان يمضى كل يوم بعد الظهر إليها.

فبقى على هذا ثمانية أشهر . فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجارية لها : إذا خرج فانظرى أين يمضى ؟ فتبعته الجارية. فجاء إلى الدكان فلما جاءت الظهر قام وتبعته الجارية وهو لا يدرى ، إلى أن دخل بيت تلك المرأة. فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم لمن هذه الدار ؟ فقالوا : لصبية قد تزوجت برجل تاجر بزاز. فعادت إلى سيدتها فأخبرتها فقالت لها : إياك أن يعلم بهذا أحد. ولم تظهر لزوجها شيئا.

فأقام الرجل تمام السنة ثم مرض ومات، وخلف ثمانية آلاف دينار فعمدت المرأة التى هى ابنة عمه إلي ما يستحقه الولد من التركة وهو سبة آلاف دينار وقسمت الألف الباقية نصفين وتركت النصف فى كيس وقالت للجارية : خذى هذا الكيس واذهبى إلى بيت المرأة وأعلميها أن الرجل مات وقد خلف ثمانية آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقه، وبقيت ألف فقسمتها بينى وبينك وهذا حقك، وسلميه إليها.

فمضت الجارية فطرقت عليها الباب ودخلت وأخبرتها خبر الرجل وحدثتها بموته وأعلمتها الحال فبكت، وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة وقالت للجارية: عودى إلى سيدتك وسلمى عليها عنى ، وأعلميها أن الرجل طلقنى وكتب لى براءه، وردى عليها هذا المال فإنى ما أستحق فى تركته شيئا. فرجعت الجارية فأخبرتها بهذا الحديث.

الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس